تراث
شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
السنة السابعة - العدد ٨٠
جمادى الأولى/جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ
يوليو ٢٠٠٥م

إهــــــــداء2006
نادي تراث الإمارات
الإمارات العربية المتحدة

الملتقى التراثي الصيفي 2005

نادي تراث الإمارات

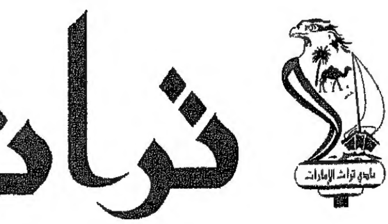

مجـلة شـهرية ثقافية منوعـة تصدر عن
نادي تراث الإمارات - العدد (٨٠) - السنة السابعة
جمادى الأولى / جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - يوليو ٢٠٠٥م

المراسلات:
نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦
فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)
بريد الكتروني
email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة
الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات
البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة
مصر: ٤ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً
الأردن: دينار ونصف
الدول العربية دولار أمريكي واحد
أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوب تراث:
■ القاهرة: عبد العال الباقوري
محمول: ٠١٠١٦١٠٢٠٩

الاشتراك السنوي (درهم)

	محلياً	خليجياً	عربياً
أفراد	٨٥	٢٠٧	٢٧٩
مؤسسات	١٥٠	٢٦٧	٣٣٩

التجهيز الطباعي
قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات

أهلاً بكـــم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

- ■ أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.
- ■ أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- ■ زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.
- ■ التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.
- ■ المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.
- ■ المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.
- ■ قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.
- ■ المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.
- ■ عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.
- ■ ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.

محتويات العدد

الغلاف:

دراسات وبحوث

تحقيق

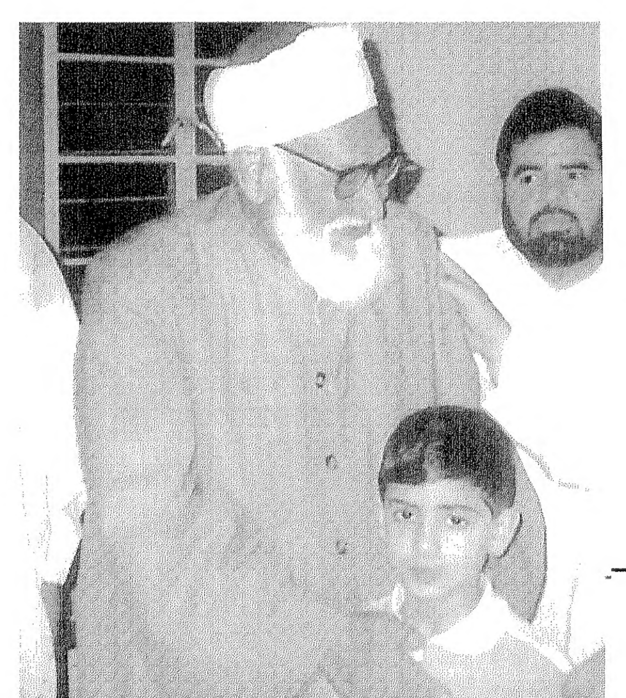

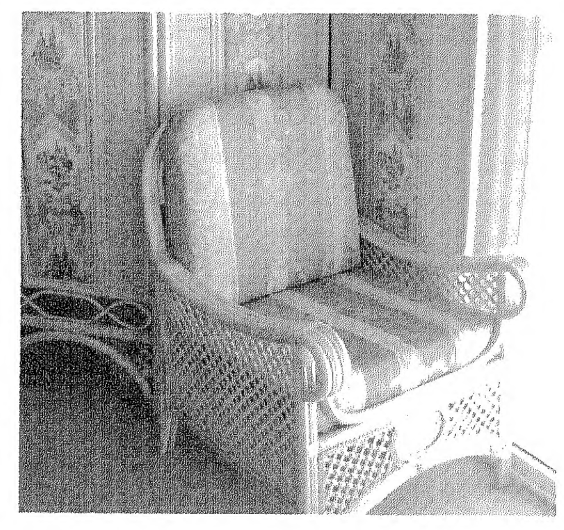

زوايا ثابتة

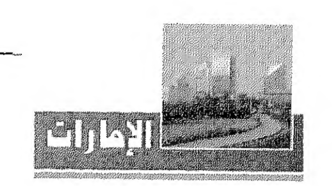

نجاح الملتقى الصيفي في تحقيق أهدافه

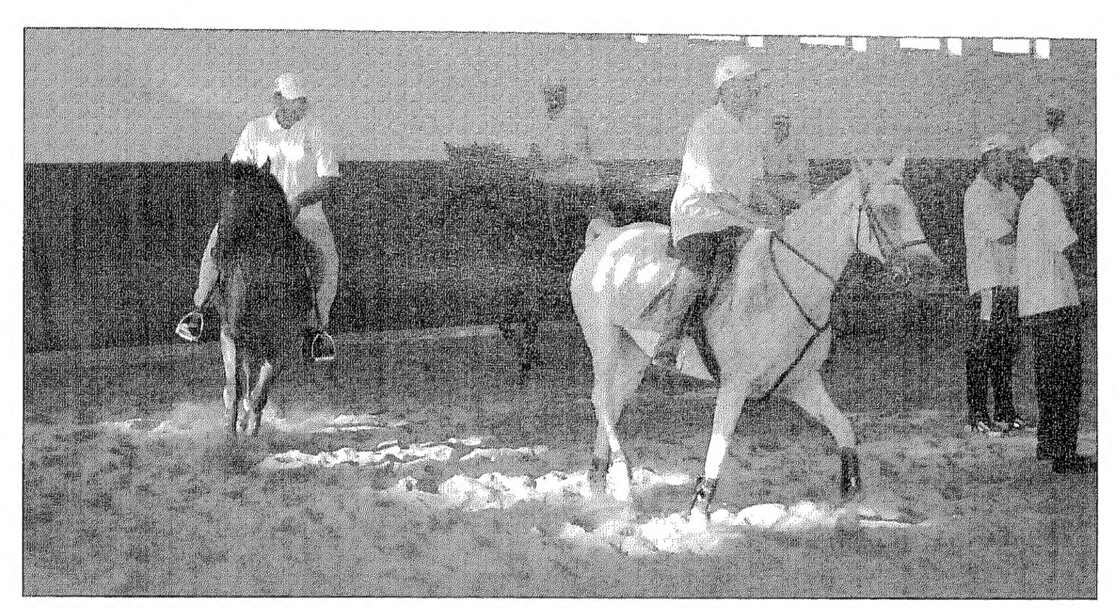

فعاليات ركوب الخيل

حقق (الملتقى التراثي الصيفي) الذي نظمته إدارة الأنشطة والفروع في النادي تحت رعاية سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات نجاحاً لافتاً.. إذ استطاع أن يجذب أكثر من ١٥٠ شاب وشابة من أبناء الإمارات من كافة الفئات العمرية المنتسبين لفروع النادي (الزعفرانة والسمحة والوثبة والعين والبطين والفرع النسائي) ومن طلبة بعض المؤسسات والإمارات الأخرى في الدولة، في خطوة تهدف إلى تعليم الجيل الجديد تراث آبائهم وأجدادهم.. وغرس وتعميق القيم والعادات والتقاليد الأصيلة في نفوسهم، وإيجاد المناخ الملائم والبيئة التربوية الخلاقة للشباب، وقضاء الإجازة المدرسية في تطوير المهارات وتعلّم المفيد من العادات، وتدريب القيادات الوطنية من الشباب على الإدارة والعمل الجماعي والتطوعي. وكان الملتقى الذي انطلقت فعالياته في جزيرة السمالية في الرابع من يونيو الماضي قد ركز في برامجه على المهرجانات التراثية ومن أهمها مهرجان الألعاب الشعبية ومهرجان الفروسية.. إلى جانب تقديم أكثر من ٦٠ نشاطاً تراثياً للمشاركين من أهمها: تعليمهم وتدريبهم على فنون الرماية التقليدية وركوب الهجن والفلك والمبارزة بالسيف ورياضة التسلق والسباحة ونقش الحناء والطهي الشعبي والمسير الليلي ورحلات الصيد البحري مثل رحلات الغوص والبحث عن اللؤلؤ من خلال السفينة التراثية (الصيد التقليدي). كما تضمن الملتقى الذي سيختتم أعماله في الرابع والعشرين من الشهر الحالي زيارات لعدد من متاحف الدولة والقرى التراثية، وإقامة المسابقات الثقافية والفنية، والمخيمات البرية والبحرية ما بين جزيرة السمالية والطويلة ومصنوعة وسويحان والقرية التراثية التابعة للنادي بمنطقة كاسر الأمواج.

ونظمت للمشاركين في الملتقى دورات متخصصة في تعلم فنون الشراع الحديث والتقليدي والشراع الرملي.. وقد أبدى المشاركون في الملتقى سواء القدامى من الفرق المتخصصة أو من الطلبة الجدد إعجابهم بالبرنامج المخصص لهم، مما يؤكد نجاح الملتقى في تحقيق أهدافه في تعليم التراث. ■

ألعاب تراثية

فعاليات عقد التنمية الثقافية تبدأ هذا الشهر

تنطلق هذا الشهر فعاليات (عقد التنمية الثقافية) في الإمارات والذي ترعاه وزارة الإعلام والثقافة. الانطلاقة ستكون يوم ٢٧ يوليو وتتضمن العديد من الأنشطة، وتشمل افتتاح مكتبة دبا، والمركز الثقافي برأس الخيمة، ومكتب أم القيوين، ومكتبة مدينة زايد، وتنظيم أمسية شعرية عربية يشارك فيها الشعراء العرب المقيمون بالإمارات، وتنظيم معرض فني يشارك فيه فنانون عرب مقيمون بالدولة، وإصدار نشرة للتعريف بالعقد والبرامج المقترحة لعقد التنمية المحلي، وسيتم أيضاً إطلاق جائزة الإمارات التقديرية للآداب والفنون، ومشروع دعم النشر والتأليف، وتأسيس فرقة موسيقية، وإنشاء متحف وطني، وتنفيذ مشروع الأرشيف الوطني، وتشكيل لجان تنسيق النشاط الثقافي والفني والتراثي، وإحياء جمعية الفنانين، وفي مجال السياحة الثقافية تم الاتفاق على تحديد المواقع التاريخية والعمل على تسجيلها بقائمة التراث العالمي وتأهيلها لتكون نقطة جذب سياحي، وتطوير المتاحف وتنويعها وإعداد الكتب والخرائط الإرشادية لها، والاهتمام بالحدائق والمتنزهات والمحميات الطبيعية، وتوظيف التراث وتقديمه بصورة جذابة، وحماية الطابع المعماري للدولة، والعمل على ترميم المواقع التاريخية، والاستفادة من المواقع التراثية في خدمة الثقافة، وإقامة المهرجانات والتظاهرات الثقافية المتعلقة بالتراث والفنون الشعبية والتشكيلية، وإنتاج أفلام وشرائح ملونة وكتب ومستنسخات من القطع الأثرية، وكذلك تنظيم رحلات استكشافية واستطلاعية لطلاب المدارس وأعضاء مراكز الشباب والأندية لزيارة المواقع والمعالم التاريخية والأثرية، وتنظيم معارض للآثار المحلية والخارجية.

وكان سعادة صقر غباش وكيل وزارة الإعلام والثقافة قد حضر اجتماعاً تحضيرياً للتنسيق لعقد التنمية الثقافية، بحضور عدد من الفعاليات الثقافية في الدولة، وأوضح سعادته الهدف من العقد، وأنه تم اختيار هذه الفترة لأنها الفترة التي تصادف الإعلان فيها عن تأسيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد طالب سعادته الحضور بضرورة التنسيق والتعاون من أجل رصد وإبراز أنشطة الدولة الثقافية للعالم الخارجي عبر المظلة الواحدة التي تتمثل في وزارة الإعلام والثقافة. ثم طرح نموذج شعار عقد التنمية الثقافية، الذي تم إقراره في مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الثقافة في الوطن العربي.

وفيما يتعلق بموضوع التصنيع الثقافي، تم الاتفاق على تأكيد أهمية الاستفادة من الوسائط المتعددة في الصناعة الثقافية، وتأكيد أهمية صناعة البرمجيات العربية، وتحويل الأنشطة الثقافية إلى منتجات سلعية، ودعوة المؤسسات الرسمية والقطاع الخاص إلى الاعتناء بالتصنيع الثقافي ودعمه، ودعم الثقافة الإلكترونية والنشر الإلكتروني. ■

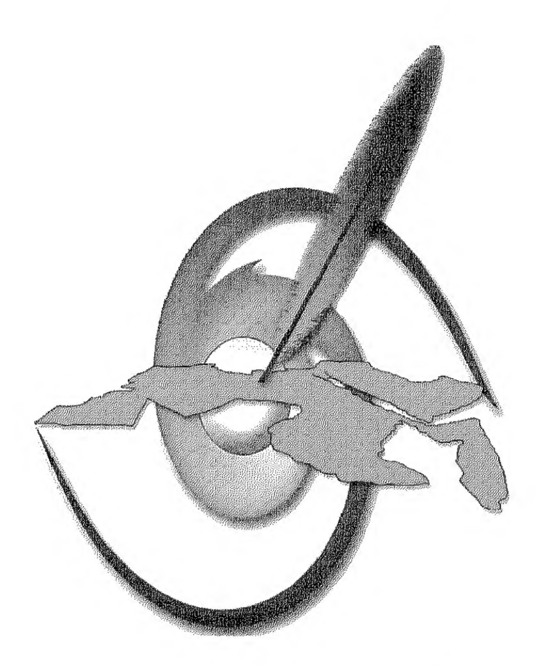

الإمارات

وفد برلماني أوروبي يزور القرية التراثية

وفد الناتو الأوروبي أثناء زيارته للقرية

زار وفد برلماني يضم ثلاثين شخصاً يمثلون ٩ دول أعضاء في الحلف الأطلسي (الناتو) القرية التراثية التابعة لنادي تراث الإمارات على كاسر الأمواج بأبوظبي، وقد أكد رئيس الوفد كارل لامرز أن الإمارات نجحت في تحقيق معادلة الأصالة والمعاصرة، وأن تكون في مقدمة الدول التي ترعى التراث وترسخه بجدية في أذهان أبناء الجيل الجديد نظراً لمكانتها في المنطقة، ولاهتمام المسؤولين فيها بقضية التراث والهوية. وكان في استقبال الوفد كل من علي سالم الرميثي مدير القرية، ودلوك المهيري نائب مدير القرية، ويوسف سعيد مسؤول العلاقات العامة بالقرية، حيث تم تقديم شرح شامل للوفد عن إنشاء وأهداف ونشاطات القرية ومرافقها.

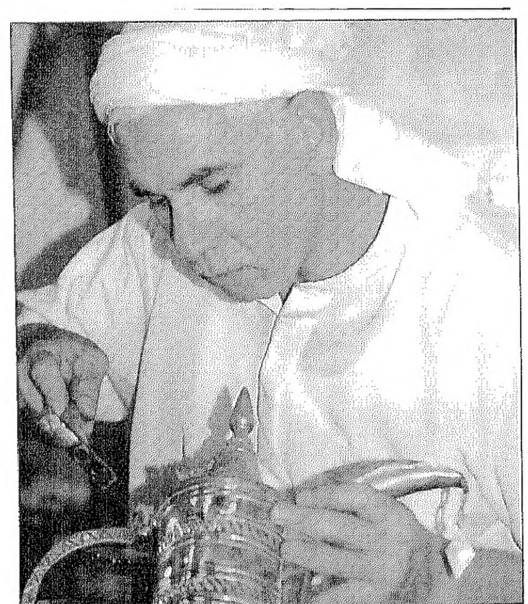

من صناعات القرية التراثية

كما قام الوفد بجولة ميدانية في المشاغل اليدوية والسوق الشعبي ودكاكين المهن التراثية والحرف التقليدية من صناعة زجاج ونحاس وخشب وغيرها من مهن تراثية تعكس صورة مشرقة عن حياة المجتمع الذي تحتل القرية التراثية مساحة فيه تزيد عن ١٦ ألف متر مربع، وقد أنشئت بتوجيهات من سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات لإبراز الجانب التراثي في الدولة أمام الزائرين.■

مركز زايد ينظم دورة لتأهيل الباحثات في التراث

انتهت في آخر يونيو الماضي الدورة التدريبية العاشرة لخريجات وطالبات جامعة الإمارات التي نظمها مركز زايد للتراث والتاريخ بالعين تحت عنوان (الحِرف والصناعات التقليدية في الإمارات) والتي استمرت ١٢ يوماً.

الدورة حاضر فيها نخبة من الباحثين والأكاديميين المتخصصين في مجال التراث الشعبي، وتهدف إلى تعزيز رسالة المركز في خدمة المجتمع وتأهيل الباحثات القادرات على جمع التراث الشعبي. وتهدف أيضاً كما قال الدكتور حسن النابودة مدير المركز إلى زيادة الوعي بالتراث الوطني لدى المتدربات وتنمية شعورهن بأهميته وضرورته.

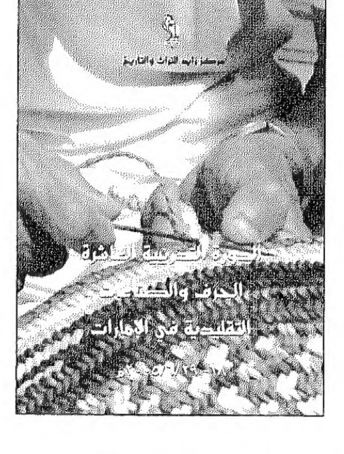

الدورة تناولت عدداً من الموضوعات من بينها التعريف بماهية الثقافة المادية وطرق ووسائل دراستها، ومكانة الحِرف والصناعات المهنية في العصر الحديث، والحِرف السياحية والطب الشعبي في مجتمع دولة الإمارات، وتراثنا على الإنترنت، والأزياء في دولة الإمارات، والبيت الشعبي الإماراتي، وصناعات تقليدية ومهارات حرفية انتشرت في الدولة، وملامح من تاريخ اللؤلؤ وصناعة السفن المحلية في الإمارات قديماً، واقتصاديات البادية وصناعة الأدوات الموسيقية.

وتتخلل الدورة رحلات وزيارات ميدانية إلى مركز التنمية الاجتماعية بخورفكان وورشة الذهب في دبي ومصنع الحلوى العمانية في الشارقة، ومركز الصناعات التقليدية في الاتحاد النسائي العام في أبوظبي ومصنع التمور في الساد.

وتتضمن بعض التطبيقات العملية للحِرف اليدوية كالأكلات الشعبية والملابس وأدوات الزينة التقليدية والصناعات الجلدية والحديدية والطب الشعبي والتداوي بالنباتات وصناعة الغوص.■

موقع إلكتروني متطور لجمعية أصدقاء النخلة

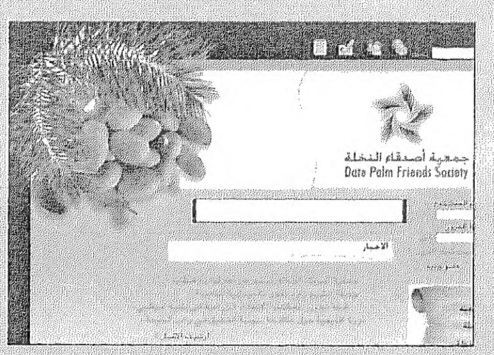

أعلنت جمعية أصدقاء النخلة عن تطوير موقعها على الإنترنت (http://www.dpfs.ae) في سبيل تقديم أفضل خدمة للباحثين والمطّلعين على الموقع، الذي تضمن: نبذة عن الجمعية وتشكيل مجلس الإدارة واللجنة الفنية، وتضمن تقارير وافية عن: النخلة في القرآن والحديث، وفي اللغة والشعر، وتقريراً عن فوائد التمر وأصنافه، والأمراض التي تتعرض لها النخلة، وكيفية خدمتها، كما يعرض الموقع الندوات والمؤتمرات والمعارض الخاصة بالنخلة والتمور، وإحصائيات متنوعة، إضافة إلى أهم الأخبار والأحداث على الصفحة الرئيسة للموقع، ويمكن من خلال الموقع التسجيل لعضوية الجمعية، وتتضمن الصفحة الرئيسة أيضاً هواتف الشركات التي تتعامل مع النخلة، وبعض المواقع المفيدة في هذا المجال. ويتولى الموقع الرد على التساؤلات وحل مشاكل المزارعين والمنتجين والمصنعين.

كما يشمل الموقع تقارير مالية دورية يسمح لأعضاء الجمعية الاطلاع على ميزانية الجمعية ونشاطها المالي، ويجد متصفح الموقع الإلكتروني لجمعية أصدقاء النخلة أنه أمام موقع متميز، مرن، سهل التصفح، ذو تصميم أنيق بلمسات راقية في اختيار الألوان. إضافة إلى أنه موقع فعال لاحتوائه على بنك من المعلومات المتعلقة بالنخلة مثل الأصناف وأمراض النخلة والآفات وخدمة النخلة على مدار السنة، وعلى كافة أنشطة الجمعية وغيرها من الأنشطة والفعاليات الزراعية.■

الإسرائيليون يهدمون المساجد ويبيعونها لتجار الآثار

عمّان ـ تراث:

لم يكتف الإسرائيليون بانتهاك المساجد والمقدسات الإسلامية في فلسطين بدعم من المؤسسة الحاكمة، بل باشروا في الآونة الأخيرة بالبحث عن جميع الآثار والحجارة القديمة في المساجد التي حولوها إلى زرائب للماشية، في محاولة لطمس معالم هوية الأماكن الإسلامية.

ونقلت مجلة (كل العرب) الأسبوعية التي تصدر في الناصرة عن مصادر مطلعة أن تجاراً إسرائيليين يعملون في بيع الآثار القديمة يقومون بعمليات استكشاف ومعاينة للمساجد في الداخل الفلسطيني، ويقومون باقتلاع الأحجار من المساجد القديمة التي كانت قائمة قبل النكبة ويحملونها على سياراتهم وينقلونها إلى مدينة تل أبيب حيث يقومون هناك ببيعها إلى هواة الآثار أو إلى شركات متخصصة في هذا المجال.

وقالت الناشطة العربية مقبولة نصار، من قرية (عرابة البطوف)، والتي تعمل على توثيق الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الإسلامية في البلاد وأقامت موقعاً توثيقياً خاصاً بذلك: إن الإسرائيليين يقومون أيضاً بسرقة اللوحات من المساجد الفلسطينية وبيعها لتجار الآثار.

وإنه منذ قيام إسرائيل دمّر أكثر من ١٢٠٠ مسجد، وقد رصدت الناشطة نصار عدداً من البيوت في مستوطنة روش بينا (الجاعونة) التي أقيمت من حجارة عربية تمت سرقتها من المساجد المهجورة في شمال إسرائيل.

وفي قرية عين الزيتون التي تقع إلى الشمال من مدينة (صفد) هدمت السلطات الإسرائيلية ثلاثة مساجد في القرية، فيما حولت الرابع إلى حظيرة أبقار تابعة لمستوطنة يهودية تدعى عين زيتم. ■

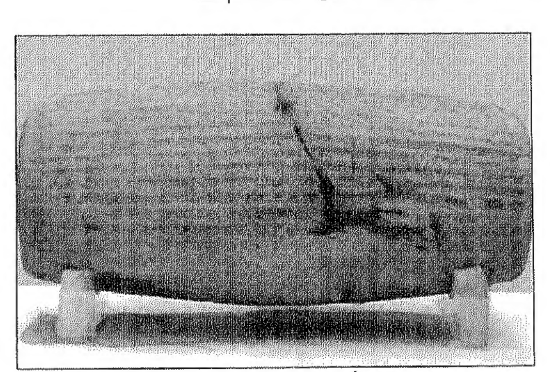

من الآثار الفسطينية المنهوبة

أول القرطاس

قرر وزراء الثقافة العرب بأن يكون للثقافة العربية عقدٌ من الزمان، تفعّل فيه عناصر هذه الثقافة، ويعاد الضغط على مكوناتها وثوابتها، وذلك بالإحياء والتذكير والترسيخ عبر الفعاليات، والاحتفالات، وتحريك المؤسسات المهملة، وإنشاء مرافق ومؤسسات جديدة.

(عقد التنمية الثقافية في الوطن العربي) -كما سمّاه وزراء الثقافة العرب في اجتماعهم المعقود بصنعاء في نوفمبر الماضي- ستبدأ انطلاقته في السابع والعشرين من شهر يوليو الجاري، ليستمر حتى الشهر نفسه من عام ٢٠١٤م، وحتى الآن مرّ الإعلان عن هذا العقد الثقافي بهدوء العذراء المتوارية وراء خجلها. ولم يكن حال (عقد الثقافة) خارجاً على النوتة العامة التي تملأ أرضنا العربية هذه الأيام بمختلف الأنغام إلا نغم الثقافة الأصيلة.

ولعلّ وزراء الثقافة العرب أدركوا حجم التيه والحيرة التي تعانيها عناصر ثقافتنا العربية وسط ضجيج آلة العولمة وجنازير آلياتها، وأزيز أصواتها العالية، وإشعاعات ألوان صورها المبهرة، فقرروا أن يوماً أو شهراً أو عاماً للثقافة -كما يجري لأمور أخرى- لن يكفي هذه الثقافة العربية المهجورة لتستعيد بريقها أو تستردّ مكانتها، فجعلوها عشرة أعوام متتالية ترفع فيها هذه الثقافة صوتها عالياً لتسترد ما خسرته من آذان، وتعود إلى ما طردت منه من مساحات داخل أوطانها.

الثقافة هي الهوية. ولأن هذه الهوية لا تزال تعاند المتربصين بها، وتستعصي على الكارهين لها، فقد ركز المهاجمون كل قواهم لتهجير الثقافة، واتباع سياسة الإحلال، تحت أعلام العولمة وشعارات العالمية والمعاصرة.

وحتى الآن استطاع هؤلاء تحقيق العديد من الانتصارات على الثقافة العربية، لأن أصحاب هذه الثقافة يتعاملون معها بمفاهيم متضادة، وبشعور من الدونية والشعور بالعار، وبعدم وضوح الرؤية حول كيفية التلاقح مع الثقافات الأخرى، وبكثير من الغبش والغبار حول مستقبل هذه الثقافة لدى الأجيال العربية اليافعة.

وأخشى أن تبدأ السنوات العشر بانطلاقة متحمسة، لتصل إلى نهاية باردة ومتثاقلة، ينسى فيها الناس متى كانت البداية. فالاحتفالية تطلق إشارة البداية، ولكن لن يكون هناك حضور حقيقي لـ (العقد) إذا اقتصر الأمر على الاحتفالات، ولم يرق إلى وجود خطة استراتيجية بكل ما تعني من رؤية ورسالة وأهداف.. وصولاً إلى نتائج يختلف بها حال الثقافة العربية في المجتمعات العربية بعد عشر سنوات عما هو الآن. فتعود الثقافة العربية نضرة ومتألقة في مجتمعاتها، وحاضرة بين الثقافات الأخرى. وحتى تكون الإمارات، كما هو حالها في قطاعات أخرى، متميزة ومنفردة في تحقيق النتائج، فإننا نترقب هذه الخطة ونتوقع أن يفزع الجميع ليكون العقد فريداً هنا، ليصدر إشعاعه على سائر غرف البيت العربي. ■

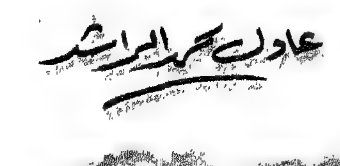

صقر القاسمي لـ «تراث»

التاريخ يؤكد حقنا في الجزر

أجرى الحوار: حمدي نصر

صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم رأس الخيمة أحد رجالات الإمارات الكبار، الذين حملوا على عاتقهم هموم إماراتهم، وساهموا بجهد كبير وإخلاص منقطع النظير في البناء والتعمير، وبتحويل وجه التاريخ في هذه الإمارة عبر المسيرة في حصنها الكبيرة في بلادها. فكان من أبنائها من تحملوا أعباء المرحلة في بناء الإمارة وفي توطيد صرح الاتحاد فيما بعد، متمثلين جهد قائدهم الكبير في ترسيخ دعائم هذا الاتحاد وتقويته والسهر على حمايته، ورفع رايته محلياً وعربياً وعالمياً، فخرجت القوافل المثقفة من أبناء الإمارة ينتشرون في ربوع الوطن الكبير ينشرون عبق ثقافتهم، ويساهمون في ربيع الوطن بجهد مقدر ومشكور.

وفي شهر يوليو.. تطل علينا دائماً ذكرى تولي صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي «أطال الله عمره» مقاليد الحكم في الإمارة.. ووجدتها «تراث» فرصة للاقتراب من فكر الحاكم، ليفتح لنا قلبه عن تاريخ المنطقة وأحداثها كشاهد على العصر.. خاصة وأن هناك كثيراً من الأحداث طواها الزمن.. أو طوتها يد (الحساسية) من إثارة هذه الأحداث أو محاولة كشف مكنونها.. وكان سموه «أطال الله في عمره» على العهد.. فكشف لـ «تراث» العديد من تلك الأمور.. في حوار صريح.. موجز الكلام واضح المعنى.. وهذه عادة الكبار الذين تعلّمنا منهم الكثير.. ونسعى لأن نتعلم منهم.. ونعلم ما خفي عنا.. فكان هذا الحوار..

[illegible] الشيخ صقر بن محمد القاسمي [illegible]

تلك الانتخابات في عام ١٩٤٠م [illegible] إن العالم [illegible] غاية في الحرج [illegible] المشاركة، حيث تأثرت [illegible] العالم [illegible] وما زلنا [illegible] من هذا العالم، [illegible] التي كانت في المنطقة، [illegible] تم جذب [illegible] التي كانت [illegible] على المنطقة [illegible] لأغراض ومصالح [illegible] ولكن لا بد أن نبحث عن مخرج [illegible] المعضلة، وكنت الرئيس إيمانا عميقاً [illegible] الإرادة [illegible] الآفاق الأخرى [illegible] ونهضة المنطقة [illegible] الأساسية في رقي الأمم وتقدمها. ولقد بذلت قصارى جهدي لتحقيق هذا الهدف في ظل تلك الظروف التي تحدثت عنها، وإلا في ظروف [illegible] في غاية الصعوبة، ويكفي أن نعلم أن إمارة رأس الخيمة في ذلك الوقت [illegible] الإمارات [illegible] البحر [illegible] والتي [illegible] الأخرى، [illegible] في غاية الصعوبة [illegible] في تلك الحقبة إليه. وتحت العدل [illegible] في مثل ذلك [illegible] أولاً، ثم [illegible] التي [illegible] ثم بمؤازرة الإخوة الأعزاء بعدنا ومساندتهم لنا، فنشكر الله على ذلك.

تأييد القبائل

ولهذا كان الوضع السائد [illegible] الأمور في الإمارة [illegible] في الصعوبة كيف استطعت سموكم كسب تأييد القبائل وتوطيد أركان الحكم وسيادة الأمن والأمان في الإمارة رغم ضعف الإمكانيات

[illegible]

ساحل رأس الخيمة كانت شبه مستقلة تمثل إمارة داخل الإمارة

[illegible]

- أيضا كان الوضع القائم في الإمارة عشتنا تولينا زمام الحكم نتيجة طبيعية للوضع القائم في المنطقة.. وكان أول شيء حرصت عليه هو أن تكون الإمارة مستقرة داخليا.. أي بعبارة أكثر وضوحا.. توحيد أجزائها التي كان كل منها يمثل إمارة داخل الإمارة.. فقد كانت منطقة الرمس لها أمير.. والجزيرة الحمراء لها أمير.. والمنيعي وباقي المناطق على المنوال نفسه.. وكل منطقة تتصرف كما ذكرت وكأنها إمارة شبه مستقلة. وكان الواجب والمنطق والعقل تقول بضرورة توحيد الجهود والاتفاق على كلمة واحدة حتى نستطيع أن نقوم بعمل ما لمصلحة الإمارة كلها. وقد بذلنا جهودا مضنية لتقريب القبائل وبعضها حتى أصبح الجميع يدا واحدة في إمارة واحدة تحت حكومة وسلطة موحدة.

أولوية التعليم

[illegible] في إطار حرص سموكم على [illegible] التعليم بإشارة [illegible] التقدم والرقي [illegible] الإستراتيجية [illegible] في عام ١٩٥٤ [illegible]

نحرص على تطوير الإمارة اقتصاديا وسياحيا والتوسع في كافة مجالات التعليم

[illegible]

والتخصص [illegible] في المنطقة [illegible] واستقلت [illegible] الخيمة تغيير [illegible] الدائم في المنطقة رغم مساهمة بريطانيا في افتتاح [illegible] زراعية في الإمارة عام ١٩٥٥م، فلماذا مدرسة زراعية وليست مدرسة للتعليم العام؟

- لا بد أن أوضح نقطة مهمة، وهي أن التعليم في رأس الخيمة بدأ يأخذ طريقه من خلال المدارس الخاصة قبل التعليم النظامي بفترة، ولكن حرصنا على أن يعم هذا الخير على الجميع، جعلنا نسعى في سبيل نشر التعليم التكويني أو التعليم النظامي كما يطلقون عليه أحيانا. وهذا التعليم بدأ في أول عهده بمدرسة [illegible] وتشكلت

إلى المنطقة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فبعد إنشاء مكتب التطوير الذي ضم الإمارات السبع، قدمت بريطانيا مساعدة مادية تمثلت في إنشاء مدرسة زراعية، واستقدمت خبراء لتشكيل محطة تجارب زراعية تساعد المواطنين على اختيار البذور الجيدة وزراعتها وتسميدها، إلى جانب مجموعة الخدمات الزراعية الأخرى لتطوير الجانب الزراعي في الإمارة. أما بخصوص لماذا مدرسة زراعية فقط رغم حاجة المنطقة إلى التعليم العام، فالواقع أننا لم نرفض ذلك بل رحبنا به لأن التعليم الزراعي لم يكن بديلاً للتعليم العام في ذلك الوقت، وكلاهما اعتبرناه مهماً للإمارة، خاصة أننا أنشأنا مدرسة صناعية، كل ذلك من أجل الارتقاء بمستوى الإمارة وجعلها تساير التطورات الحديثة.

إحراق رأس الخيمة وتدمير أسطولها كان بهدف فرض السيطرة على المنطقة

أسطول القواسم

- لا بد أن نستشهد بمرحلة من هذا السرد.. لقد أطلق الإنجليز على القواسم [illegible] القرصنة [illegible] الأمر أن ما كان يقوم به القواسم إنما هو دفاع مشروع عن الساحل [illegible] رأس الخيمة [illegible] بريطانيا في ذلك الوقت، نأمل أن نسمع من سموكم تعليقاً على ذلك يوضح الموقف.

.. يبتسم سموه ويجيب:

- رأس الخيمة تحديداً كانت تملك أسطولاً كبيراً

من السفن التجارية، وجاءت بريطانيا بزعم أن تسيطر على المنطقة، ولم يكن هذا بالأمر السهل مع وجود أسطول رأس الخيمة، ولذلك ادعوا أن هذه السفن تشكل خطراً على طرق مواصلاتهم وعلى سفنهم فأخذوا يتعرضون لها بالاعتداء حتى وصل بهم الأمر إلى أن هاجموا مدينة رأس الخيمة في سنة ١٨٢٠م واحتلوها وأحرقوها قبل أن ينسحبوا، وفرضوا على رأس الخيمة وعلى الامارات الأخرى معاهدات تشترط أن لا يجري أي اتصال بين الإمارات والخارج إلا عن طريق الانجليز. أما الشؤون الداخلية للإمارة فكان الانجليز أيضاً يتدخلون فيها زاعمين أنهم يريدون المحافظة على الأمن بين القبائل.

تميز حتت.. خمسة نجوم

● كان ولا يزال اهتمام سموكم بالبيئة والزراعة كبيراً.. ويتجلى ذلك في تطوير منتجع عين خت.. هلا تفضلتم سموكم بإلقاء الضوء على توجهات سموكم في هذا المجال وتطلعات سموكم المستقبلية؟

- الاهتمام بالزراعة نابع من طبيعة المنطقة المهيأة لذلك ترتيبها وجوها.. والزراعة موجودة في الامارة منذ القدم.. ومن الطبيعي أن يستمر هذا الاهتمام والسعي لتطوير الجانب الزراعي في الامارة أفقيا ورأسيا.. أما بالنسبة لعين خت منتجع خت فهو بالنسبة لنا أولا لأنه ليس له مثيل في دولة الامارات فمياهها مياه حارة وهي معدنية، ويقصدها كثيرون للاستشفاء، وهذا ما دعانا لإنشاء فندق خمسة نجوم في الموقع ترد إليه المياه الحارة.. بحيث يستطيع النزيل استعمال هذه المياه داخل بيئة نظيفة وراقية.. وأخيراً لتدعيم الجانب السياحي في الامارة أيضاً.

علاقة أخوية مع زايد

● تميزت علاقة سموكم الوطيدة والطيبة مع المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بكان لها دور كبير في تجاوز العديد من الصعوبات على

قلة الإمكانيات كانت السبب وراء ضعف أداء مكتب التطوير منذ عام ١٩٦٥م

...ـرى الإمارة. هل لنا أن نتعرف من سموكم على تفاصيل حول هذه العلاقة وآثارها الطيبة؟

- علاقتنا مع المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد كانت طيبة جداً. فقد كانت تربطني به علاقات لا أقول إنها علاقة صداقة، وإنما هي علاقات أخوية منذ أن كان نائباً للحاكم في العين، فقد كنا نتبادل الزيارات بصورة مستمرة، وبالطبع نتشاور في الأمور التي تلم بالمنطقة، وازدادت علاقتي به متانة وقوة وموده بعد أن تولى زمام الحكم في أبوظبي. وما أعرفه عنه أنه كان مغرماً بشيء اسمه (إسعاد الناس)، والارتقاء بمستوى معيشتهم، وهو رحمه الله كانت له مآثر كثيرة في هذا المجال لا تحصى ولا تعد، ويحضرني الآن ما حدث مع قبيلة (المقابيل) على سبيل المثال، فقد تجاوزت هنا والتقيت بهم واستمعت الى أشعارهم التي كانت تمدح الشيخ زايد، فالتقت بهم سـحـلـوا على شريط، وأعطيتها لزايد، الذي سمعها وأعجبت بها كثيراً وكون معهم قرية للسكن وأكرمهم كرماً كبيراً.

الإمارة كانت في شبه عزلة والسفر لدبي كان يحتاج لعشر ساعات

- لقد قدم كثيراً رحمه الله، كثيراً من الأعمال العربية والإسلامية، وأصبح مضرب الأمثال في الكرم والعطاء وإصلاح ذات البين بين الأشقاء، لذلك، عندما فقدناه كأننا فقدنا علماً من أعلام أمتنا سيذكره التاريخ ويسجل أعماله في أنصع صفحاته.

أسباب ضعف مكتب التطوير

وفي عام ١٩٦٥م تم إنشاء مجلس للتطوير للساحل المتصالح بما يشمل الإمارات، وذلك لتنسيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والحق به في عام ١٩٦٥م مكتب التطوير الذي تولى سموكم رئاسته حتى عام ١٩٦٨م.. ومع هذا لم يؤد دوراً ما كان مأمولاً منه. فما السبب وراء ذلك؟

- وضع طبيعي، فالموارد كانت ضئيلة جداً حيث لم تتجاوز الثلاثة ملايين دينار.. وماذا يمكن أن تفعل هذه الملايين الثلاثة أمام احتياجات بلد يسعى جاهداً للنمو والتطور؟! وصورة البلاد في ذلك الوقت واضحة للجميع.. كان التطوير يحتاج للمليارات وليس للثلاثة ملايين، فذلك المبلغ على أبسط مثال لم يكن كافياً لإنشاء طريق أو مستشفى أو ما شابه ذلك، فما بالنا باحتياجات التطوير الأخرى وما أكثرها.

الانفتاح العربي

كان للاستقبال الحافل الذي لقيه سعادة عبد الخالق حسونة أمين عام جامعة الدول العربية في رأس الخيمة الذي اعترض عليه بعض الجهات أدى إلى تحصن رأس الخيمة.. كيف جرت الأمور في تلك الأيام؟

- عندما زارنا عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية كان ذلك إيذاناً بعهد جديد منفتح على أشقائنا العرب في كافة أقطارهم، إذ كنا في السابق لا نستطيع الاتصال مع الدول العربية إلا من خلال الحكومة البريطانية، ولم تكن هذه تشجع على ذلك الاتصال، ولذلك فإن زيارة عبد الخالق حسونة لم يرض عنها الإنجليز وقد اعترضوا عليها وحاولوا إثناءنا عن التعامل مع الدول العربية لأنهم شعروا بأن ذلك يشكل خطورة على علاقتهم معنا.

الصورة على اليسار: الطريق بين رأس الخيمة ودبي كان لا بد أن يمر على سيف البحر وفي الصورة ارتفع المد وتعطلت إحدى السيارات فقطعت الطريق في عام ١٩٦١م (تصوير محمود الصوان)

طابع الحياة في رأس الخيمة بسيطة وهادئة ويحافظ بجهود كبيرة من أجل التطوير

وليس صحيحاً أنه تم حصار رأس الخيمة على أثر تلك الزيارة.

الرد على الانفتاح العربي

■ تراث: أيضاً بمناسبة هذه الزيارة، وبسبب إسهامكم الشخصي ورغبتكم في الانفتاح على العالم، حدثت بعض المشاكل التي منها محاولة تغيير نظام الحكم في رأس الخيمة عام ١٩٦٦م.. نأمل من سموكم إلقاء الضوء على تلك الفترة وهذه المحاولة.

- نعم.. حاول المعتمد البريطاني في ذلك الوقت تغيير نظام الحكم في كل من رأس الخيمة والشارقة، وبالفعل تمكن من ذلك في الشارقة عندما أبعد الحاكم السابق صقر بن سلطان القاسمي، وعين بدلاً عنه المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ خالد بن محمد القاسمي.

أسباب خلل التركيبة السكانية

■ تراث: التقرير الذي رفعته لجنة تقصي الحقائق لجامعة الدول العربية عام ١٩٦٤م أشار إلى خطورة الهجرة الأجنبية إلى المنطقة بما أدى إلى ما نسميه الآن (خلل التركيبة السكانية)، رغم علمنا بتصدي شيوخ المنطقة لهذا التقرير واتخاذ بعض الإجراءات بما

زيارة حسونة أزعجت بريطانيا فحاولت تغيير نظام الحكم في رأس الخيمة والشارقة

الصورة على اليمين: رأس الخيمة - نهضة حديثة راسخة الجذور

[illegible] (الصورة: [illegible])

شملت تلك الإجراءات [illegible]

- تقرير اللجنة كان له أكبر الأثر في تقديرنا وفعلا كان له رد فعل داخليا.. نحن أمام خلل في التركيبة السكانية هو تواجد عمال أجانب، إما دخلوا البلاد بصورة غير مشروعة، أو دخلوا بصورة مشروعة ولم يغادروا بعد انتهاء عملهم، وعلاج هذه الظاهرة يحظى باهتمام كبير حاليا.

تأخرنا عن الانضمام للاتحاد بسبب احتلال إيران للجزر

احتلال الجزر

■ الإمارات كان موقفها [illegible] واضحا في قضية احتلال إيران للجزر الإماراتية [illegible] [illegible] الإمارات في تلك الجزر رغم [illegible] من التفاصيل.

- موقفنا كان ولا يزال ثابتا في هذه القضية.. كان موقفنا واضحا كل الوضوح، فنحن لا نساوم على الأوطان، فجزر طنب وأبو موسى جزء لا يتجزأ من دولة الإمارات، وقد حاول الإنجليز التوسط من أجل حل النزاع بأن عرضوا علينا بيع الجزر لإيران، وكان جوابنا أن الأوطان لا تباع وليست موضعا للمساومة، ومع معرفتنا أن إيران قوية عسكريا وقد تحتل الجزر بالقوة إلا أنه لا يمكن أن يضيع حق وراءه مطالب.

فالتاريخ يؤكد أحقيتنا في الجزر.. والعرض البريطاني ببيعها إلى إيران والذي رفضناه في حينه يؤكد أن الجزر ملك للإمارات وإلا فكيف نبيع لغيرنا ما ليس بملكنا؟!.. موقفنا لا يزال كما هو، وكما قلت.. لن يضيع حق وراءه مطالب.

الانضمام للاتحاد

«[illegible] رأس الخيمة في الانضمام إلى الاتحاد [illegible] ١٩٧٢؟»

- كنا من أوائل من نادوا بالاتحاد وشجعوا على قيامه، وكنا نؤمن إيماناً عميقاً بأن لا مستقبل لنا إلا بالاتحاد، إلا أن احتلال ايران للجزر التي [illegible] قائمة على المنطقة، [illegible] للشيخ [illegible] رحمه الله، كنا راغبين في دخول الاتحاد، ولا نطلب شيئاً سوى أن يتبنى الاتحاد قضية الجزر وبذل الجهود لاستعادتها.

كتابة تاريخ المنطقة

«[illegible] رأس الخيمة من الامارات التي لها تاريخ عريق وجهود كبيرة في مجال التراث.. إلى أي حد نجحت جهود الامارة في التنقيب عن تاريخها وكتابته بأيدي أبنائها، وما هي الجهود التي تبذلها في مجال الاهتمام بالتراث وحماية الآثار وصيانتها والحفاظ عليها؟»

- لقد سعينا في هذا الاتجاه كثيراً، وسنواصل السعي.. لأن تاريخ المنطقة يحتاج إلى كثير من الجهد.. وفي رأس الخيمة تاريخ عريق يعود لآلاف السنين.. لقد عملنا كثيراً على التنقيب عن الآثار وتمكنا من جمع كميات لا بأس بها أودعناها في متحف رأس الخيمة، كما قمنا بترميم جميع الأبراج القديمة والتي كانت تستعمل للدفاع عن الامارة.

استعادة المكانة

«الامارات استطاعت [illegible] أكبر [illegible] وقد كانت رأس الخيمة من أهم الموانئ على شاطئ الخليج ومركزاً تجارياً يربط بين الشرق والغرب [illegible] للتجارة العالمية.. كيف يمكن أن تستعيد هذا الدور في الحقبة السالفة؟»

- لقد أنشأنا ميناء صقر وترتاده السفن بكافة أحجامها، ونحن الآن بصدد توسيع الميناء ببناء ثلاثة أرصفة جديدة، وتخصيص أربعة أرصفة للحاويات، كما اشترينا رافعات حديثة، وأصبح لدينا تسع رافعات عملاقة تعمل على مدار الساعة، بالإضافة إلى اننا أنشأنا ميناء في الجزيرة، وطورنا ميناء رأس الخيمة على الخور.. والحركة التجارية في رأس الخيمة على قدم وساق، وما نزال نتطلع إلى الأحسن باستحداث المشاريع الاقتصادية الضخمة الجديدة كالشركة العقارية وشركة نفط رأس الخيمة والسيراميك والأدوية.. والتطوير والتحديث والنهضة هي الهدف.. أما موضوع استعادة المكانة فهي مسألة تأتي لاحقاً.. المهم أن يحس الجميع بأن هناك جهداً يبذل.. وأن هناك انجازات تتحقق في سبيل الوطن والمواطن. ■

الصورة على اليسار: تطوير ميناء رأس الخيمة برافعات جديدة لاستيعاب أكبر السفن

TROPICAL TRADE

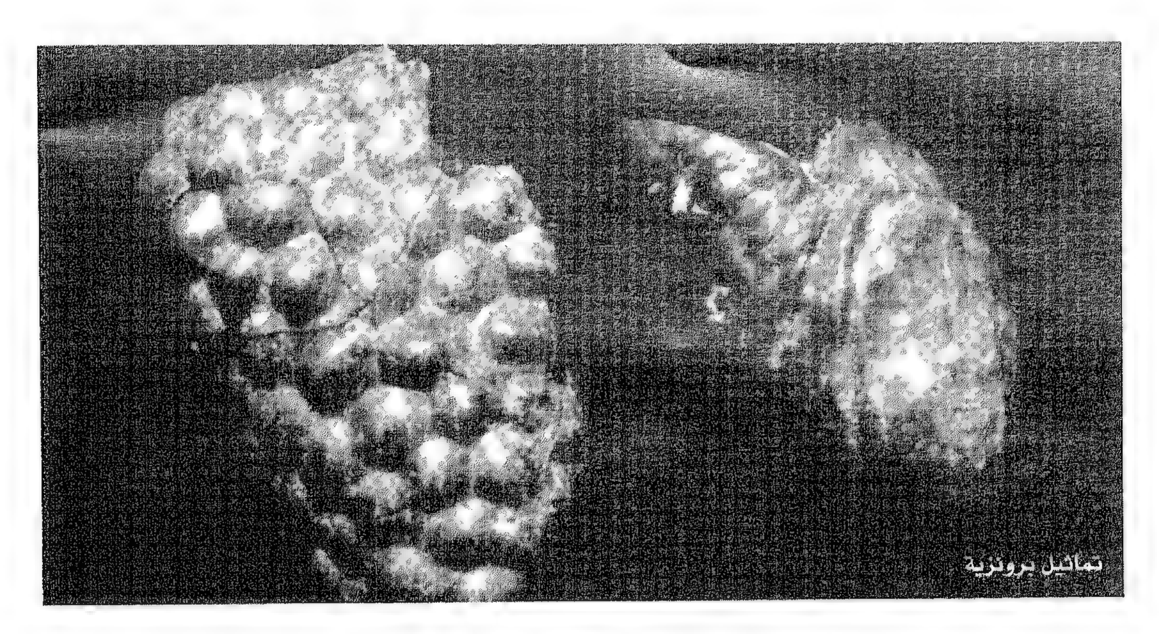
تماثيل برونزية

عُثر عليه في مستوطنة الدور

طقم برونز مزخرف.. يؤكـ

■ د. امتثال النقيب*

بالرغم من أن ساحل الخليج العربي ظل ولفترات زمنية طويلة بعيداً عن حضارات الشرق الأدنى العظمى كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل، إلا أن الحفريات التي أُجريت خلال الأربعين عاماً الماضية أوضحت لنا بزوغ حضارات مختلفة في تلك المنطقة، ويتضح ذلك جلياً من خلال التجارة والموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به كحلقة وصل بين الشرق والغرب، وكنقطة عبور أساسية للمواد الخام، حيث ظلت هذه الحضارة ذات سمة مميزة ومختلفة جعلت منها حضارة مفتوحة، وذات دلالات إنسانية وإبداعية مبتكرة، ومهما كتب عن هذه الحضارة عبر العصور تبقى هذه الكتابات ناقصة، مع استمرار الحفريات الأثرية والأبحاث عن الإنسان الذي عاش على هذه الأرض بكل إبداعاته وسماته المحلية، وانفتاحه على حضارات مختلفة، مما ساعد على وجود مواقع استيطانية متنوعة تحكمها عوامل تجارية وبيئية محلية وخارجية، فقد تأثرت الحياة في هذه المستوطنات بالحضارات الوافدة أو تجار الترانزيت الذين يزورون المنطقة بغرض التبادل التجاري أو البحث عن أسواق جديدة، وقد كان لهؤلاء عادات ضيافة وتقاليد تفاعلت مع عادات وتقاليد مستوطنات الخليج العربي التي كانت قائمة في تلك الفترة، وقد تمثلت هذه الظاهرة بوجود الثقافة المتبادلة، وذلك باكتشاف كمّ كبير من اللقى الأثرية المتنوعة اليونانية والرومانية وحتى الصينية والهندية، وقد أثرت أيضاً ثقافة المستوطنات العربية بهذه الثقافات حيث صدرت لها الكثير من المنتجات العربية، والتي تنم عن عادات وتقاليد عربية، وقد عكف علماء الآثار على دراسة هذه اللقى وإجراء البحوث والمقارنات عليها للتوصل إلى النمط الاجتماعي والبيئي للمواطن الذي عاش على هذه الأرض، وأسس حضارته فيها، وقد كثفت الحفريات في هذا الجزء الشرقي من العالم وشاركت فيها فرق أثرية عديدة في صراع طويل مع رمال الصحراء العنيدة، حيث عملت على توفير معلومات جديدة وثرية، مما اضطرنا إلى إدخال هذا الإقليم ضمن دراسات الشرق الأدنى والتي صارت أكثر تعقيداً.

* مدير عام دائرة المتاحف والتراث - أم القيوين

قطعة أثرية على شكل رأس ثور

ـد وحدة الثقافة بمنطقة الخليج

في عام ١٩٨٦م، كونت أربع فرق أثريه للتنقيب عن الآثار. وشاركت فيها كل من: الدنمارك (دي.دي. بوتس، كوبنهاجن)، فرنسا (آر. بوشارلات، ليون، أو. لوكومت، باريس)، انجلترا (سي. فيلبس، لندن) وأخيراً بلجيكا (أي. هيريتك، غينت).

حيث يعود تاريخ موقع الدور الذي يمتد على مساحة قدرها أربعة كيلومترات، إلى القرن الأول من حقبتنا التاريخية هذه، وهو الأكبر في منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية خلال تلك الفترة، وبسبب وجوده على بحيرة جميلة بأم القيوين اكتسب موقع الدور أهمية كبيرة، ولم يعكس الثقافة المحلية فقط، بل أكد وجود نشاط تجاري واسع بين الشرق والغرب في تلك الفترة، وأثناء الموسم الثالث للبعثة البلجيكية والذي قامت به جامعة غينت في ١٩٨٩م، تم العثور على قبر كبير مبني من الحجر البحري الصلب في المنطقة (A, V) حيث غطي القبر تحت الأرض بقناطر مقببة، وكان الجزء الأكبر منه سليماً، ومن الواضح أن أنظار اللصوص لم تقع عليه.

مقتنيات لها دلالاتها

يتجه القبر من الجنوب إلى الشمال، به ممر دخول صغير بدون سلالم على الجانب الشمالي، يطل على شاهد أحد المقابر. يبلغ طول غرفة الدفن من الداخل ٣ أمتار، عرضها ١،٠٩م وعمقها ٢،٤٩ متراً. بعدها لاحظنا وجود هياكل عظمية حيث تم تشخيص واحد منها فقط -وهو آخر واحد تم دفنه ونظراً (لضيق الوقت) تم إعادة دفن القبر جزئياً وتركه لبعثة أخرى لمواصلة البحث. وهكذا، في أكتوبر ١٩٩٠م واصلت البعثة العمل في هذا القبر وتمكنت من حفره كاملاً. احتوت التربة على كمية كبيرة من العظام البشرية ووجدت جميعها مبعثرة ومتكدسة بكثافة تتراوح بين ٤٠ إلى ٧٠ سم. يحتوي القبر على ١٥ جمجمة، لذا نفترض أن هذا العدد هو نفس عدد الأشخاص المدفونين الواحد تلو الآخر في هذا القبر خلال القرن الأول من حقبتنا التاريخية هذه. كان في كل مرة يدفن فيها أي شخص، يجب وضع عظام الآخرين جانباً وهذا ما يفسر تكدس العظام ووجود هيكل عظمي واحد كامل داخل نفس القبر، ويوجد هذا الهيكل في أعلى القبر لأنه آخر واحد دفن. كما كانت توجد به لقى أخرى، وضعت غالبيتها

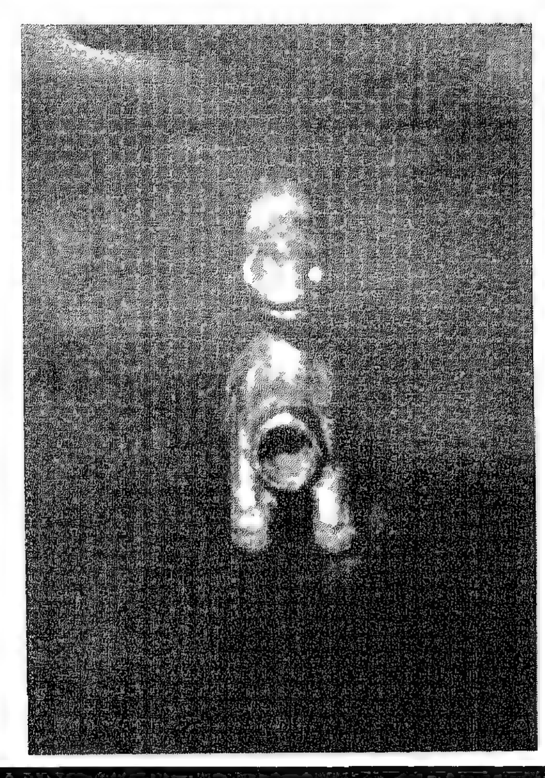

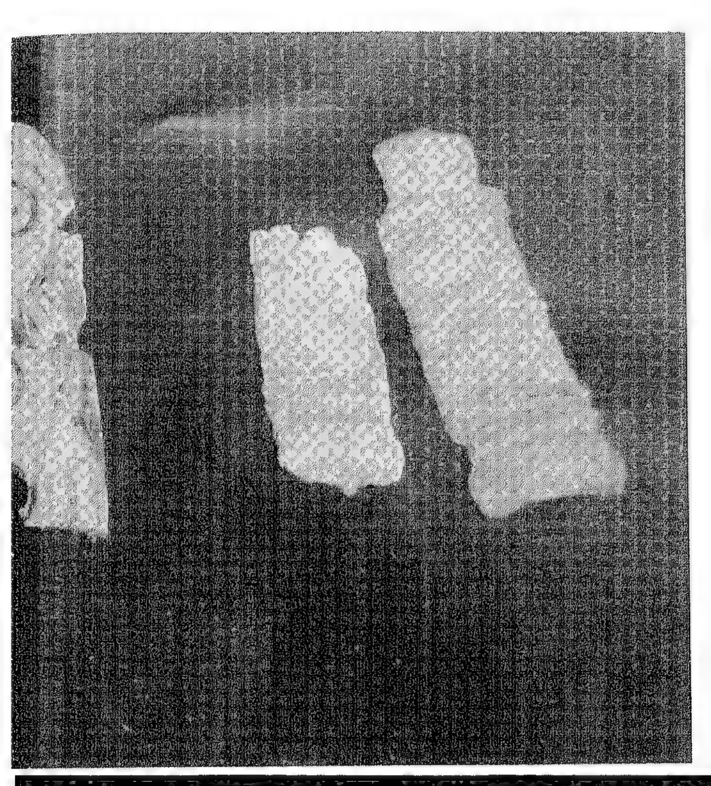

قطعة برونزية من الموقع

خلف القبر أي في نهايته حيث توجد الأشياء السليمة. قد يشير وجود اللقى المكسورة متكدسة أحياناً داخل غرفة الدفن إلى أنه تم خلال عملية الدفن المتتابع كسر بعضها. كان حفر القبر الكبير (a.v.j-5156) وافياً لما يحتوي من موجودات، حيث عثر على أكثر من ١٥٤ لقيه و٥٠٠ لؤلؤة من مواد مختلفة. تمت غربلة ونخل الرمل الموجود في القبر بأكمله ومن المؤكد أن شيئاً لم يفت على البعثة أثناء الحفر. حيث وجدت ضمن المكتشفات ١٩ كأساً وفازة زجاجية، ١٢ منها كاملة، ٤ منها تم ترميمها و٣ كانت مكسرة، بالإضافة إلى ذلك، هناك ١٥ لوحاً عظمياً أو عاجياً منقوشاً، منها ١٢ صقراً و٣ نساء، وهذه مصادفة غريبة مع عدد الهياكل، كما كانت هناك لقى برونزية، ومجموعة من الأسلحة مثل السيوف ورؤوس السهام وجميعها من الحديد، وآنية حجرية وبعض الأقراط والقلائد الذهبية بالإضافة إلى الخمسمائة (٥٠٠) لؤلؤة آنفة الذكر. بعد الانتهاء من تنقيب القبر الكبير، نقلت اللقى البرونزية إلى مستشفى أم القيوين لإخضاعها لأشعة إكس. وهكذا فقد أشار هذا التحليل إلى أن عدداً كبيراً منها يحمل نقوشاً غطتها طبقة كثيفة من المواد المتآكلة حجبت رؤية هذه النقوش بالعين المجردة. ولاهتمام حكومة أم القيوين بموضوع التنقيب عن الآثار وتذليل كافة العقبات أمام عمل بعثات التنقيب لإجراء مزيد من البحث العلمي، فقد تم الاتفاق على نقل ١٨ لقية برونزية إلى أوروبا مؤقتاً لمعالجتها ولإظهار النقوش الموجودة على جزء منها.

بعد شهور من العمل الدقيق والمتقن، أعيدت اللقى إلى الإمارات العربية المتحدة في أكتوبر ١٩٩١م حيث سلمت إلى حكومة أم القيوين. وفعلاً عرضت هذه المواد في متحف أم القيوين عند افتتاحه عام ٢٠٠٠م حيث يضم بين معروضات قسم الآثار جزءاً من اللقى الأثرية الأنفة الذكر.

كانت اللقى –موضوع هذا المقال– عبارة عن طقم من البرونز مكون من ثلاث قطع: كأس على شكل صدر حصان ومغرفة ومصفاة وجدت جميعها في القبر (A, V).

تطور وتاريخ الطقم

وقد نُشر لـ (MOOREY b.R.S) دراسة متعمقة عن تاريخ وتطور هذا الطقم، الذي كان معروفاً لدى

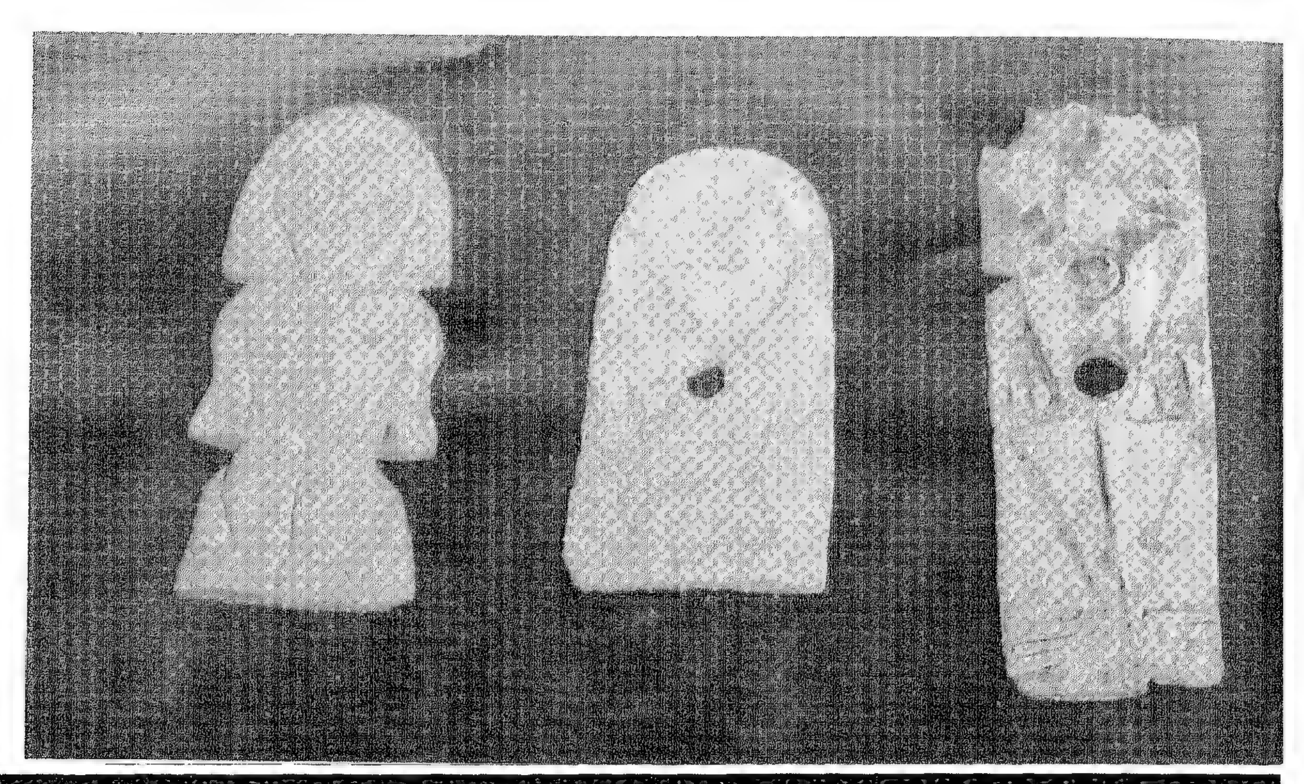

تماثيل وقطع اثرية من الموقع

المصريين، وتطور بصورة خاصة في الشرق الأدنى خلال فترة الآشوريين والأكديين. دخل طقم الشرب البرونزي ذو الأصل الشرقي بلاد المتوسط خلال الألفية الأولى. وتطور طرازه بنجاح عند الإمبراطورية اليونانية -الرومانية السلوقية والبارثية. أما دور العرب فكان واضحاً في تنقيبات البحرين وفيلكا. وكنتيجة للتبادل التجاري بين الغرب والشرق انتشر هذا الطراز في جنوب شرق الجزيرة العربية منذ بداية حقبتنا هذه. لم يكن هذا الطقم المكتشف في الدور هو الوحيد الذي تم العثور عليه في هذا الموقع. فقد وجدت البعثة الدنماركية في عام ١٩٨٧م، طقماً آخر مماثلاً له، على أرضية أحد القبور (القبر A)، وعثر فريق العمل على كسر وبقايا مصفاة في عدة قبور، ومن الجدير بالذكر أنه تم العثور بالدور ومواقع أخرى بالجزيرة العربية على قطع أخرى على شكل صدر حصان، وتعود هذه القطع إلى كؤوس ذات مصب على شكل منقار، بالإضافة إلى ذلك، يجب الإشارة إلى أن أطقم الشرب أو الأجزاء المكسورة منها التي تم العثور عليها في المنطقة الممتدة من الهفوف في شمال شرق الجزيرة العربية حتى عمان، جميعها إنتاج محلي؛ ويمكن أن تمدنا بمعلومات هامة تساعدنا على معرفة المنطقة بصورة أعمق وأكثر شمولاً.

لا يكمن اهتمامنا بهذا الطقم الذي نستعرضه هنا في ظروف اكتشافه فقط، بل لأهمية طرازه وزخرفته التي دفعتنا إلى استلهام عدة رؤى عن بعض ملامح الديانات لما قبل الإسلام في منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية في بداية الحقبة التاريخية الحالية. نسبة لعدم كفاية المصادر المكتوبة التي يمكن أن تمدنا بالمعلومات الأساسية، لم يكن أمامنا إلا اللجوء إلى النقوش المصورة لمساعدتنا في صياغة بعض الافتراضات.

وصف الطقم

إن طقم الشرب البرونزي الذي نتحدث عنه مصنوع من سبيكة برونزية؛ ويتكون من ثلاث قطع، ذات زخرفة منقوشة بمنقاش أو إزميل:

أ- مصفاة ذات مقبضين؛ أطرافهما مثنية وتظهران في شكل حبة قرنفل، وهي نصف كروية الشكل ومثقبة عدة ثقوب.تنتهي أطراف المصفاة المثنية برأس حيوان مزخرف ومنمنم، أذناه كبيرتان مدببتان، ويظهر الشكل نفسه على المغرفة. ولم يتم التأكد ما إذا كان هذا

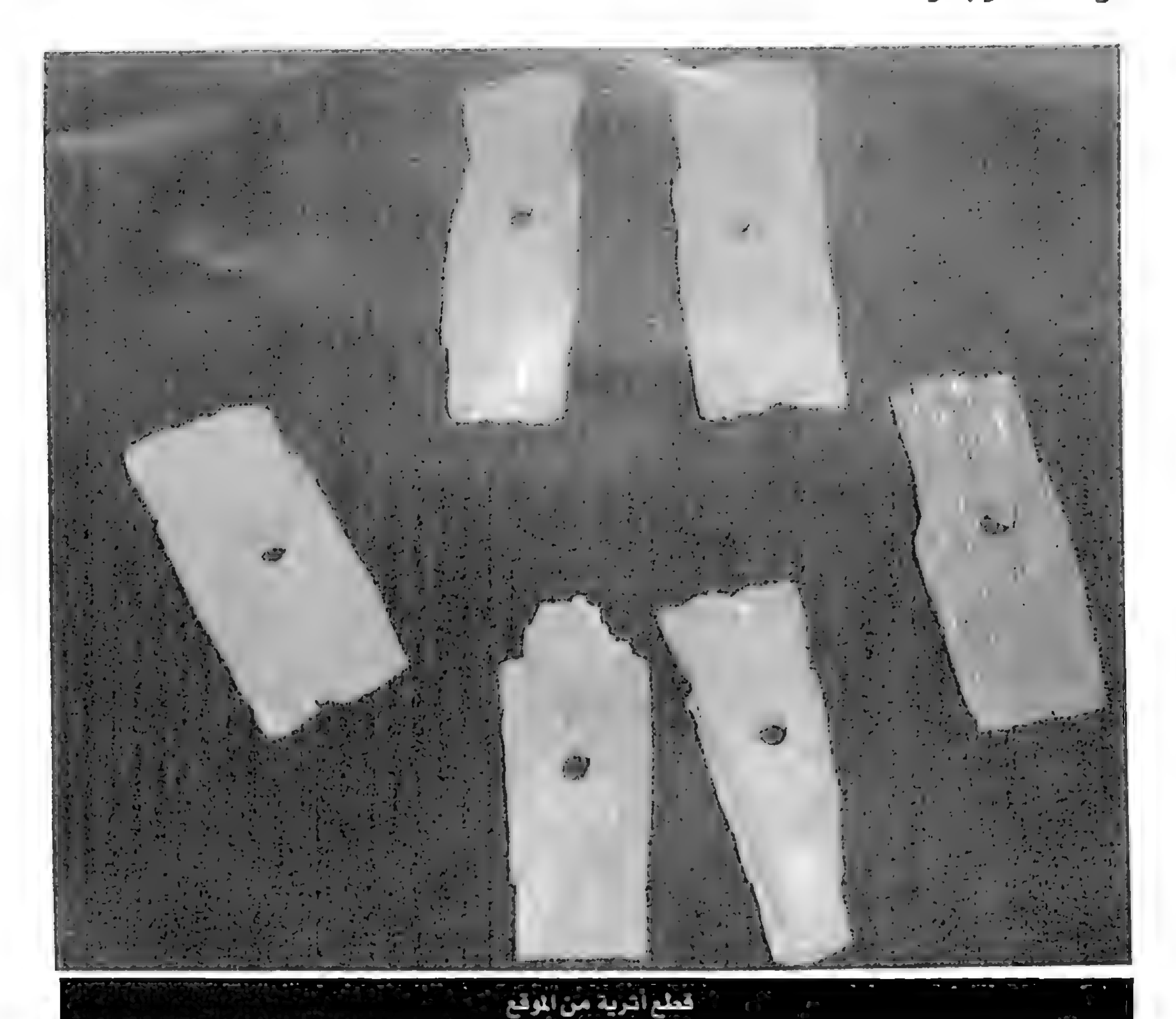

قطع أثرية من الموقع

الرأس لماعز أم لأنثى الأيل.

ب- مغرفة ذات ملعقة كروية الشكل. ينتهي مقبضها المثني برأس حصان أذناه كبيرتان مدببتان تشبه الشكل الموجود على المصفاة. تظهر على وجه المقبض عناصر زخرفية. أما على خلفه فتوجد نقوش لخمسة أسود فمها مفتوح وذيلها منتصب. توجد مغرفة مماثلة -لكننا لا ندري هل هي مزخرفة أم لا؛ وهي تمثل مع المصفاة وكأس من طقم آخر وجدت بالقبر (A) الدور -جميعها تمثل نماذج لما تم العثور عليه في موقع مليحة بالشارقة وفي (sumail) صمد و(Rustaq) الرستاق في عمان.

ت- كأس ذي شكل انسيابي، مقعر القاع وحافته سميكة ويشبه إلى حد كبير القدور التي تستعمل حالياً في الخليج! وهذا أوضح دليل على استمرارية الموروثات والتقاليد. يحتوي الكوب على ثمانية ثقوب في مكان العنق الذي اتخذ شكل صدر حصان وتظهر حول الطرف الخارجي. يمثل صدر الحصان المنقوش عنق الكوب. كما عثر بالدور (القبر A) على كأس مماثل يتبع للطقم الآخر ولكن للأسف كان مكسوراً. اتخذ مصب هذا الكوب شكل رأس الثور.

ث- أثناء حفريات الفريق الإنجليزي تم العثور على صدر حصان. وعثر الفريق البلجيكي على عنق كوب آخر ولكن دون بقية الكوب من نفس القبر الكبير (A, V) الذي وجد فيه طقم الشراب الكامل. وكما ذكرنا، فإن من الواضح أن عدداً كبيراً من اللقى تعرضت للكسر أثناء عمليات الدفن المتتابعة، بل توجد أحياناً بعيدة عن موضعها الأصلي. بالطبع، لم يكن موقع الدور هو الوحيد الذي عثر فيه على تماثيل صدر الحصان، لكن قبل بدء أعمال التنقيب لم يعلم الفريق فيم كان يستخدم أو كيف يتم تثبيته. ورد من موقع مليحة (الشارقة) نموذج راق آخر مصنوع من الفضة المذهبة.

ج - كما عثر على نموذجين آخرين من البرونز أثناء

حفريات التنقيب في كل من (sumail) سميل في عمان، ظهر نموذج آخر في جبل كنزان (خزان) بالهفوف في المملكة العربية السعودية.

ح – أما حفريات قصر أبو النصر في إيران، فنتج عنها رأس حصان يبدو أنه كان جزءاً من مصب كوب في شكل صدر حصان.

إلى جانب طقم الشراب الفضي هذا، عثر فريق جامعة غينت بالدور على مجموعة من كسر الأواني الخزفية التي كانت تستعمل أيضاً في تقديم المشروبات، وهي عبارة عن أجزاء من أوانٍ فردية أو ثنائية العنق، ولا تسمح حالة بعض هذه الكسر أحياناً بالتعريف الدقيق لها.

وهكذا تم كشف المزيد من هذه الأواني التي تتميز بتلك الخصائص، حيث ثبت استهلاك المشروبات الخاصة في الشرق الأدنى خلال جميع الفترات التاريخية، ويبدو أنها تقدم في مناسبات عامة واحتفالات دينية مختلفة، ويستدل على ذلك من خلال الأختام البحرينية التي يظهر عليها أشخاص ربما يشربون باستعمال مصاصة أو قصبة وذلك خلال الألفية الثانية.

تشابه.. مع اللقى في المنطقة

كذلك تبيّن أطقم شراب البرونز التي عثر عليها في فيلكا والبحرين والتي ترجع إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، استمرارية هذا التقليد. لم يتم التأكد من نوع المشروب المستهلك آنذاك ولا بد أنه كانت به شوائب ويستدل على ذلك من شكل الكوب الانسيابي ومن الثقوب الموجودة في جوف (بطن) الكوب ووجود المصفاة فكلها تستعمل لتنقية السائل الذي نعتقد أنه الشراب (في الدور). ومن الجدير ذكره هنا، أنه تم العثور على مقابض جرار (ربما يونانية– جزيرة رودس) تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، في فيلكا في الكويت وثاج في المملكة العربية السعودية ومليحة في الشارقة. ومن الجدير بالذكر أنه قد تم اكتشاف عدد من كسر الجرار المستوردة من قنا باليمن. وهذه بالطبع تشهد على التغييرات اللاحقة بالمنطقة. يمكن أن تستعمل بعض هذه الجرار لحفظ سوائل أخرى مثل الزيت. كما يذكر المؤرخ بليني أيضاً أنه كانت هناك قبائل عربية تصنع شراباً معيّناً من التمر، بنفس الطريقة التي تصنع بها في الهند، ومن الضروري أيضاً ملاحظة أن الكوب والمغرفة ومنذ اكتشافهما كانا يمثلان رواسب صلبة مهمة، خاصة الكوب، إذ كان يوجد على مصبه (صدر الحصان) بقايا مترسبة من شراب تم تقديمه (ربما كان مصنوعاً من العنب أو التمر). بفضل عمل السيدة مونيك دريو الدقيق والمتقن أخذت عينات من هذه الرواسب لكشف العناصر العضوية وتحديد طبيعتها.

أوكلت دراسة هذه العينات إلى (MASCA, Dr. St. Fleming) من معمل (ماسكا، متحف جامعة بنسلفانيا)، فيلادلفيا. وبما أن الدراسات لا تزال جارية، لم نتمكن من تقديم أية نتائج حالياً. أما فيما يختص بالدور، فوجود العديد من كسر الجرار المطلية بالقار التي كانت بلا شك تستعمل لنقل أو حمل السوائل التي تم اكتشافها والتي تعود إلى نفس الحقبة الزمنية، بالإضافة إلى الأكواب والأباريق الزجاجية المنتشرة بالمنطقة في أعداد كبيرة فمن المحتمل– أنها كانت تستعمل لتقديم الشراب مع استعمالاتها الأخرى المعروفة. كانت إحدى هذه الجرار الصغيرة على شكل عنقود عنب والآخر في شكل تمرة، ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن فريق العمل عثر في القبر A (a.v,g 5156) على حوالي ٢٠ جم من قشرة الراتنج ولونها أصفر شبه شفاف. ولا ندري حالياً هل هي بقايا بخور أم مادة أخرى؟ إذ أن نتائج التحليل لم تظهر بعد.ومع ذلك لا يبدو مستبعداً أن تكون لهذه المادة صلة ما بالمشروبات التي كانت تصنع وتستخدم في احتفالات ومناسبات دينية وعامة مختلفة.

وهكذا تبقى هذه المخلفات واللقى الأثرية مدار أبحاث ودراسات مستفيضة وذلك لكشف المزيد من أسرار التاريخ الاجتماعي من خلال الآثار، ذلك التاريخ الذي شكل بوتقة للموروث من العادات والتقاليد العربية الأصيلة على مر الزمن حيث كان إحدى سمات الهوية الوطنية والتي امتاز بها مواطن الخليج العربي منذ فجر التاريخ وبزوغ الحضارات، حيث استطاع أن يطور نمط حياته مستفيداً من الظروف البيئية المحيطة به ويتكيف معها، حيث أثبتت الحفريات والتنقيبات وعلى مدى السنوات الماضية تمتع مواطن هذه الأرض بعلاقات تبادل تجاري مع كل أبناء المعمورة وبلدانها المجاورة مع حفاظه على عاداته وتقاليده والتي توارثها عبر الأجيال.■

المصدر:

البروفسور ارني هيرنك رئيس البعثة الأثريه البلجيكية العاملة بالدور– جامعة غينت، مترجم عن الفرنسية.

الحديقة المحيطة بقصر البارون

مصر تحتفل بـ مئـ

■ القاهرة - محمد هارون: - تصوير: حمدي عبد الصادق

تجملت ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة للاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء البارون البلجيكي إمبان لها في عام ١٩٠٥م، وذلك بالتعاون مع صديقه الأرمني موغوص نوبار، نجل نوبار باشا، رئيس وزراء مصر في القرن التاسع عشر، وكان موغوص نوبار هو أول من مد شبكة لخطوط الترام في القاهرة لربط المدينة الجديدة، والتي كانت تسمى بـ (واحة عين شمس - هليوبوليس) بقلب العاصمة.. وشهد الاحتفال فعاليات عديدة ما بين ثقافية وفنية ورياضية للتعريف بنشأة وتاريخ الضاحية العريقة، وحضره حفيد البارون إمبان مؤسس مصر الجديدة، وتم عرض مجموعة من الصور الفنية النادرة، وفيلم وثائقي عن المدينة.

ـــوية «مصر الجديدة»

وكانت وزارة الإسكان والمجتمعات العمرانية قد اشترت قصر البارون من ملاّكه الجدد، وممثلهم محمد علي، على سبيل المقايضة بقطعة أرض كبيرة في مدينة القاهرة الجديدة، كما قامت الوزارة بالتعاون مع وزارتي الثقافة والسياحة بالبدء في ترميم القصر حتى يتسنى إقامة الاحتفال الرئيس بمئوية مصر الجديدة في حديقته.

قصة مدينة

بدأت قصة مصر الجديدة، أو ما كانت تسمى بواحات الشمس أو (واحة هليوبوليس)، نسبة إلى مدينة أون، وهي مدينة عين شمس المصرية القديمة، عندما نجح البارون إمبان المستثمر المصرفي والعقاري في الحصول في عام ١٨٩٤م على امتياز مد أول شبكة

قصر البارون .. تحفة معمارية وتصميم هندسي فريد

لخطوط الترام في القاهرة، وكان المهندس إمبان قد بنى شبكة قطارات باريس، وكان مقرباً من البلاط الملكي البلجيكي، وحصل على لقب الجنرال الفخري والبارون، وذلك نظيراً لمساهمته في المجهود الحربي ببلجيكا، وفي مصر نال ثقة الأسرة العلوية الحاكمة، وكانت صداقته ببوغوص نوبار مدير السكك الحديدية المصرية، ونجل رئيس الوزراء المصري نوبار باشا هي المقدمة لإنشاء ضاحية مصر الجديدة، حيث نجح إمبان وبوغوص في الحصول على امتياز من الحكومة المصرية لإنشاء خط مكهرب للقطارات يصل ما بين

وسط العاصمة، والمنطقة العمرانية الجديدة، والتي تأسست الشركة البلجيكية لإنشائهما، وقد اشترت من الحكومة المصرية حوالي ٥٩٥٢ فداناً بسعر جنيه واحد للفدان.

وفي عام ١٩٠٧م بدأت تظهر المباني الجديدة في الصحراء القريبة من العباسية، ورأى البارون إمبان أن يفتتح إعمار هذه المنطقة ويحث على السكن فيها بإنشاء قصر له على الطراز الهندي، واستغرق بناء هذا القصر ثلاث سنوات، كما بدأ بإنشاء مجموعة من الفيلات ذات الطراز الهندوسي، وكانت تطل على الشوارع الرئيسة، وفي العام التالي تم افتتاح أول خط للترام، وفي عام ١٩١١م تم افتتاح خط الترام بين القاهرة وهذه المدينة الجديدة، وقد حضر الاحتفال عدد كبير من كبار رجال الدولة، وعلى رأسهم الأمير حسين كامل نائباً عن الخديوي عباس، ولم يكتفِ البارون إمبان بإنشاء الفيلات والمباني فقط، وإنما قام بإنشاء جميع الخدمات الأساسية ووسائل الترفيه من مضمار لسباق الخيول، وميناء جوي، ونادٍ رياضي اجتماعي، ومكاتب البريد، وكذلك أنشأ خمس مدارس جديدة وشرع في بناء جامع السلطان حسين، وكنيسة البازليك، كما أنشأ حديقة (لونا بارك).

وبحلول عام ١٩٢٢م وصل عدد سكان مصر الجديدة إلى ١٢ ألف نسمة، وفي عام ١٩٣٠م ارتفع العدد إلى ٣٠ ألف نسمة، ثم إلى ١٨٦ ألف نسمة عام ١٩٤٢م، وكانت الشركة تبيع الأراضي للراغبين في إقامة مساكن هناك بسعر أربعين قرشاً للمتر الواحد، وتقوم بالبناء، على أن يسدد المالك ثمن الأرض والبناء على أقساط بفائدة ٣٪ للأراضي، و٥٪ للبناء.

وعن بداية إنشاء المدينة، يقول د. إسحاق عزمي المسؤول التنفيذي عن برنامج الاحتفالية : إنه مع بداية عام ١٩١٣م كانت أغلب معالم الضاحية الرئيسة قد ظهرت، خاصةً كنيسة البازليك، وجامع السلطان حسين بشارع هارون الرشيد (سان استيفانو سابقاً)، وفندق (هليوبوليس بالاس) (القصر الجمهوري حالياً)، ونادي هليوبوليس الرياضي، وقصر السلطان حسين كامل، والذي كان يقابل قصر البارون مباشرةً، وكذلك حلبة سباق الخيول (حديقة الميريلاند حالياً) ومدينة الملاهي، وحديقة الفسقية.

وأوضح أن البارون إمبان حرص على أن يكون لها جزء جنوبي للإسكان أقل من المتوسط، وكان يسكنه العمال العاملون في مشروع إنشاء المدينة، ويقع هذا الجزء في ميدان الجامع، وجزء فوق المتوسط، ويتمثل في المباني الواقعة في شوارع (اللقاني)، و(الأهرام) و(بغداد)، ومع التطور الطبيعي للمدينة جرت تنمية الواحة وواحة ألماظة، وكانت تقع بينهما منطقة صحراوية طولها كيلومتر، ومع التطور حدث التلاحم بينهما، ثم بدأ التطور العمراني يزحف للشمال والجنوب الشرقي، فظهرت مناطق (النزهة الجديدة)، والمنطقة التي تقع خلف فندق (شيراتون هليوبوليس)، وهي المنطقة الأخيرة التي تقوم الشركة بتعميرها منذ بداية الثمانينيات، وإلى الآن.

جولة داخل القصر

عندما دخلنا إلى قصر البارون، بدت لنا حديقة القصر، وتبلغ مساحتها ١١ ألف متر مربع، والحديقة الخلفية للقصر وتبلغ مساحتها ٨ آلاف متر مربع، ويتوسط مبنى القصر هذه المساحة الشاسعة، ويضفي التصميم الهندسي الفريد للقصر جواً من الأسطورة والخيال، فالشكل الخارجي للمبنى أقرب إلى المعمار الهندي، ومع الدخول من البوابة الرئيسة للقصر، وهي المدخل الأوسط من بين ثلاثة مداخل تظهر الردهة الرئيسة، وعلى اليسار غرفة واسعة بها مدفأة نادرة من الرخام بطول الحائط، ولها واجهة زجاجية، وعلى اليمين من الردهة يوجد باب يؤدي إلى السلم الرخامي للقصر الذي يمتد إلى الطابق الثاني، وبجوار مطلع السلم يوجد تمثال ثقيل من المرمر لإنسان مبتور الذراعين والساقين والرأس، وإلى جواره ملقى رأس تمثال آخر، وفي الطابق الثاني أربع غرف تطل على حديقة القصر، وبها حمامات خاصة، ويوجد في غرفتين منهما مدفأة فريدة الطراز، وعند انتهاء السلم الرخامي يبدأ سلم آخر خشبي يصل إلى سطح القصر، ثم إلى القبة، ويمتلئ القصر بالزخارف والرسومات والتماثيل، خاصة التي تعبر عن كائنات أسطورية كالتنين والأفيال وغيرها، وكلها قريبة إلى الفن والطقوس الهندية. وتبلغ مساحة القصر بالأرض التي يحتلها حوالي ثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وستة أمتار مربعة، وتبلغ طول واجهته المطلة على شارع العروبة حوالي مائة متر، وإجمالي الواجهات على الشوارع المحيطة به حوالي ٣٣٨ متراً، وتبلغ المسافة بين القصر وشارع العروبة حوالي ١٧٠ متراً.

القصر بعد التأميم

وعن مصير القصر بعد تأميمه عام ١٩٥٢م قال د. إسحق عزمي : إنه عاد للورثة بعد محاولات عديدة

لاسترجاعه، وقد حاول الملاك إقامة مشروع لاستغلال حديقة القصر، ولكنهم اصطدموا بما نص عليه قرار التأميم من أنه لا بد أن تبلغ نسبة المصريين في إدارة المشروع ٥١٪، ولم ييأس أصحاب القصر من التقدم بمشروعات مختلفة لإقامتها على القصر، رغم ضم القصر إلى هيئة الآثار فتقدموا بطلب لإنشاء فندق ومطعم كبيرين، أو مول تجاري بحديقة القصر، ولكن تم رفض هذه الطلبات، وبهذا الرفض ظل القصر مغلقاً لسنوات طويلة دون أي التفات إليه، حتى أنه أصبح مسكناً للطيور والحيوانات الضالة والخفافيش، مما أضفى عليه جواً أسطورياً مرعباً، حتى أنه تم تصوير فيلم (الإنس والجن) الذي جسّد فيه البطولة الفنان عادل إمام ويسرا داخل القصر، وكأن القصر يتحدث عن الأرواح والأشباح. ليس هذا فقط، بل إن القصر شهد أشهر أزمة شبابية عندما اختارت مجموعة من الشباب المنحرفين ممارسة طقوس عبادة الشيطان في هذا القصر المهجور.

وأشار إلى أن الورثة باعوا القصر في مزاد علني عام ١٩٥٣م للشيخ عبد الله السليمان السعودي مقابل مائة ألف جنيه، ثم بيع القصر إلى محمد علي الكسم، وشخص سوري آخر، ثم باع السوري الآخر نصف القصر الذي يملكه إلى أحد الشيوخ السعوديين، واستمر النزاع بين الملاك الأصليين والحكومة المصرية حول كيفية الاستفادة من القصر، إلى أن صدر قرار رئيس مجلس الوزراء عاطف صدقي في عام ١٩٩٣م باعتبار القصر أثراً، وقد عرض الورثة بيع القصر إلى وزارة الثقافة مقابل ٢٥ مليون دولار، إلا أن الأخيرة رفضت ذلك للمبالغة في السعر، وكان آخر عرض قدمه الملاك الجدد للقصر هو بيعه بمبلغ ٤٢ مليون دولار، وبعد مرور سنوات على هذا العرض قامت (جمعية تنمية خدمات مصر الجديدة) بالتدخل لإنهاء مشكلة القصر، وكان هذا مقدمة لعقد اتفاق بين وزارة الإسكان والملاك الجدد يقوم على المقايضة بقطعة أرض كبيرة في مدينة القاهرة الجديدة، دون أن تدفع الدولة أي مبلغ آخر، وبعدئذ بدأت الوزارات المعنية في ترميم القصر والحديقة بشكل مؤقت لاستقبال الاحتفالية بمئوية مصر الجديدة، على أن يتم ترميم القصر بشكل كامل في مراحل أخرى لاحقة.

إعادة الاعتبار

وحول فعاليات الاحتفالية قالت نجوى شعيب رئيس اللجنة المنظمة للاحتفالية إن فعاليات الاحتفال ستستمر لمدة ثلاثة شهور متواصلة تتضمن مختلف الأنشطة الثقافية والأدبية والفنية والرياضية، ومنها إقامة مهرجان بمنطقة الكوربة التاريخية، وعروض عسكرية وكرنفالية بميادين مصر الجديدة المختلفة، بالإضافة إلى إقامة بطولة في كرة القدم باستاد الكلية الحربية، وسيتم تأليف كتب عن ذكريات عديد من الشخصيات البارزة التي أقامت في حي مصر الجديدة، وذلك بالتعاون مع المركز الثقافي الفرنسي، وستقيم مكتبة مصر الجديدة معرضاً للصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية لكبار الفنانين والرسامين المصريين، كما يعرض المصور عادل أمين عدداً من الصور لقصر البارون قبل أن يتم إهماله لسنوات طويلة، وسيتم وضع مسلة من المسرح النحتي للفنان آدم حنين في أحد ميادين مصر الجديدة، ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار وتتكلف حوالي مليون جنيه مصري.

وأضافت نجوى شعيب: إن الاحتفالية التي تستمر لمدة ثلاثة شهور تسعى إلى مشاركة أبناء ضاحية مصر الجديدة في إعادة جمال ورونق مدينتهم مرة أخرى، خاصةً بعد أن تعرضت في الفترة السابقة لتعديات أدت إلى اختفاء ملامحها الجمالية المتمثلة في المباني القديمة ذات الطراز الإسلامي، وسيقوم رجال الأعمال وأصحاب المحلات التجارية بطلاء واجهات العقارات بشوارع المدينة الرئيسة، وتغطية جميع التعديات القبيحة من أجهزة تكييف وغيرها، خاصة أنها غطت على الطابع المعماري والعمراني لمصر الجديدة، والتي تتميز بنظام (البواكي)، وكانت تستغل للحركة التجارية، وتتميز أيضاً بوجود أبراج رأسية في زاوية المباني تنتهي بالقباب والمباني المختلفة، ولا يزيد ارتفاعها عن خمسة طوابق.

وفي نفس الإطار يقول د. عبد الوهاب بكر أستاذ التاريخ المعاصر: إن البارون إمبان عندما شرع في إنشاء مدينة مصر الجديدة (واحة الشمس سابقاً) حرص على اختيار أفضل التصميمات الأجنبية، وسعى إلى تأسيس هذه المدينة على أفضل ما يكون، بحيث تضاهي مثيلاتها في العواصم الأوروبية من حيث الإبداع والذوق الفني، وفي نفس الوقت قام باختيار قصره الشهير ليكون مقراً له، وهو شكل فريد يجمع بين أكثر من فن وطراز معماري، منه الهندي والقوطي، والفنون الأوروبية الحديثة، بالإضافة إلى الطراز الإسلامي، وهذا القصر يعتبر مدرسة فريدة في فن المعمار الحديث، حيث إنه لا يقتصر على مدرسة واحدة من مدارس البناء.. فالشكل الخارجي مقتبس من الفن المعماري الهندي، وفي الداخل نجده يحتوي

على عدد من الفنون المعمارية المختلفة، وفي أعلى المبنى يوجد برج يدور على صينية تعمل بالكهرباء، وعلى مدار الساعة تستطيع أن ترى الجهات الأربع دون أن تتحرك من مكانك. وقد كان البارون إمبان يأكل في هذا البرج، ويستضيف ضيوفه وأصدقاءه في هذا المكان الفريد في مصر وقتها.

وأوضح أن القصر تعرض للإهمال لفترات طويلة، وتناولت يد الإفساد والإهمال أرجاءه، خاصةً بعد أن باعه الورثة إلى عدد من الأثرياء العرب حتى بدأت فكرة إحيائه من جديد.

المدينة الاستعمارية

وأكد أن البارون إمبان حاول تطبيق تصور المفكر أندريه ريمون، الذي يحاول إيجاد نوع من أنواع المدينة الاستعمارية، والتي ينشأ بها ضواحي للأجانب والمواطنين، وهذا الشكل نجده في بعض المدن المصرية مثل مدينة بورسعيد التي بها حي للمصريين وحي للأجانب، وقد استوحى البارون إنشاء هذه المدينة من هذه الفكرة، وفعلا قسَّم المدينة إلى قسمين، الأول يضم عزبة المسلمين وشارع بلبيس وغيرها، وكانت تضم العمال المصريين العاملين بالشركة في مشروع إنشاء مدينة مصر الجديدة. وقد تطورت هذه المناطق مع مرور الوقت فاستوطن بها الأولاد والأحفاد والأقارب، وفي المقابل نجد شوارع الأجانب من عينة شارع بيروت والكوربة والإسماعيلية. وأشار إلى أن مدينة مصر الجديدة في الخمسينات من القرن العشرين لم تتجاوز سينما كريستال بالاس وشارع النزهة، ولم تبلغ المدينة هذا الاتساع إلا بعد ثورة ١٩٥٢م حيث ظهرت شوارع عبد العزيز فهمي وشيراتون وميدان تريومف، وغيرها، مما أدى إلى توسعها في مختلف الاتجاهات.

وأضاف أن قصر البارون مهجور ومهمل من قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م، ومن قبل قرارات التأميم، وإن كان قد زاد هجرانه وإهماله بعد هجرة الأجانب من مصر لصدور قوانين اقتصادية تحدّ من نشاطهم، وقبل ذلك فإن أصحاب القصر الأصليين، وهم ورثة إمبان ابتعدوا عن القصر وهجروه، وتم بيعه بعد ذلك إلى بعض الأثرياء العرب الذين سعوا إلى الاستفادة من القصر تجارياً وسياحياً، ومن ثم بدأت المنازعات بين الحكومة المصرية وملاَّك القصر حول كيفية الاستفادة منه، وأحقية الدولة فيه، ومنذ وقت قريب أفاق المسؤولون في مصر، ورأوا أن موقف الملاَّك الجدد قوي، لوجود وثائق رسمية تؤكد حقهم في الاستفادة من القصر، فكان قرار المقايضة

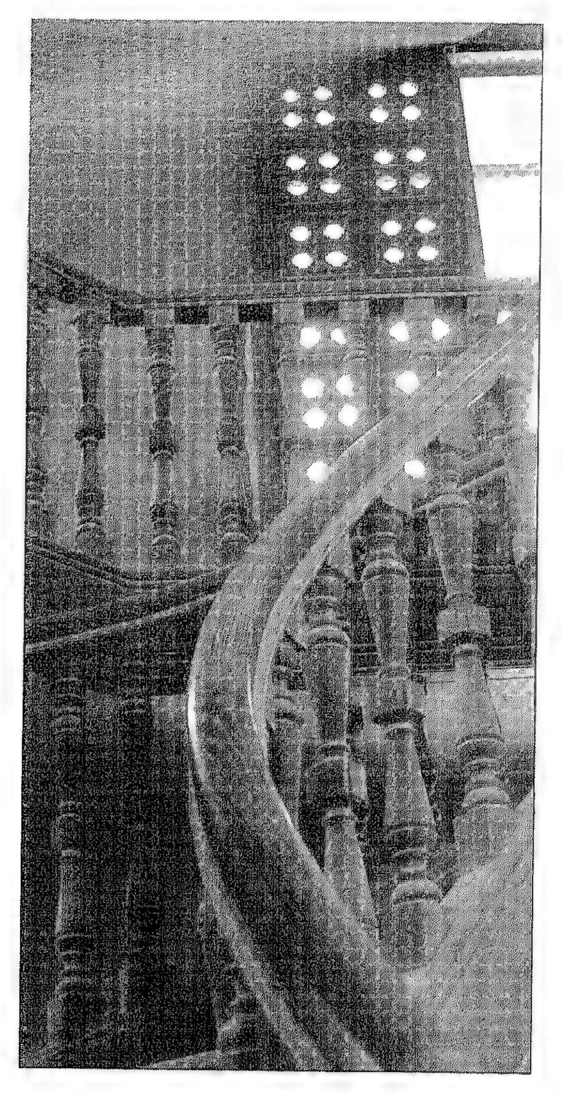

درج داخلي في قصر البارون

بقطعة أرض في مدينة من المدن الجديدة.

يُذكر أن البارون إمبان قد لفت انتباهه تصميم هندسي لقصر أسطوري صممه مهندس فرنسي يدعى مارسيل، فاشتراه منه، وقام بتنفيذه في قصره الشهير، أما عن التماثيل والتحف الموجودة بالقصر، فقد استقدمها البارون من مختلف دول العالم.

وقد تضاربت الروايات حول تاريخ وفاة البارون، فقيل إنه توفي عام ١٩٢٨م عن عمر يناهز ٧٦ سنة، أما الرواية الاخرى فتقول إنه توفي عام ١٩٤٧م، وقيل إنه أوصى بحرق جثمانه ونثر رماده على الطريقة الهندوسية، وقيل إن جثمانه نقل من فرنسا إلى مصر، وأقيمت له جنازة مهيبة حضرها كبار رجال الدولة..

ورحل البارون، وبقي القصر، واستمرت وتوسعت (مصر الجديدة) الحي والمدينة.. والوطن أيضاً. ■

اللغة العربية في مهب الريح (٥٧)

تقليد.. على غير هدى

الطريقة الكلية

■ د. محمد أحمد عبد الهادي

منذ أن طُرد الاستعمار الغربي من ديار الإسلام، يتعرّض العرب والمسلمون لمؤامرات عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية من جانب الغرب، لم تنقطع حتى الآن، بعضها ظاهر وبعضها باطن، هدفها تمزيق وإضعاف العرب ومسخ هويتهم القومية، ومن بين ذلك محاولة القضاء على اللغة العربية الفصحى.

فالفصحى تساعد على جمع كلمة الأمة على عقيدة واحدة، فهي الوسيلة لفهم القرآن العظيم، وتذوق معانيه الرفيعة، وقابليتها للحياة والحضارة والثقافة والعلم والتقدم الفكري.

إن اللغة العربية لغة القرآن. والإسلام بتعاليمه الإسلامية وحثه على طلب العلم، هو الذي يحفزنا على فهم اللغة العربية الفصحى، بل هو الذي حفز أجدادنا على الابتكار وتدوين جميع علوم اللغة. وأي محاولة للفصل بين القرآن والشريعة من جهة، وبين اللغة العربية الفصحى من جهة أخرى مقضي عليها بالفشل في مهدها.

لقد أدرك المغرضون أن الفصحى تجمع العرب في أمة واحدة، بل تجمع المسلمين على اللسان العربي المبين، لسان القرآن، فتجعل منهم جسداً واحداً وثقافة واحدة، ولذلك لم يكن لهم سوى هدف واحد وهو محاربة الفصحى والقضاء عليها تدريجياً مستهدفين من وراء ذلك ديننا الحنيف وكتابه المجيد وتراثه التليد.

وليس أدل على ذلك من قول (دوفرين) في تقريره

.. والكيد للفصحى

بالحرف الواحد [1]: «إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى – لغة القرآن – كما هي في الوقت الحاضر».

لقد تعرضت اللغة العربية لمحاولات شتى منها إحلال اللغات الأوروبية محلها في بعض البلدان العربية التي تعرضت للاستعمار الأوروبي كما حدث في الجزائر، وإحلال الحرف اللاتيني في بعض الدول الإسلامية، كما حدث للغات التركية والإندونيسية والسواحلية والهوسا والصومالية بعد انضمامها لجامعة الدول العربية، كما جرت عدة محاولات لإدخال الحرف اللاتيني في مصر ولبنان. لقد ألّف القاضي الإنجليزي (ولمور) كتاباً سماه (لغة القاهرة) عام ١٩٠٢م، اقترح فيه اتخاذها لغة للعلم والأدب، وكتابتها بالحروف اللاتينية.

وفي عام ١٩١٣م نادى عضو مصري في مجمع اللغة العربية هو (عبد العزيز فهمي باشا) بكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وأصدر كتاباً يوضح فيه طريقته. أما (أنيس فريحه الخوري) فلم يرض أن تكون العامية اللغة المعتمدة فقط، بل دعى إلى كتابتها بالحروف اللاتينية لتكون لغة رسمية للعرب، لأن الحرف العربي لا يصلح لتدوين اللهجة العامية.

وقد تصدى لهذه الدعوة المغرضة جمع كبير من الأدباء والكتاب في مقالات نشروها، أو في كتب ألفوها. فهذا محب الدين الخطيب يرد على عبد العزيز فهمي ومشروع الكتابة بالحروف اللاتينية بقوله:

«نحن إذا اتخذنا عبد العزيز فهمي إماماً لنا وصلينا وراءه، ومشت مصر كلها على مذهبه في الكتابة العربية بالحروف التي يقترحها، فإن ناشئة الأجيال ستعتقد أنها من ذرية المفلسين، وأنها عالة على هؤلاء الإفرنج حتى في أولويات الثقافة ومفاتيحها ومظاهر حياتها الابتدائية، وأقل ما يقال في نتائج هذا الاقتراح إنه سيسقط الصلة بين الأجيال الآتية وبين أثمن تراث تعتز به الأمم العزيزة، وإنني أؤكد لعبد العزيز فهمي أن اقتراحه سقط، وأنه تضمن عوامل موته، وأنه زرع لا ينبت في التربة التي يراد غرسه فيها»[2].

الطريقة الكلية

غير أن هواة الحداثة قد استطاعوا أن ينفذوا من خلال نظريات علم النفس في تدريس اللغات، واختاروا مصر لتكون رائدة في ذلك بحكم أنها تمثل مركز الإشعاع الفكري للعرب والقلعة الكبرى للوطن العربي.

ففي بداية الخمسينيات من القرن الماضي استطاع بعض علماء النفس في مصر أن يقنعوا رجال التربية والتعليم بإدخال ما يسمى بـ (الطريقة الكلية» في تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية في كثير من الدول العربية.

وقد شاهدت اللغة العربية تدهوراً وضعفاً منذ تطبيق هذه الطريقة الكلية التي اقتبست من طريقة تعليم اللغات الأوروبية بها.

وفي الآونة الأخيرة ارتفعت أصوات بعض الكتاب والمفكرين في مصر داعية إلى إلغاء هذه الطريقة والعودة إلى الطريقة التقليدية القديمة في تعليم اللغة العربية.

إن المشكلة الأساسية في ضعف تدريس اللغة العربية ترجع الى أن النظريات التي بُنيت عليها مناهجها لم يؤسسها علماء اللغة العربية وإنما علماء النفس التربويون الذين نهلوا من علم النفس الغربي، ولكنهم لم يتنبهوا الى الفروق الجوهرية بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأوروبية، كما أن أصوات علماء اللغة العربية لم تكن قادرة على مواجهه تيارات الحداثة الغربية في مختلف المجالات ومنها مجال التربية القائم على علم النفس الحديث الذي فُتن به المثقفون العرب منذ اطلاعهم عليه وحتى الآن.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد تمكن الدكتور عبد العزيز

عبد المجيد وهو من كبار التربويين فى مصر أن ينبه فى عام ١٩٦١م إلى بعض خصائص اللغة العربية التي تختلف بها عن اللغات الأوربية فقال:

«.. أنبه إلى نقطة هامة: إن نجاح طريقة من الطرق في تعلم القراءة بلغة أوروبية لا يكفى دليلاً على إمكان نجاحها في تعليم القراءة باللغة العربية، إذ أن للغة العربية من حيث خطها ورسم إملائها، خصائص تخالف خصائص اللغات الأخرى، وهنا موضع الفشل لكثير من الطرق التي نجحت فى تعليم القراءة باللغات الأجنبية وتطبق بنصها فى اللغة العربية»[٣].

أسباب تدهور اللغة العربية

وفي الأول من إبريل ١٩٩٦م كتب الدكتور أحمد هيكل –وزير الثقافة الأسبق– مقالاً بين فيه أسباب ضعف اللغة العربية وتدهورها على كافة المستويات التعليمية فقال فيما يخص تعليم اللغة العربية (في التعليم الابتدائي) ما يلي: «إن أسباب الضعف اللغوي تبدأ من مرحلة التعليم الأولي، وتستمر في مراحل التعليم العام، وتتضاعف في مراحل التعليم العالي. ففي المرحلة المبكرة من التعليم، تهمل أساسيات تعليم اللغة، التي يجب أن تبدأ بتعويد النشء نطق الأصوات اللغوية – التي ترمز لها الحروف– نطقاً سليماً، كما يهمل تعليم المبتدئين علامات الشكل والمد والتشديد والتسكين والوصل، وما إلى ذلك من رموز تعين على ضبط النطق وسلامة الكتابة.

وقد آن الأوان لنقرر –دون تردد– أن هذا النقص أو العيب في العملية التعليمية إنما جاء حاصراً لتعليم الأطفال بما يسمى الطريقة الكلية، التي عرفت تندراً بطريقة (شرشر).. وقد آن الأوان لنقرر ذلك –دون تردد– إن الطريقة البسيطة التي تعلّم بها أسلافنا – والتي تعلمنا بها أيضاً– وهي طريقة التعرف على الحروف المفردة للأصوات اللغوية، وما يتبع ذلك من التعرف على الحركات القصيرة والطويلة التي تتصل بكل حرف، من فتحة وضمة وكسرة، ثم ألف وواو وياء، ثم ما يلحق بهذا التعرف على الرموز الصوتية التي تضبط الكلمات من شدة ومدة ووصلة وسكون، أقول قد آن الأوان لنقرر أن الطريقة البسيطة التي تعلم النشء أولاً تلك الحروف والحركات والرموز، ثم تعوّده تكوين كلمات منها، ثم تكوين جمل من الكلمات ثم موضوعات من الجمل وهكذا، تلك الطريقة البسيطة هي ما ينبغي أن نعود إليها بعد أن ثبت إخفاق تجربة الطريقة الكلية التي أتبعها أصحابها بكل حسن النية، والرغبة في تحسين عملية تعليم اللغة للنشء، والتي ينبغي أن يرجعوا عنها بكل شجاعة الرأي، لنفس السبب، وهو تحسين عملية اللغة للنشء.

هذه هي البداية وبعدها تأتي بقية مراحل التعليم العام المختلفة، وفي هذه المراحل لا تُعلم العربية الآن على وجهها المرضي ورغم ما يبذل من وزارة التعليم ورجالها المخلصين من جهد.. والسبب في عدم تعليم اللغة في مراحل التعليم المختلفة على وجهها المرضي، هو أن تلك المراحل يُهمل فيها أهم ما يطلب في تعليم اللغة وهو تكوين (الملكة اللغوية) عند المتعلم»[٤].

دفاع عن الطريقة الكلية

غير أن أنصار الطريقة الكلية من أساتذة التربية المتأثرين بمعرفة نظريات علم النفس أكثر من تعرفهم بأسرار اللغة العربية وخصائصها ما زالوا يتشبثون بالطريقة الكلية. ففي صحيفة الأهرام بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٩٧م، كتب سعيد إسماعيل علي أستاذ أصول التربية بجامعة عين شمس مقالة يدافع فيها عن الطريقة الكلية بقوله: إنها بنيت على عشرات الدراسات المحلية والعالمية خلال سنوات عدة في كثير من لغات العالم. وكانت هناك مدارس حكومية ذات مستوى علمي رفيع تجرب فيها طرق التعليم الجديدة قبل تعميمها كما يقضي بذلك المنهج العلمي. والتعثر الذي واجهته الطريقة الكلية في التطبيق إنما يرجع ضمن ما يرجع إلى القصور في إعداد وتدريب معلمي التعليم الابتدائي.

وسوف يحاول كاتب السطور الآن أن يبيّن عقم الطريقة الكلية ومخاطرها مقارنة بالطريقة الحرفية الأبجدية من النواحي اللغوية والنفسية على الطفل العربي ولغته الأم في السطور التالية.

١– الفرق بين الإدراك الكلي والإدراك الجزئي:

يرى أنصار الطريقة الكلية أن تعليم الطفل الكلمة بصورتها العامة أولاً، ثم تحليلها للتعرف على حروفها يتفق مع فطرة الإنسان عندما يدرك شيئا لأول مرة، فهو يدركه غالباً في صورته الكلية العامة أولاً، وبعد ذلك يبدأ بالانتباه إلى جزئياته. فإذا كان هذا الرأي ينطبق على مشاهدة الإنسان لما حوله بواسطة العين، لكنه لا ينطبق على طريقة الإدراك عموماً، فهناك بقية الحواس الأخرى التي تعمل سوياً ومتأثرة تحت قيادة العقل الإنساني الذي يصوغ الإدراك الشامل للفهم من

عناصره المختلفة وليست العين كما يرى أنصار الطريقة الكلية.

٢- أن الأصل في اللغات اللاتينية الكلمة وليس الحرف وذلك للأسباب الآتية:

«أ» أن الحرف في الكلمة الإنجليزية قد يلفظ لفظاً مختلفاً من كلمة إلى أخرى مثل حرف(C) ينطق (س) و(ك) ولذلك لا يمكن للمتلقي أن يعتمد على صوت دائم للحرف اللاتيني، وإنما ينبغي الاعتماد على الكلمة كوحدة أساسية للغة الإنجليزية لقراءتها.

«ب» تلفظ بعض الحروف المختلفة لفظاً واحداً متشابهاً في كثير من الكلمات بحيث لا يمكنك الاعتماد على قراءة الكلمة حسب حروفها وإنما عليك قراءة الكلمة ككل كما يلقنونها لك، مثل الكسرة الطويلة التي نكتبها بالعربية (ي)، فهي تكتب في الإنجليزية (EE, EA, EI, IE, E, Y).

«ج» نهمل نطق كثير من الحروف مثل (H) في (Honour)، و(GH) في (night)، و(K) في (Knigt)، و(B) في (Climb)، في كثير من الكلمات. وما على المتعلم إلا أن يقرأ الكلمة كما يعلمونه إياها دون أن يستطيع قراءتها حسب حروفها.

«د» أن عدم ثبات الحروف في اللغة الإنجليزية جعل تعلمها لا يعتمد على الحرف وإنما على الكلمة، فهي تتغير حسب أعراف ومصطلحات متوارثة لا تأبه بأصوات الحروف المكونة للكلمة.

ولذلك وضع في قواميس اللغة الإنجليزية قاموس التهجي أمام كل الكلمات التي لا تلفظ حسب حروفها، رتبت فيها حروف الهجاء حسب لفظها وقراءتها، وبسبب هذه الخصائص التي تتصف بها حروف اللغة الإنجليزية فإن تعليم قراءتها حسب الكلمات يتفق مع منطق هذه اللغة التي لا يمكن تعليمها بالاعتماد على حروف مثل اللغة العربية.

الحرف هو الأصل

٣- الحرف هو الأصل في اللغة العربية وذلك للأسباب الآتية:

«أ» أن أصوات الحروف العربية تلفظ لفظاً واحداً في جميع الكلمات ولا تتأثر بمواقعها في الكلمات وكل حرف له صوت مميز لا يتشابه مع غيره أبداً.

«ب» أن الكلمة العربية تقرأ حسب ترتيب حروفها دائماً ولا يطمس عند قراءتها أي حرف باستثناء اللام الشمسية التي تقتضيها سهولة مخارج بعض الحروف من الحلق وزيادة الواو في اسم عمرو لتميزه عن اسم عمر.

«ج» الحرف العربي حرف حركي وهو ليس ساكناً إلا في بعض الحالات، فهو بالإضافة إلى سكونه يتحرك سبع حركات أخرى حسب علامات التشكيل، فضلاً عن تحركه بالمد حسب أحرف العلة، ولذلك فالحرف العربي عند قراءته يتحرك ثماني حركات حسب إعراب الكلمة، وهذه الميزة جعلت إمكانية وجود كثير من الكلمات في اللغة العربية تخلو من أحرف العلة، بينما لا تستطيع أن تجد كلمة إنجليزية واحدة بغير حرف العلة الذي تعتمد عليه في تحريكها. وعليه فإن تعلم اللغة العربية حسب حروفها المتحركة يصبح أمراً لازماً.

«د» لا توجد في معاجم اللغة العربية قواميس داخلية تعلمك كيف تلفظ الكلمات لأنها لغة تقرأ كما تكتب وليست كالإنجليزية التي لا تقرأ كما تكتب.

ونستطيع أن نستخلص مما سبق أن تعليم اللغة العربية التي تعتبر الحرف هو الأصل - بواسطة قراءة حروف الكلمة هي حروف بنائية يستخدم فيها القارئ عقله بمنطق التركيب الذي يعتبر مرحلة راقية في التفكير، أما تعليم اللغة الإنجليزية -التي تعتبر فيها الكلمة هي الأصل- فهي طريقة ببغاوية يستخدم فيها القارئ ذاكرة الحفظ فقط التي تعتبر مرحلة متخلفة في التفكير.

٤- أن الكلمة الإنجليزية تحتفظ بصورة واحدة ولفظ واحد لا يتغيران مطلقاً ما دامت دلالتها اللغوية واحدة. أما الكلمة العربية فإن لفظها يتغير كثيراً بعلامات التشكيل، وأما معناها فيتغير كلية من حال إلى حال فيمكن أن تتحول نفس الكلمة من اسم إلى اسم مثل عِلم =(Science)، وعَلَم = (flag)، ومن فعل ماض إلى فعل أمر مثل عَلّمَ = (Taught)، وعَلِّم = (Teach)، ومن فعل إلى اسم مثل عَلِم = (Knew)، و عِلم =(Science).

تبين الأمثلة السابقة أن الحروف هي الأصل في اللغة العربية، وأن الكلمة هي الأصل في اللغة الإنجليزية،

ولذلك لا بد من تعليم اللغة العربية بحروفها بينما يجب تعليم اللغة الإنجليزية بكلماتها والتي تسمى الطريقة الكلية والتي لا تصلح للغة العربية الفصحى أبداً.

لغة اشتقاقية

٥- وجود حروف أساسية للاشتقاق الواسع في اللغة العربية وضيق الاشتقاق في اللغات الأخرى لانعدام الأحرف الأساسية:

فاللغة العربية لغة اشتقاقية وليست إلصاقية، بمعنى أن هناك أصلاً لغوياً واحداً لكل معنى ثم تتفرع عنه فروع أي ألفاظ متنوعة تدل على دلالات متنوعة كالأصل اللغوي (جن) فهو يدل على الستر والتغطية ثم تتفرع منه فروع كثيرة لكنها تعود إليها دائماً، فمنه الجنة لتكاثف أشجارها ذات الظلال وتغطيتها أرض الجنة، والجن لاستتارهم عن الأعين، والجنون لأنه – كما تصور العرب– يغطي العقل، والجنين لاستتاره في بطن أمه، والمجن آلة تحمى المقاتل من ضربات السلاح وهكذا.

أما اللغات الأوروبية فأكثرها إلصاقية. أي عند تكوين كلمة جديدة يتم مزج كلمتين معاً كما في(Break) بمعنى يكسر، و(fast) بمعنى يصوم، ومنهما تكونت (Breakfast) بمعنى الإفطار، والمعنى الحرفي قبل الإلصاق هو (كسر الصوم)[٥].

وتأسيساً على ما تقدم بشأن الاشتقاق نستنتج الآتي:

«أ» أن تدريس الحرف العربي مهم جداً لكونه أساس الاشتقاق الذي تتميز به اللغة العربية في فهمها وتطورها ومعرفة أصولها وجذورها، وبسبب الاشتقاق تعتبر اللغة العربية أغنى لغات العالم بمفرداتها.

«ب» أن ضياع أصول اللغات الأوروبية واندراس أنسابها جعل الأوروبيين يفكرون بتدريسها بالكلمات وليس بالحروف أي بالطريقة الكلية، بينما هذه الطريقة الكلية تقتل اللغة العربية عندما تُدرس بها، فهي كمن يحاصر أصول اللغة العربية في المهد بحيث إن مفردات المتعلم تظل محبوسة في أقفاص (الطريقة الكلية) ولا يستطيع التصرف بحروف اللغة العربية في التوليد والاشتقاق.

٦- تحكم الحروف العربية في الإملاء والنحو والصرف:

تعتبر قواعد الإملاء من الخصائص الهامة في اللغة العربية، وهي تعتمد بصفة خاصة على الحروف.

فهناك اللام الشمسية وما يلحقها من حروف، واللام القمرية وما يلحقها من حروف، وهناك التاء المفتوحة والتاء المربوطة ثم هناك التنوين والمد. ثم هناك الهمزة وكيف تكتب في مواضعها المختلفة من الكلمة، وهناك حذف الحروف وزيادتها، وأخيراً هناك حالات الفصل والوصل في بعض الحروف ومواضع كتابة الألف اللينة.

إن حروف اللغة العربية لا تتحكم في الإملاء فقط، ولكنها تتحكم في قواعد النحو العربي الذي يبدو جلياً في تغير حركات الحروف أو حذف الحروف ذاتها أو زيادتها أو تغيرها حسب موقعها في الإعراب. وفضلا عن ذلك فإن قواعد الصرف في اللغة العربية تختص ببنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغير سواء بالزيادة أو النقصان.

إن ما نريد استخلاصه من هذا كله أن الحرف العربي هو أساس اللغة العربية وجوهرها كلها، ويجب أن يتعلمها الإنسان من البداية حتى يتعود على عجائب تلك الحروف التي تدخل في صناعة اللغة العربية وتؤهل تعلمها منذ الصغر، وتمكن دارسها طوال الزمن من امتلاك ناصيتها وغرس السليقة العربية اللغوية من فصاحة وبيان في لسانه وعقله حتى يتقدم في تعلمها في حب وشغف ويجيدها إجادة تامة بطريقة عفوية.

٧- موسيقية الحروف العربية:

يقول العقاد في كتابه (اللغة الشاعرة): «..إذا كان الحرف العربي هو الأصل في لغتنا التي تعتبر حروفها موسيقية، فكيف نحرم القارئ المتعلم من تنشئته عليها ونحولها إلى كتلة من الكلمات الجامدة لتعليمها بالطريقة الكلية، ونفقده لذة موسيقاها في تحركات حروفها المنغمة وكأنها حروف لغة لاتينية فنميت (السليقة الشعرية) و نعدم (الملكة اللغوية) في المنابع الحيوية للغة التي هي الحروف.

٨- الحروف العربية رموز بنائية تناسب منطق

العقل البشري:

إن منطق العقل البشري يعتمد دائماً على البنائية في التفكير، والعمل لتطوير الحضارة الإنسانية، واستخدام الرموز بطريقة بنائية يناسب التطور العقلي واللغوي، فالتجريد في الفكر هو أرقى مراحل التفكير الإنساني الذي هو في الأساس عملية تركيبية يتميز بها الإنسان لأنه حيوان (رامز) تخلص كثيراً من استخدام حركات جسمه وتصويتاته النمطية التي ما زال الحيوان الطبيعي يتصف بها كلغة للتفاهم مع بني جنسه.

أليست الطريقة الكلية في تعليم اللغات للأطفال هي تصويتات نمطية لمفردات اللغة (الكلمات) ثم تحلل إلى أجزائها في ما بعد، بينما هذا الطفل الذي بلغ السادسة من العمر قد تجاوز المرحلة الحيوانية وأصبح قادراً على تعلم اللغة كتابة بتركيب جزئياتها (الأحرف) للوصول إلى كلياتها (الكلمات ثم الجمل) بعد أن تعلمها سماعاً بكلياتها من محيطه فكون منها ثروة للتفاهم بما يكفيه مع بيئته.

٩- المران والتكرار في تعليم أساسيات اللغة للصغار وليس الإدراك الكلي:

منذ أن وجدت الخليقة والإنسان يتعلم بالمحاكاة والتقليد فالصغير يحاكي الكبير والجاهل يحاكي المتعلم والمتخلف يحاكي المتقدم وهكذا...فالإدراك يبدأ بتقليد ما نستطيع معرفته من معرفة الآخرين كأسهل وسيلة لاكتساب المعرفة، والطفل هو أكثر الأشخاص محاكاة وتقليداً لمن حوله لمعرفة الحياة وإدراك الأشياء، ولا يعني هذا أن الإنسان لا يتطور إدراكه إلا بالتقليد، فهو يفكر في كل ما يُقلد، ويدرك أشياء كثيرة بالممارسة العملية والفكرية، ولكن القاعدة الذهبية في المعرفة هي أولاً اكتساب خلاصة التجارب البشرية فى معرفة الأشياء والحياة ثم التفكير في المعاني التي لم تتكشف له بالمحاكاة.

فالطفل لا يستطيع أن يدرك معاني الأشياء من البداية التي لا تتلاءم مع سنه وذكائه لأن ذلك يخالف الطبيعة الإنسانية وطبيعة الحياة ذاتها.

إذاً فالمران والتكرار في تعليم اللغة العربية حرفياً للصغار -وهي عملية تعتمد على المحاكاة- تعتبر أنجع وسيلة لتعليم اللغة العربية، أما نظرية الإدراك الكلي لمعاني الحياة فهي تبدأ مع الطفل في فهمه للحياة ولكن أدوات الإدراك تختلف من مرحلة إلى أخرى، والطريقة الكلية التي تطبق تعسفياً على اللغة العربية تنفذ تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة)، أي أننا نضحي باللغة العربية فى سبيل إدراك معان صغيرة اليوم وضياع معانٍ كبيرة في الغد يمكن أن تأتي بها لغة عربية راقية في الغد. فكل من ضعفت لغته ضعف فكره، وكل من ضعف فكره ضعف إدراكه الكلي للحياة.

لقد آن الأوان لتغيير مناهج اللغة العربية بالاعتماد على خصائص اللغة الأم والعودة إلى منهج بسيط يعلم النشء أولاً تلك الحروف والحركات والرموز، ثم يعوّدهم تكوين كلمات منها، ثم تكوين جمل من الكلمات، ثم موضوعات من الجمل وهكذا. والقرآن الكريم هو أعظم نص يُعلم التلميذ الفصاحة والبيان والفهم لأنه نص مقدس يحترمه المعلم والمتعلم.

إن العودة لبعض ما في القديم ليس رجعية فكرية مادام يصلح لنا أكثر من الجديد. فبعض القديم جديد حي وبعض القديم جديد هالك.■

الهوامش:

١) مجلة منار الإسلام: عدد ربيع الآخر ١٤٢٥هجري، مقالة تحت عنوان (اللغة العربية في مجال الصراع بين القديم والجديد)، بقلم محمد أحمد عبد الهادي.
٢) مجلة منار الإسلام: عدد صفر ١٤٠٥ هجري، مقالة تحت عنوان (مشروع كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية)، بقلم أنور الجندي
٣) عبد العزيز عبد المجيد: اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، ناحية تحصيلها، ١٩٦١م، ص١٣٨
٤) جريدة الأهرام: مقالة بعنوان (اللغة العربية في حياتنا وأول أسباب ضعف مستواها)، بقلم أحمد هيكل. ١/٤/١٩٩٦م.
٥) مجلة منار الإسلام: عدد صفر ١٤٢٦ هجري، مقالة تحت عنوان (الوجوه والنظائر القرآنية في ضوء علم اللغة)، بقلم السيد خضر.

المراجع:

١- التربية وطرق تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية: فتحي حمودة ومحمد أحمد عبد الهادي، دار البيان العربي، جدة ١٩٨٤م.
٢- أزمة العصر: محمد محمد حسين.
٣- المؤامرة، أطفال العرب يتعلمون اللغة العربية بطريقة لاتينية: أم نيب صالح أحمد، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ١٩٩٨م.
٤- المربي والتربية الإسلامية: محمد أحمد عبد الهادي، دار البيان العربي، جدة ١٩٨٤م.
٥- حصوننا مهددة من داخلها: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

على خطى أجدادنا العباقرة:

أصغر حافظ للقرآن

■ محمد مصطفى مسلماني

نصاب بالذهول والتعجب عندما نقرأ أن أحد أجدادنا الأوائل كان سريع الحفظ، فيكفيه أن يسمع قصيدة لمرة واحدة فيحفظها رغم طولها.. بل إن الجاحظ -طيّب الله ذكره- كان يحفظ الكتاب كاملاً عندما يقرأه لمرة واحدة.. وأذكر تلك الحادثة المذهلة عنه هو أيضاً عندما اختلف خصمان من العجم أمام القاضي في مسألة تخصهما.. فطالبهما بالشهود، فقالا: إن الجاحظ كان جالساً على عتبة باب بيته عندما اتفقنا، فاستدعى القاضي الجاحظ.. الذي أقرّ بالواقعة وأنها حدثت منذ عام.. وأنهما كانا يقولان كلاماً لم يفهمه لأنه بغير لغته.. لكنه استطاع أن يعيد الكلام كله بعد سنة من سماعه.. فأنصف أحدهما وأدان الآخر.

لكن أن يحدث هذا الكلام الآن.. في ظل تراجع الذاكرة واختلاط المفاهيم وارتباك المشاعر والأحاسيس.. وازدحام الأذهان بما ارتقى وهان.. فهذا هو الإعجاز.

للوهلة الأولى ينتاب المرء شعور غامض وحالة من الذهول وهو يحاور الطفل عبد الله شغالة ذا الربيع السابع من عمره، فلولا براءة صوته وعفوية تصرفاته وصغر سنه وحجمه لجزم بأنه أمام شاب واعٍ متعلم فتح الله عن ذهنه وبصيرته ليحفظ القرآن مع بعض أحكام التجويد غيباً.. وليذهل المستمع بتعلمه لألف حديث نبوي شريف.. وليجعل نفوس الحضور تحلق في عالم الشعر المتنوع من خلال إتقانه لأكثر من ألف بيت من الشعر.

لكن واقع الحال يوقظ المرء من ذهوله واستغرابه، فعبد الله مجرد طفل صغير لكنه ليس كعامة الأطفال، ففي ذكائه ونبوغه وسرعة استيعابه ما جعله متميزاً.. بل ومتفوقاً على أقرانه من الأطفال حينما منحه الله عقلاً واعياً وذهناً صافياً وذاكرة قوية تساعده على حفظ وتذكر صفحة كاملة من القرآن الكريم لمجرد إلقائها مرتين أمامه.. ولذلك فليس غريباً أن يذهل علماء الدين والذين وصفوه بالطفل المعجزة لكونه أصغر حافظ للقرآن في العالم، فقد بدأ في حفظ القرآن وهو في ربيعه الثالث وخلال عام ونيّف تعلّم القرآن غيباً، ولم يمضِ إلا عدة شهور حتى ألحق ذلك بتعلمه لألف حديث نبوي وألف بيت من الشعر. فكيف بدأت قصة هذا الطفل المعجزة؟ ومتى ظهرت عنده بوادر النبوغ؟ ومن كان له الفضل في ذلك؟ من يساعده في هذا الخصوص؟ وماذا يطمح أن يصبح في المستقبل. ماذا يخطط له والداه؟ وفي أي الأوقات يحفظ ويتعلّم؟ ولماذا لم يدخل المدرسة حتى الآن رغم أن عمره قد تجاوز السابعة بقليل.. وأسئلة أخرى كثيرة راودتنا ونحن نحاور الطفل ووالده، والإجابة من خلال التفاصيل التالية:

لمحة عن حياة الطفل

وُلد عبد الله البكر لأسرة كادحة وتربّى في بيئة إيمانية تكاد تخلو من شتى مغريات الحياة الزائفة، والده يعمل بائعاً ومصلحاً للساعات في منطقة الكلاسة في حلب، وقد وصل بتعليمه إلى المرحلة الإعدادية فقط، ووالدته تعمل ربّة منزل، وجدّه لوالده هو الشيخ عبد الله شغالة الذي يعمل مدرساً في العلوم الشرعية منذ أكثر من نصف قرن، وقد بدأت بوادر الذكاء والنبوغ تظهر على الطفل بعد ربيعه الثاني بقليل حيث اصطحبه والده ذات مرة إلى دكانه وكان مذياع الجيران يبث بصوت مرتفع أغنية (ظلموني الناس) لأم كلثوم وبمجرد انتهاء الأغنية بدأ الطفل عبد الله يردد ما سمعه ببراعة فائقة ما لفت انتباه الأب وأثار دهشته.

قصته مع القرآن الكريم

استغرب (أحمد) والد الطفل قوة ذاكرة ولده وسرعة

ـرآن الكـريـم يواصل تألقه

عبد الله شغالة

حفظه، ولذا قرر بعد هذه الحادثة أن يوظف بداية هذه الطاقة لدى ولده في مجال قراءة القرآن، فشرح الأمر لزوجته وبدءآ سوية في قراءة بعض السور على مسامع الطفل الذي سرعان ما كان يردد ما يسمعه لمجرد سماعه مرة ثانية، ورغم أن الأمر في بدايته كان يمثل آيتين من بعض السور، ورغم ما كان يعاني منه الطفل من صعوبة في لفظ بعض مخارج الحروف، إلا أن والديه قررا المتابعة والاستمرارية في الاهتمام به فوضعا جُلّ وقتهما في رعايته وتعليمه، وما هي إلا عدة شهور حتى أصبح الطفل ينطق بلغة سليمة دقيقة ويدهش أهله بذكائه وسرعة حفظه واستيعابه يوماً بعد يوم، فتفرغ له الأهل بشكل كبير وبدأ والده بتعليمه القراءة والكتابة وصار يصطحبه معه دائماً إلى المسجد ويجعله يستمع إلى الدروس الدينية وخطب الجمعة وذلك إضافة إلى تخصيص الوقت الكافي يومياً لتعليمه القرآن الكريم وأحكام التجويد.

يتقن ألف حديث نبوي..

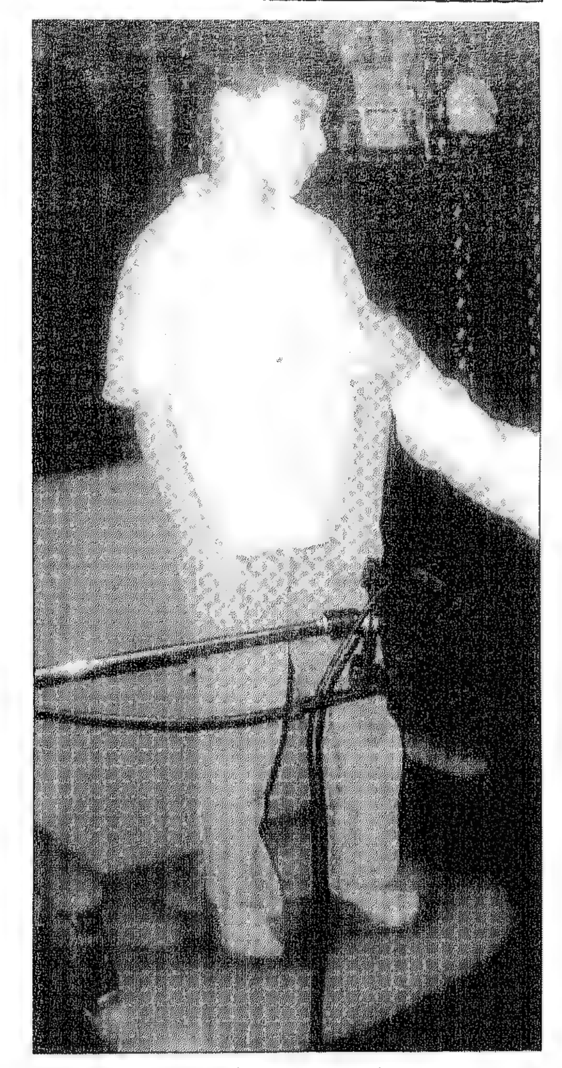
عبد الله أثناء تقديمه في أحد الاحتفالات

وكثيراً ما كان والد الطفل يرجع إلى والده الشيخ عبد الله شغّالة أي جد الطفل لأبيه في كثير من المسائل والقضايا التي يجد صعوبة في تفسيرها وتلقينها لولده، وذلك لكون جد الطفل عالماً من علماء مدينة حلب وإماماً وخطيباً ومدرساً في جمعية التعليم الشرعي (الشعبانية) منذ أكثر من نصف قرن، ولم يكمل الطفل عبد الله عامه الخامس إلا وقد حفظ القرآن الكريم غيباً مع ألف حديث شريف وأكثر من ألف بيت من متفرقات الشعر.

علامات الذكاء وحوادث تُذكر

وشيئاً فشيئاً ذاع صيت الطفل عبد الله في حلب وأصبح نبوغه وذكاؤه يعادل في مستواه من هم في الصف السابع أو الثامن، ما دفع بوالده إلى تعيين مدرس خاص له لكل مادة، فبرع الطفل في المواد العملية والأدبية وأبدع في العلوم الدينية وأتقن أصول علم الحاسوب، وبفضل ذلك قرر والده أن يُعلم وزير التربية بالأمر، ويطلب منه مساعدته في تسجيل ولده في الصف السادس الابتدائي على أقلّ تقدير، وعندما التقى بالوزير، امتحن الأخير الطفل عبد الله في العديد من المسائل العلمية وأعجب به أيما إعجاب وزاد في إعجابه حصول الطفل على المرتبة الأولى في مسابقة حفظ القرآن التي أجرتها وزارة الأوقاف السورية عام ٢٠٠١م حيث كان أصغر المتسابقين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤-٣٠ عاماً في حين لم يتجاوز عمر عبد الله آنذاك خمسة أعوام، ولكن وزير التربية السابق اقترح على الوالد تسجيل طفله في الصف الثالث أو الرابع الابتدائي معللاً ذلك بصغر سنّه وحجمه..!! فرفض الوالد ذلك لقناعته بأن الأمر يتعلق بالعلم والذكاء والموهبة والنبوغ وليس بصغر السن أو الحجم، فعاد الوالد أدراجه إلى حلب مصطحباً طفله عبد الله وفي نيّته المحاولة مرة أخرى، ومما يُذكر عن نبوغ وذكاء الطفل بعض الحوادث التي جرت معه في حلب وفي بعض الأقطار العربية التي زارها مع والده بطلب من بعض الشيوخ والعلماء بهدف التقدم إلى بعض المسابقات الدينية والتي كان فيها ينال المرتبة الأولى دائماً، ومن بعض هذه الحوادث، دخول الطفل عبد الله ذات مرة لإدارة إحدى المدارس الإعدادية في حلب حيث وجد على لوحة عبارة كتبت بصورة غير صحيحة

ويحفظ ألف بيت من الشعر

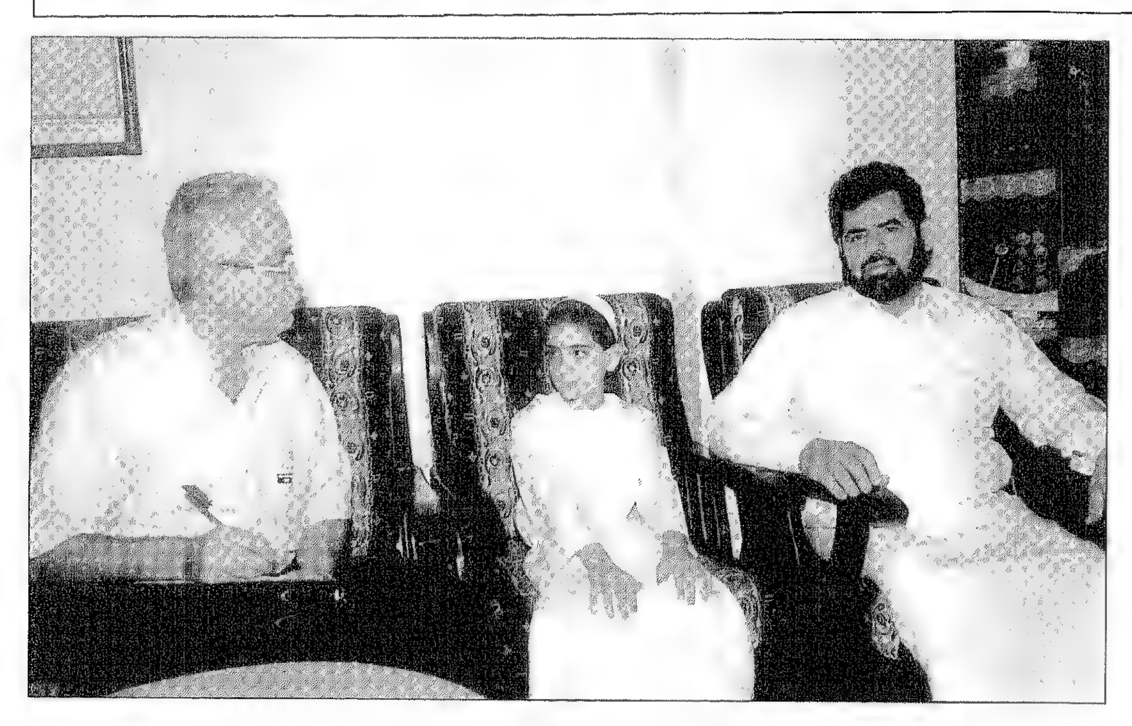

المحرر يجلس مع الطفل عبد الله ووالده

فقال للمديرة: هناك خطأ في هذه الجملة، فأجابت المديرة: غير معقول لأنني أنا التي كتبتها، ولكن أين الخطأ؟ فأشار إليه قائلاً بأن الهمزة يجب أن تكتب على هذا الحرف، فاستدعت المديرة إحدى المدرّسات للتأكد من ذلك وكانت تحمل إجازة في اللغة العربية فشاورتها في الأمر واتضح أن الطفل على صواب.

وفي دولة قطر وبينما كان الطفل -في حالة استثنائية- في جلسة حوار للكبار، سأل أحد الطيارين ضيف البرنامج السؤال التالي:

عندما أكون في الطائرة في رمضان والطائرة تحلّق في السماء والشمس قد غربت عن الأرض ولكنها لم تغرب عن الطائرة فهل يجوز لي الإفطار؟ فأجاب الشيخ يجوز الإفطار طالما أن سكان الأرض التي أنت فوقها قد أفطروا، عندها تدخل الطفل عبد الله قائلاً: لا.. لا يجوز الإفطار لأن الطائرة في هذه الحالة تمثل الأرض التي يفطر عليها أو يمتنع عن الإفطار، فاستاء الشيخ وأصرّ على الإفطار في مثل هذه الحال، فطلب الطفل أن يفصل بينهما أحد العلماء الأجلاء، فذهب الجميع إليه ووضعوا القضية أمامه، وكانت المفاجأة أن حكم الشيخ كان بصحة رأي الطفل عبد الله.

انطلاقة الطفل عبد الله

وبينما هو في حيرة من أمره لعدم تمكنه من تسجيل ابنه عبد الله في مرحلة متقدمة من مراحل التعليم وبخاصة بعد أن أتمّ سبر معلوماته ونجح بتفوق، جاءت الفرحة للوالد وابنه عندما تبنى الأستاذ (عبد الله الحمر) السفير القطري في سورية موضوع سفر الطفل عبد الله إلى قطر ليشارك في برنامج (دوحة الصائم)، الذي كان يعرض في الدوحة آنذاك.

ومن هناك، كانت الانطلاقة الأولى للطفل عبد الله ليتعرف على الشيوخ وعلماء الدين وليلتقي بهم والذين وصفوه بالطفل العبقري، ومنهم الشيخ الحبيب علي زين العابدين الجفري الذي تنبأ له

الشيخ عبد المعز يثني على الطفل عبد الله

بمستقبل واعد كبير، والشيخ عبد المعز عبد الستار وشيخ الأزهر الذي احتضنه وسمّاه (العالم الصغير)، وليشارك الطفل بعدئذ في البرنامج الديني للشيخ محمد حسين يعقوب لأكثر من مرة وليحظى بعد كل ذلك بشرف لقاء المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي غمره بحنانه وعطفه وأوصى به وبخاصة بعد أن كُرِّم الطفل بجائزة راشد بن أحمد المعلا للقرآن الكريم والثقافة الإسلامية في أم القيوين، ونال الجائزة الأولى في هذه المسابقة كأصغر حافظ للقرآن في العالم، حيث وصفه المستشار جاسم سيف بوعصيبة أمين عام الجائزة بقوله: «نفخر عندما نشارك في الاحتفاء بهذا الطفل ونكرمه»، وليتصدر هذا الطفل المعجزة بعد فترة من الزمن عناوين العديد من الصحف والمجلات وليكون ضيف العديد من المحطات الفضائية التي راحت تبرزه كأصغر حافظ للقرآن في العالم الإسلامي.

على دروب الإيمان والتحصيل الديني

ويعود عبد الله إلى مسقط رأسه في حلب بعد زيارات كثيرة للعديد من بلدان الوطن العربي وليستمر والده بالإشراف عليه بمساعدة لا تنقطع من جده، ويواصل الطفل تعلّمه للأحاديث النبوية بشغف ويتابع تحصيله الديني في مجال أحكام التجويد وتفسير القرآن وسير الصحابة وفي مختلف أمور الفقه والدين الإسلامي وفي أسئلة طرحناها عليه وتمثلت في نوعية أصوات المقرئين المحببة لديه، وماذا يطمح أن يصبح في المستقبل، وبماذا ينصح أبناء جيله ممن هم في مثل سنّه؟ أجاب الطفل المعجزة بثقة الكبار فقال: «اسمع للشيخ الغامدي والشيخ عبد الباسط والشيخ الحذيفي والشيخ السديس والشيخ محمد أيوب يوسف، وأتمنى أن أصبح في المستقبل علاّمة في الشريعة، وذلك لأن الرسول ﷺ قال: «إن لله أهلين، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»، وأنا أنصح أبناء جيلي بأن يتعلموا القرآن. وعندما سألناه لماذا القرآن حصراً، أجاب: «لأن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه». ■

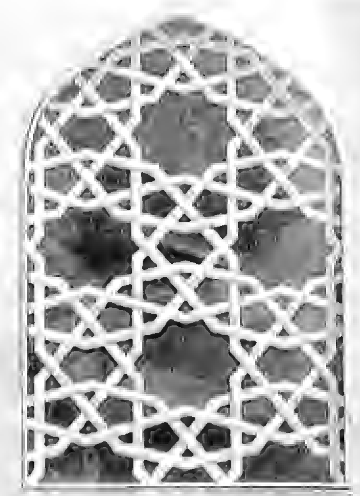

صفحات من الذاكرة شعبية

■ عبد العزيز المسلم

مدير إدارة التراث - الشارقة

www.alkonoz.com

دعوة للتراث

لماذا التراث دائماً، هل لعلاقته بالهوية، أم لتعلقنا الوجداني به، أم للأدب والثقافة البحت، أم هذه الأشياء كلها مجتمعة، فكلما ألحّ خاطر التراث تداعت كل القوى بين مؤيد ومعارض، لكن تبقى الكتابة في هذا المجال الخصب هي المحور الأوسط والأهم في مجمل الأمر.

فالكتابة في التراث الثقافي تأتي ضمن مفهوم السهل الممتنع، وهو المجال الذي يستسهله غالبية الكتاب الإماراتيين، كما يتجرأ عليه غير الإماراتيين من العاملين في مجال الصحافة والإعلام والسياحة، لسبب رئيس ألا وهو غياب المرجعية الرسمية في هذا المجال.

للدلالة على قضية غياب المرجعية تشير إلى ذلك الكمّ الكبير نسبيا من الكتب، والإصدارات الأخرى المقروءة، والسمعية والبصرية، والسمعبصرية، التي تعجّ بها المكتبات والمراكز والمحطات ذات العلاقة، كما تشير إلى البرامج السياحية أيضاً، وهي أمور ليس لها علاقة مباشرة بالتراث، بل هي مما يشوه التراث الثقافي للدولة ويبخس حق الهوية المحلية بل ويساهم بالإضرار بها.

لا نقصد من هذا الكلام التنظير الذي ليس من ورائه طائل، بل هو حوار العقل، الذي يلح في هذه المسألة، التي باتت تقلق كل الغيورين، ممن لا تتحكم المصالح الشخصية والمنافع الخاصة في توجهاتهم.

التراث قد يدخل في كل مناحي الحياة، وقد يكون شأن كثير من المؤسسات الحكومية والخاصة: الثقافة، التربية، التعليم، الإعلام، التاريخ، الجغرافيا، السياحة، العلوم، البيئة ..إلخ.

بل قد يدخل في السياسة والاقتصاد وغيرها من شؤون الدولة الحديثة، فهو نظام حياة ومعارف نبتت في هذه الأرض وترعرعت ضمن حدود وتجارب محلية بحتة، لذا فهي الأصل في الاتباع والتقفيد.

وقد يقول قائل إننا بهذا ندعو إلى الرجوع إلى ماض عفا عليه الزمن، بدلاً من الدعوة إلى التقدم والتطور، لكننا نشير إلى أنه بالفعل هناك حالياً من يتمسك بالعودة إلى الوراء بعادات سيئة وتقاليد بالية وسلوكيات مرفوضة، ويتناسى كل العادات والتقاليد الجيدة والمشرقة، وهي دعوة مرفوضة.

وهناك أيضاً من يغفل عن كثير من المعارف الشعبية التي نحن بحاجة إليها في الوقت الحاضر، لأنها علم محلي خاص، فحسابات النجوم والتقويم العربي وأنظمة الري والزراعة والملاحة البحرية ومعرفة قيعان البحار وأنظمة الحفظ والتخزين ولغة الغطو (اللغة السرية)، كل هذه المعارف ليست بالشيء الهين، ولو علمت بها أمم غيرنا لقايضتنا عليها بمبالغ باهظة.. ولكن!

دعوة مخلصة نقدمها لمن بيدهم القرار ونقول لهم إن هناك قلة قليلة متبقية من حملة هذا التراث العريق فأسعفونا بالاهتمام بهم والانتفاع بما يحملونه من ذخيرة.

فنر

أعتقد بأن الملاحق الأسبوعية التي قد يزيد عدد صفحاتها أحياناً على الأربع صفحات، تدعو أصحابها دائماً إلى الانحراف السلوكي، لأنهم خلال فترة وجيزة يتعلمون السرقة ويمتهنون سلب جهود الآخرين، ليغطوا المساحات الورقية البيضاء، قتياً لهم.. ■

المدرسة القبلية في الكويت

عمارة وتاريخ.. على رف الذاكرة

■ آمنة فيروز

المدرسة القبلية للبنات في الكويت من المدارس القديمة التي لعبت دوراً مهماً جداً في التعليم.. ورغم ذلك.. فهي تكاد تكون منسية.. لأن التركيز كان منصباً على المدرستين الأساسيتين وهما المدرسة المباركية ١٩١١م، والمدرسة الأحمدية ١٩٢١م، اللتين استحوذتا على اهتمام المؤرخين المهتمين بتطور التعليم في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي.

وكان الدافع وراء اختياري للبحث في موضوع (المدرسة القبلية) هو قلة المعلومات المتوفرة عنها، إضافة إلى أنها من النماذج الأثرية القليلة الباقية حتى الآن.

وقد تناولتها من جانبين: الجانب المعماري، والجانب التاريخي.. لعلي أنفض عنها غبار الزمن الذي تراكم عليها في رف من رفوف الذاكرة.

ولنبدأ بالجانب التاريخي.. حيث من المهم في البداية أن نحدد الفارق بين المدرسة القبلية للبنات والقبلية للبنين.

كانت نقطة الانطلاق في هذا البحث من حيث الجانب التاريخي هي حل الإشكالية الناجمة عن تطابق اسمي مدرستين إحداهما للبنين والأخرى للبنات، فكان يبدو الأمر في بعض الأحيان أنهما مدرسة واحدة أنشئت للبنين ثم تحولت إلى تدريس البنات، وفي أحيان أخرى أنها مدرسة للبنين ولم يكن هناك مدرسة بهذا الاسم للبنات، وفي أحيان ثالثة أنها أول مدرسة أنشئت للبنات، فوجدتني أمام آراء متضاربة كل منها يختلف بوجه من الأوجه عن الآخر. وعندما بدأت في قراءة الكتب التي تناولت تاريخ التعليم في الكويت، زاد التباس الأمر عليّ، فقرأت في كتاب يوسف الشهاب (من قديم الكويت) أن فريق كرة السلة بالمدرسة القبلية حصل على كأس بطولة مسابقة المدارس عام ١٩٤١م[١]، فظننت أنها مدرسة للبنين، لكن أدركت بعد ذلك أن المدرسة القبلية للبنين مختلفة عن المدرسة القبلية للبنات وأنها سبقت الثانية بما يقرب السنتين، وأن المدرسة القبلية للبنات منذ أن نشأت كانت للبنات ولم يسبق أنها كانت للبنين قبل ذلك.

ويعود بناء المدرسة القبلية للبنين إلى العام ١٩٣٦-١٩٣٧م عندما رأى مجلس المعارف في إحدى جلساته الحاجة الماسة لبناء مدارس جديدة في بعض نواحي الكويت، فعقد العزم على بناء مدرستين[٢]، إحداهما في منطقة القبلة وهي بيت يملكه أحد أفراد عائلة العصفور[٣] والأخرى في منطقة الشرق وهي بيت يعود لأحد أفراد عائلة الفرس[٤]. كما افتتحت دائرة المعارف أول مدرسة للبنات أطلق عليها اسم المدرسة الوسطى وبذلك تكون هذه المدرسة هي أول مدرسة حكومية للبنات وليست القبلية كما هو شائع[٥]. وأعتقد أن هذا

الساحة الخلفية حيث تطل نوافذ الحجرات

الخطأ شائع نشأ من ذكر المدرسة القبلية دون تعيين ما إذا كان المقصود بها مدرسة البنين أم مدرسة البنات، ولما كانت القبلية للبنين افتتحت ١٩٣٦- ١٩٣٧م، فقد ظن غير المعاصرين لهذه الفترة أن هذه القبلية هي مدرسة القبلية للبنات وبالتالي تسبق بافتتاحها مدرسة الوسطى للبنات.

أما ما يذكره حمد محمد السعيدان في كتابه (الموسوعة الكويتية المختصرة) أن القبلية مدرسة للبنات تأسست عام ١٩٥٤م[٦] فهو غير صحيح، وأعتقد أن هناك خطأ ما حيث يذكر في موضع آخر من نفس الكتاب أن المدرسة القبلية تأسست عام ١٩٣٨م، ويقول إنها أول مدرسة نظامية للبنات[٧]، مما يوحي أنه ممن وقعوا في مسألة الخلط بين المدرسة القبلية للبنين والأخرى التي للبنات.

وقد اعتمدت للفصل في الخلاف حول ما إذا كانت المدرسة القبلية أولاً للبنين ثم تحولت للبنات، أم هما مدرستان مختلفتان تحملان نفس الاسم، على دراسات إحصائية صادرة عن إدارة المعارف أوردها المؤرخ أحمد الشرباصي في كتابه (أيام الكويت) والذي يعتبر مصدراً أساسياً للكتابة عن هذه الفترة.

وأهم هذه الإحصائيات، إحصائية عامة تبيّن ازدياد عدد المدارس والطلاب في الكويت بين عامي ١٩٣٦ و١٩٥٣م(٨)، وفيها أنه في العام ١٩٣٦- ١٩٣٧ كان عدد المدارس الابتدائية للبنين أربع مدارس هي المباركية والأحمدية والقبلية والشرقية ولم يكن آنذاك أي مدرسة للبنات، حيث بدأت مدارس البنات في الظهور بدءاً من عام ١٩٣٧- ١٩٣٨م عندما افتتحت أول مدرسة للبنات وهي المدرسة الوسطى كما سبق الذكر. بينما المدرسة القبلية للبنات بدأت من العام ١٩٣٨- ١٩٣٩م في استقبال الطالبات حيث كان السبب في افتتاحها هو زيادة عدد الطالبات الذي ارتفع من ١٤٠ طالبة إلى ٣٠٠ طالبة.

والإحصائية الثانية وهي الأكثر إثباتاً أن المدرسة القبلية للبنات مختلفة عن المدرسة القبلية للبنين وأنهما

مدرستان تحملان الاسم نفسه، وهي بيان بعدد الطلاب البنين والبنات بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٤م(٩)، ويظهر فيها أن عدد طلاب المدرسة القبلية للبنين عام ١٩٥١م يبلغ ٢٣٨ طالباً بينما في نفس العام كان عدد الطالبات في القبلية للبنات ٥٣٦ طالبة. وبالتالي لم تكن القبلية يوماً ما مدرسة للبنين ثم تحولت للبنات وإنما هما مدرستان حملتا الاسم نفسه، غير أن زيادة عدد الطالبات إلى ضعف عدد الطلاب في هذه المنطقة وفي نفس العام، أمر يدعو للدهشة وإن كان خارج نطاق بحثي هنا، ولكن هل يعني هذا أن عدد الفتيات في هذه المنطقة كان يفوق عدد البنين؟! وإن صحّ هذا فلماذا؟ وأعتقد أن الجواب عن هذا السؤال يتطلب بحثاً آخر مختصاً بدراسة سكانية للمنطقة لا يسعه موضوع بحثي هنا.

بداية المدرسة القبلية وتطورها

وأبدأ في هذا الجانب ببيان الحاجة إلى إنشاء المدرسة القبلية للبنات عام ١٩٣٨– ١٩٣٩م، وكان هذا بسبب ازدياد عدد الطالبات بعد افتتاح أول مدرسة للبنات وهي المدرسة الوسطى كما سبق الذكر، حيث بلغ عدد الملتحقات بها ١٤٠ طالبة، لكن في العام التالي ومع زيادة الرغبة في تعليم الفتيات قامت دائرة المعارف بفتح مدرسة أخرى[١٠] في منطقة القبلة[١١] بعد أن استأجرت منزل أحد المواطنين[١٢]، ثم افتتحت ثالثة مدرسة للبنات وهي المدرسة الشرقية عام ١٩٤٠– ١٩٤١م.

وكانت المدرسة القبلية من أولى مدارس البنات التي أخذت بنظام التعليم الحديث بإدخال مواد دراسية متطورة ضمن مناهج متجددة ومختلفة عن المناهج التي كانت سائدة في بداية تعليم الفتيات[١٣]. والجدير بالذكر هنا أن المدرسة القبلية لم يكن اسمها هكذا منذ افتتاحها وإنما هي تسمية متأخرة أطلقتها دائرة المعارف عليها عام ١٩٤٩– ١٩٥٠م بعد أن كانت تسمى (التربية النسوية) وسميت بالقبلية لموقعها الكائن بالحي القبلي(١٤). وفي عام ١٩٥٤– ١٩٥٥م بدأت دائرة المعارف بتدريس اللغة الإنجليزية بالمدرسة القبلية وكان عدد الطالبات اللاتي أقبلن على دراسة اللغة الإنجليزية ١٢ طالبة قامت مدرستان بتدريسهن بمعدل حصتين أسبوعياً، ثم زاد الإقبال من الطالبات على المدرسة بعد تطوير مناهجها ورغبة الفتاة الكويتية في التعليم [١٥]

تحول شهادة (التربية النسوية) إلى (الابتدائية العامة)

لم تكن خطة الدراسة لمدارس البنات متفقة مع خطة الدراسة لمدارس البنين، بحيث لم تكن الطالبة تستطيع التقدم لامتحان الشهادة الابتدائية العامة. لذلك عدل المنهج لتتمكن الطالبات من نيل الشهادة الابتدائية، فأعدّ لهن فصل دراسي إعدادي بالمدرسة القبلية للبنات لتدرس فيه الطالبات المواد غير الموجودة في منهجهن الدراسي تمهيداً لحصولهن على الشهادة الابتدائية، وفي عام ١٩٥٣م تقدمت الطالبات لأول مرة لنيل شهادة الابتدائية العامة[١٦]، بينما كن فيما سبق يحصلن على شهادة التربية النسوية، ويذكر أن حصول أول فتاة على شهادة التربية النسوية كان عام ١٩٤٥م ومنذ تلك السنة، اشترط فيمن تتقدم لوظيفة التدريس أن تكون حاصلة على هذه الشهادة أي التربية النسوية[١٧] وذلك قبل ظهور التدريس الثانوي.

فتح فصول ثانوية بالمدرسة القبلية

قامت دائرة المعارف بفتح أول فصل ثانوي بالمدرسة القبلية عام ١٩٥١م، كما افتتحت لاحقاً فصلاً آخر بنفس المدرسة، بالإضافة إلى مدرسة خاصة للتعليم الثانوي للبنات وهي مدرسة المرقاب لإعداد المدرسات[١٨]. وبذلك تكون

الباب الخلفي للمدرسة وتبدو عليه مظاهر الباب التراثي

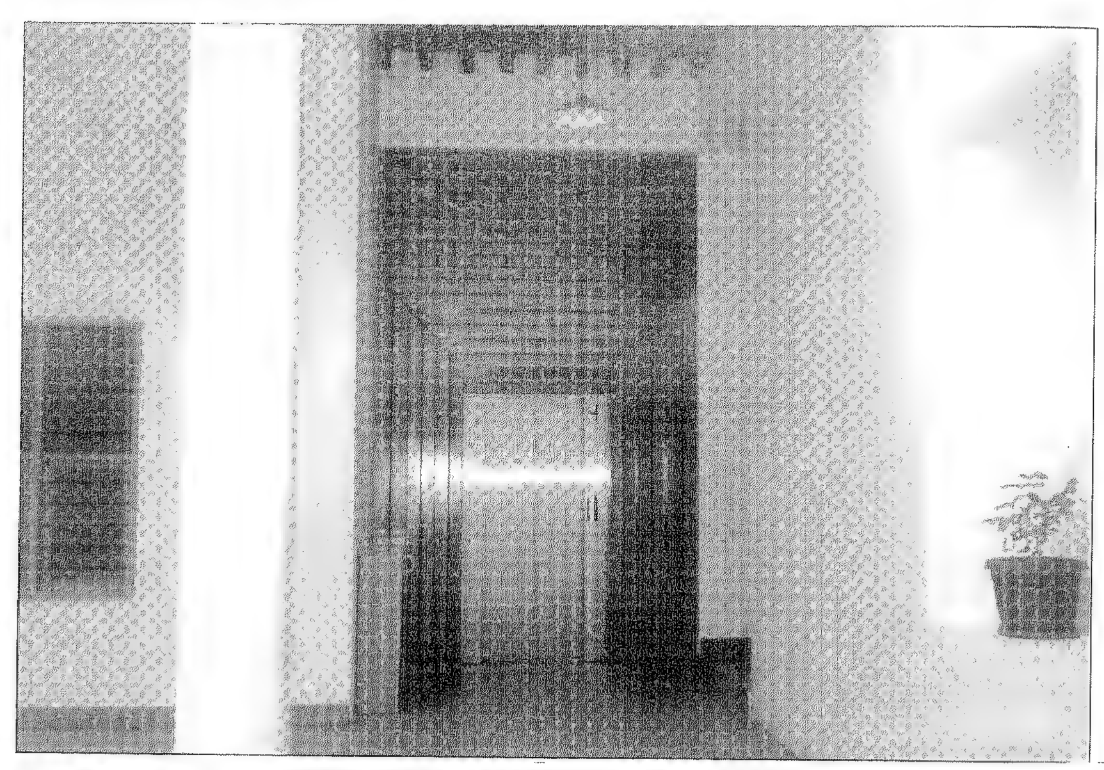

المصعد الكهربائي .. من مظاهر التحديث في المدرسة

أول مدرسة ثانوية للبنات هي ثانوية المرقاب وبدأت الدراسة فيها عام ١٩٥٤م وكانت مدة التعليم الثانوي خمس سنوات تمنح الطالبة بعدها شهادة التوجيهية[١٩].

ومما يؤكد ما قيل بشأن افتتاح فصول ثانوية للبنات بالمدرسة القبلية عام ١٩٥١م، وأنه لم تكن آنذاك مدرسة مخصصة للتعليم الثانوي للبنات، لقاء مجلة اليقظة الذي أجرته في ديسمبر ١٩٥٢م مع الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف وقتئذ، والذي ذكر فيه أنه تم افتتاح فصول ثانوية للبنات في مدرستي القبلية والشرقية[٢٠]، كما يذكر مؤلف كتاب (أيام الكويت) أن هناك فصولاً ثانوية للبنات، ومن المنتظر أن تنشأ لهن مدارس ثانوية[٢١]، ويعتبر أحمد الشرباصي من المعاصرين لهذه الفترة. بالإضافة إلى مقالة أدبية بقلم الأديبة الكويتية فاطمة يوسف الغانم بعنوان (أنصفونا أيها السادة) والتي كتبتها منتصف ١٩٥٣م، وجدير بالذكر أن فاطمة الغانم تعتبر من الرعيل الأول من الطالبات اللاتي التحقن بالمدرسة الوسطى للبنات في الصف الثاني الابتدائي في عام ١٩٣٧- ١٩٣٨م[٢٢].. حيث قالت في كلمتها: «..فتمر الأعوام العديدة والفتاة المسكينة تشاهد زميلها الذي كان معها في صف واحد أخذ يتدرج في مدارس العلم سابقاً لها ومسايراً لزمنه، لماذا كل ذلك؟ لا لشيء سوى أن المعارف راغبة في أن تحرمها من ذلك المشعل الوهاج وأن توصد دونها أبواب النور والمعرفة، وما ضرّ المعارف لو اعتنت بهن كزملائهن، لأصبحن الآن من حاملات الشهادة الثانوية، لأنها خمس سنوات مضت دون أن تستثمر، والفتاة لا تقل ذكاء ورغبة في الدرس عن زميلها الفتى.. الآن بعد أن فتح لنا أول صف ثانوي نجد الدراسة الثانوية مبعثرة بين مدرستين ابتدائيتين[٢٣].. فلو تساءلت لماذا لم تفتح مدرسة ثانوية للبنات تماثل هذه من كافة النواحي أسوة بزملائهن»[٢٤].

المدرسة القبلية معمارياً

يتضح من خلال مخطط موقع المدرسة القبلية أن حدودها الحالية أقلّ بما يزيد عن النصف عما كانت عليه سابقاً. وليس أمام الراغب في دراسة المدرسة القبلية معمارياً إلا أن يعتمد على خبرته المعمارية وعلى المباني الباقية من المدرسة القبلية، خصوصاً وأن المؤرخين لم يتطرقوا إلى الجانب الإنشائي أو الهندسي في المدرسة القبلية.

كنت قد ذكرت أن المدرسة القبلية كانت منزلاً لأحد المواطنين قبل أن تستأجره دائرة المعارف لتحوله إلى

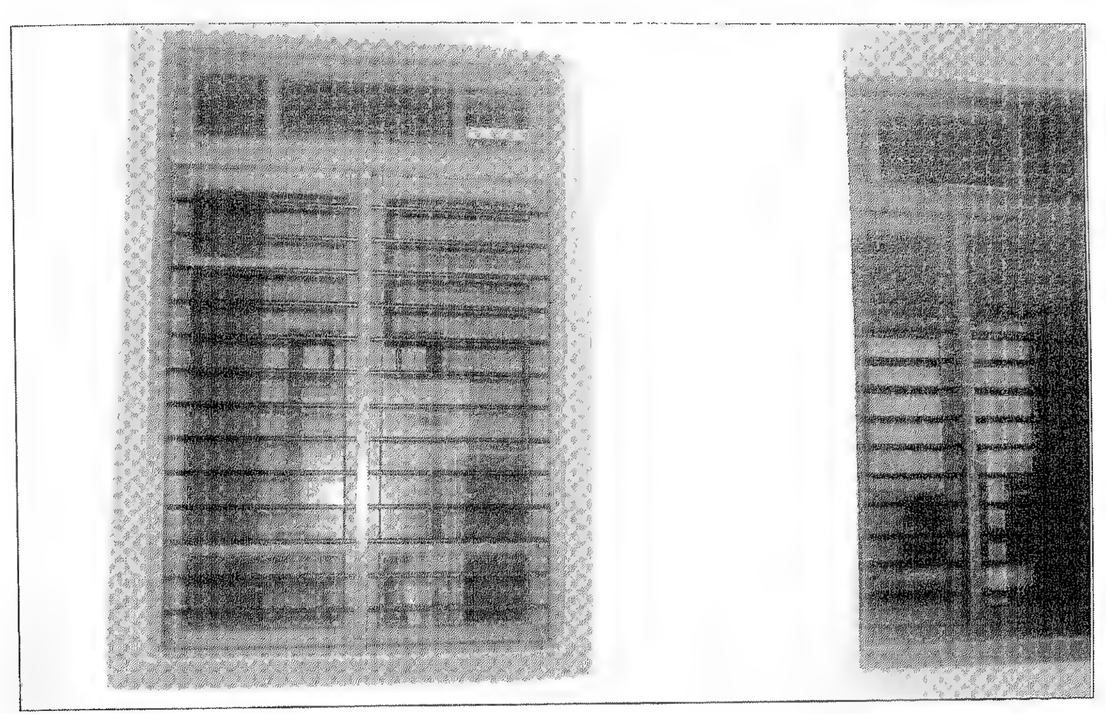

النوافذ الداخلية للمدرسة

مدرسة للبنات، وهذا يظهر بوضوح في المسقط الأفقي للمدرسة القبلية التي يتطابق تصميمها وتوزيع الفراغات فيها مع نمط تصميم المنازل آنذاك، فنجد فراغاً كبيراً يتوسط المبنى (الحوش) تحيط به الحجرات من كل جانب، ويتقدم هذه الحجرات ممر يفصل الحجرات عن الساحة الوسطية ويسمى (ليوان). وهو النظام المعروف اصطلاحاً باسم (البيت العربي) الذي تكون ساحته الوسطية مكشوفة للسماء، ومن آثار المجتمع الخليجي على فكرة البيت العربي هو وجود أكثر من ساحة (حوش) في البيت الواحد، خصوصاً إذا كان كبير الحجم، إحداها للرجال والزوار والأخرى للنساء. فنجد في المدرسة القبلية ساحتين داخليتين كبيرتين، يحيط كلاً منهما مجموعة من الحجرات، بالإضافة إلى ساحة خارجية كبيرة في الجانب الخلفي من المدرسة.

تتكون المدرسة القبلية من طابقين يصلهما درج في أكثر من موضع، حتى يصل عدد الأدراج إلى الأربعة في نواحٍ متفرقة من المبنى، مما يسهل عملية التنقل بين الحجرات العلوية والسفلية.

من العناصر المعمارية التراثية في المدرسة القبلية، النافذة التي صممت لتلبي احتياجات الأسرة الكويتية وتقاليدها. فنجد أن النوافذ قلما وجدت في الجدران الخارجية التي تطل على الشارع أو المحيط الخارجي للمنزل، بينما تكثر في الليوان والجدران الداخلية، حيث تنتفي الحاجة إلى التستر من أعين الغرباء. ونجد أن النوافذ في المدرسة القبلية محافظة على تصميمها التراثي وأعيد ترميمها بنفس العناصر والتصميم الذي كانت عليه، حيث أن من أهم أهداف ترميم الأعمال التراثية هو الحفاظ على هويتها التراثية وعدم الإخلال بعناصرها.

من العناصر المعمارية الأخرى الهامة في المدرسة القبلية، السقف والتقنية المستخدمة في تدعيمه، وتتلخص طريقة تسقيف الحجرات والممرات في:

– وضع أخشاب الجندل (chndal) وهي أخشاب تحضر من أفريقيا والهند وطول قطرها ١٠سم، في صفوف متوازية مع ترك فراغ بين العمود والآخر ١٠سم، ويلاحظ أن عرض الحجرة كان يتحدد بطول هذه الأخشاب والتي يبلغ متوسط طولها ٣.٦م، ولهذا كان عرض الحجرة لا يزيد كثيراً عن ٣م، بينما طول الغرفة غير محدود لأنه ليس هناك حد معيّن لعدد الأخشاب المتراصة بجانب بعضها البعض، وكان يبرز طرفي الأعمدة الخشبية إلى الخارج بمقدار ٣٠–٥٠سم.

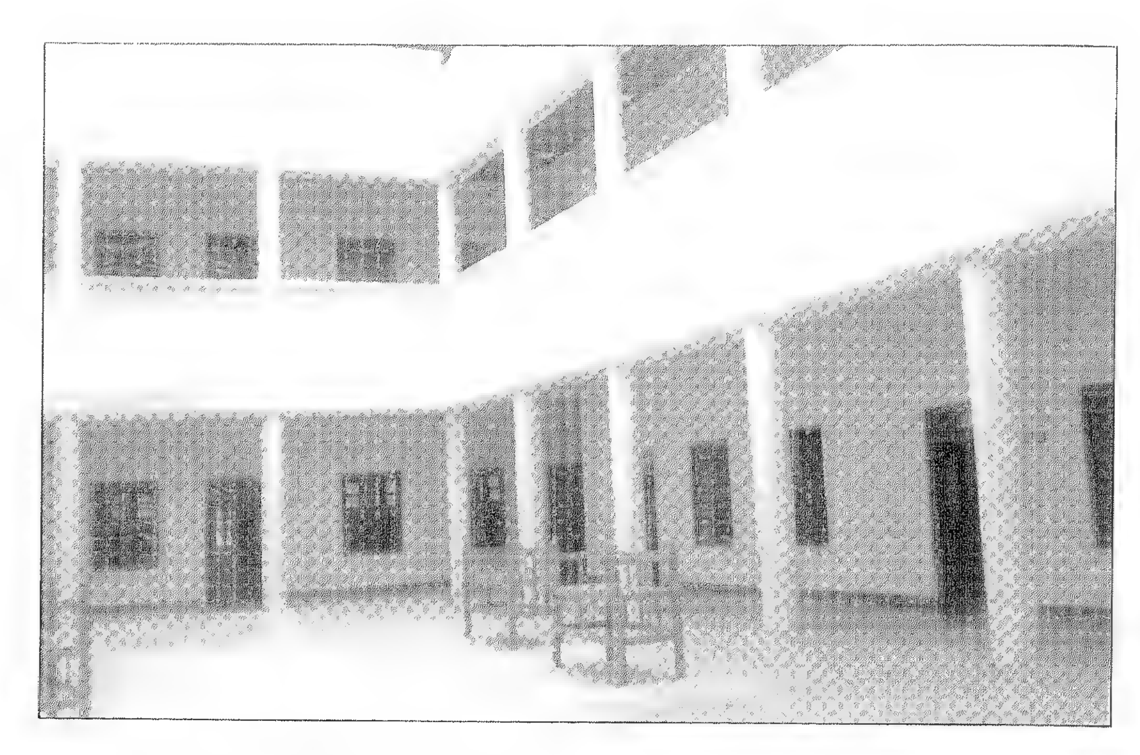

الساحة الوسطى (الحوش) ويظهر فيه الليوان يتقدم الحجرات

- يوضع الجص لتثبيت أخشاب الجندل ببعضها البعض.
- يثبت الباسجيل (bascheel) فوق خشب الجندل في وضع متقاطع بالمسامير.
- تغطية طبقة الباسجيل بمادة تسمى البواري (bowari) وهي مادة مقاومة للحرارة.
- توضع طبقة أخرى من الطين تسمى آش أو رماداً لامتصاص الماء ومنعه من التسرب إلى داخل الغرف.
- طبقة أخيرة من الطين يبلغ سمكها ٣٠-٤٠ سم لتغطية السقف.

ويضاف إلى العنصرين المعماريين السابقين، الأعمدة التي كانت تتقدم الليوان والتي ترتفع إلى الطابق الثاني وكذلك الأبواب التي ما زال أغلبها محافظاً على هويته التراثية.

الإضافات الحديثة في المدرسة القبلية

بجانب الحفاظ على هوية المدرسة القبلية التراثية، تم إضافة لمسات حديثة لمواكبة التكنولوجيا الحديثة ولاستمرار استخدامها حيث إنها الآن مقر المركز الثقافي التابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ومن هذه الإضافات الحديثة:

الإضاءة: تم إضافة تمديدات كهربائية للعديد من الاستخدامات منها الإضاءة والأجهزة الكهربائية بأنواعها المختلفة: الكمبيوتر والطابعات وأجهزة التصوير.

التكييف: لتهوية المبنى وتبريده خصوصاً وأنه لا توجد وسائل طبيعية لتجديد الهواء وتبريده خصوصاً بعد تغطية المناطق المكشوفة من المدرسة القبلية.

مصعد كهربائي: ويستخدم للانتقال بين الطابقين إلى جانب الدرج ويوجد بالمدرسة القبلية مصعد كهربائي واحد.

تغطية الساحات المكشوفة: تمت تغطية الحوشين الداخليين بالكامل باستخدام المواد الحديثة لحجب أشعة الشمس ومقاومتها مما يوفر جواً أفضل داخل المبنى في فترات الصيف.

نظام إطفائي: تمت إضافة التمديدات المناسبة لنظام أمن إطفائي في حال نشوب أي حرائق وهو على النمط الحديث في مقاومة الحرائق والحد من انتشارها.

من خلال استعراض بعض الجوانب التاريخية والمعمارية للمدرسة القبلية، نجد أن هناك بعض النقاط التي أثارت تفكيري، ومنها ذلك اللبس في مسألة المدرسة القبلية وتصنيفها للبنات أم للبنين، أم مرّت

بالمرحلتين معاً. وأعتقد أن هذا نشأ من عدم الدقة في التعبير عن المصطلحات المستخدمة وتحديدها بما يبعد أي مجال لسوء الفهم، فأجد المؤرخين الذين تحدثوا عن المدرسة القبلية في أكثر من موضع يذكرون المدرسة القبلية دون تحديد ما إذا كان المقصود بها مدرسة البنات أم البنين.

أما الجوانب الأخرى التي أثارت تفكيري، فتلك المتعلقة بالهوية التراثية للمدرسة القبلية وما آلت إليه بعد أن طالتها يد التجديد والتطوير، فكما أن للترميم مزايا منها الحفاظ على شكل المبنى ودعائمه، إلا أن له مساوئ من أهمها طمس بعض المعالم التراثية بالمدرسة وخلط هويتها بالإضافات الحديثة فلم تعد تراثية خالصة، بل هجين من التراثي والمعاصر، وهو ما يقوم بدوره بتقليل الإحساس الأثري بالمكان، فلو لم يكن الزائر للمدرسة على علم بأنها مدرسة كانت موجودة قبل ما يزيد على ستين عاماً، فلن يدرك ذلك لغلبة المظاهر المعاصرة على عناصر المبنى وعمارته. لكن هذا لا يقلل من أهميتها كمبنى أثري باق إلى الآن، ولكن لكل شيء إيجابيات وسلبيات، ورغم كل شيء ستبقى هذه المدرسة رمزاً لأولى المدارس التي اعتنت بتعليم الطالبات التعليم الحديث في وقت مبكر من تاريخ التعليم الحديث بالكويت.■

الهوامش:

١) يوسف الشهاب: من قديم الكويت، ط١، ١٩٩٧م، ص١٥٩.
٢) صالح جاسم شهاب: تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان، ج١، ١٩٨٤م، الكويت، ص٥٦.
٣) شبكة المعلومات الدولية: http://www.kuwaitculture.org.
٤) صالح جاسم شهاب: المرجع السابق، ص١٦١.
٥) فوزية يوسف عبد الغفور: تطور التعليم في الكويت ١٩١٢- ١٩٧٢م، ط١، ١٩٧٨م، الكويت، ص٨١.
٦) حمد محمد السعيدان: الموسوعة الكويتية المختصرة، ج٣، ط٢، ١٩٨١م، الكويت، ص١١٦٥.
٧) حمد محمد السعيدان: المرجع السابق، ص١٣٧٠.
٨) أحمد الشرباصي: أيام الكويت، ط١، ١٩٥٧م، القاهرة، ص٩٤.
٩) أحمد الشرباصي: المصدر السابق، ص٩٥-٩٦.
١٠) فوزية يوسف عبد الغفور: المرجع السابق، ص٨٠.
١١) حمد محمد السعيدان: المرجع السابق، ص١١٦٤، القبلة: جهة القبلة في الكويت هي الزاوية الغربية المائلة قليلاً نحو الجنوب باتجاه الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.
١٢) وفي هذا روايتان مختلفتان، يذكر يوسف الشهاب في مرجعه السابق ص١٨٣: أن المدرسة القبلية كانت منزل السيد خلف النقيب قبل تحويله إلى مدرسة، بينما تذكر مريم عبد الملك الصالح، صفحات من التطور التاريخي لتعليم الفتاة في الكويت، ١٩٧٥م، الكويت، ص٦٣: أنها كانت منزلاً يملكه أحمد الخميس.
١٣) يوسف الشهاب: المرجع السابق، ص١٨٢.
١٤) يوسف الشهاب: المرجع السابق، ص١٨٣.
١٥) يوسف الشهاب: المرجع السابق، ص١٨٣.
١٦) فوزية يوسف عبد الغفور: المرجع السابق، ص١٠١.
١٧) مريم عبد الملك الصالح: المصدر السابق، ص٦٩.
١٨) مريم عبد الملك الصالح: المصدر السابق، ص٦٧.
١٩) فوزية يوسف عبد الغفور: المرجع السابق، ص١٠١.
٢٠) أحمد الشرباصي: المصدر السابق، ص١٠٨.
٢١) أحمد الشرباصي: المصدر السابق، ص٢٦٥.
٢٢) صالح جاسم شهاب: المرجع السابق، ص٩٢.
٢٣) القبلية والشرقية كما ذكر في اللقاء مع مدير المعارف عبد العزيز حسين.
٢٤) أحمد الشرباصي: المصدر السابق، ص٢٧١-٢٧٢.

المصادر:

١- أحمد الشرباصي: أيام الكويت، ط١، ١٩٥٧م، القاهرة.
٢- مريم عبد الملك الصالح: صفحات من التطور التاريخي لتعليم الفتاة في الكويت، ١٩٧٥م، الكويت.

المراجع:

١- حمد محمد السعيدان: الموسوعة الكويتية المختصرة، ج٣، ط٢، ١٩٨١م، الكويت.
٢- صالح جاسم شهاب: تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان، ج١، ١٩٨٤م، الكويت.
٣- فوزية يوسف عبد الغفور: تطور التعليم في الكويت ١٩١٢- ١٩٧٢، ط١، ١٩٧٨م، الكويت.
٤- يوسف الشهاب: الكويت عبر التاريخ، ط٢، ١٩٩٢م، الكويت.
من قديم الكويت، ط١، ١٩٩٧م، الكويت.

شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

١- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب:
http://www.kuwaitculture.org

مراكز حكومية تراثية:

١- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب - المركز الثقافي.

نقود ملوك الشرق بجونبور

عبد الله بن جاسم المطيري
مدير بيت الشيخ سعيد آل مكتوم- دبي
عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

جونبور مدينة شيدت سنة ٧٦٢ هـ بأمر فيروز شاه الثالث من بني تغلق إلى الشمال من مدينة منارس في الهند، وقد سميت باسم عمه محمد بن تغلق الذي كان أحد أسمائه (جونا) أي الأجنبي. أسس سلالة الحكام أحد الخدم زنجي الأصل يدعى ملك سروار، وهو عبد إفريقي تدرج في البلاط حتى صار وزيراً لمحمود شاه آخر سلاطين بني تغلق شاه، وعندما تمكن من هزيمة أعدائه سنة ٧٩٦ هـ قرر أن يخرج من طبقة الخدم واستطاع أن يؤسس مملكة لنفسه في جونبور، كما استطاع إقناع سيده ليمنحه لقب ملك الشرق، ومن هنا جاء لقب الأسرة، وسلك مسلك المستقلين، وخطب له على المنابر، وسكت السكة باسمه، واتخذ لنفسه ابناً بالتبني وهو مبارك شاه وهو زنجي أيضاً. أصبح مبارك شاه ملكاً بعد وفاة ملك سروار، وفي سنة ٨٤٤ هـ أصبح محمود شاه بن إبراهيم شاه ملكا وسيداً على جونبور. أصبحت جونبور مركزاً لدولة إسلامية قوية بين سلطنتي دهليو والبنغال، حيث انتشر 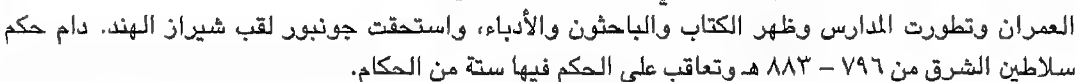 العمران وتطورت المدارس وظهر الكتاب والباحثون والأدباء، واستحقت جونبور لقب شيراز الهند. دام حكم سلاطين الشرق من ٧٩٦ – ٨٨٣ هـ وتعاقب على الحكم فيها ستة من الحكام.

ضربت نقود ملوك الشرق بجونبور على طراز نقود بني تغلق المتأخرة، وأكثر النقود انتشاراً هي النقود الفضية، وعرفت نقودهم بالتنكة تقليدا للنقود التيمورية والنقود البنغالية.

ليس هناك هامش للتنكات، وجاءت الكتابة في المركز. حملت النقود اسم الحاكم بالإضافة إلى اسم الخليفة العباسي في مصر، وذلك للولاء الديني الذي كان يربط ملوك بجونبور بالخلفاء في مصر على اعتبار أن الخليفة يرجع نسبه إلى أبناء العباس بن عبد المطلب. تعد نقود ملوك الشرق مهمة ولكنها لا تصل إلى درجة الندرة. تضم مجموعتي قرابة مائة قطعة فضية وعدد من النحاسيات. ■

مأثورات العملة

نموذج لتنكة السلطان محمود شاه بن إبراهيم شاه

الوجه الأول

الوجه الأول:
المركز: محمود شاه بن إبراهيم شاه سلطان خلد ملكه

الوجه الثاني

الوجه الثاني:
الخليفة أمير المؤمنين خلدت خلافته ٨٤٦

الخيزران الفلسطيني.. تراث لا يلين

■ ميرفت عوف

منذ بدأ الفلسطينيون يستخدمون الخيزران قبل عشرات السنين وهم يتفننون في صناعة أشكال مختلفة من المنتجات الخيزرانية العريقة التي تملك قدرة فذة على إظهار الدقة والبراعة في تلك الصناعة، وتتمتع بأهمية تراثية ثرية لا يمكن تجاهلها.

ولما كانت هذه القطع الخيزرانية رمزاً للتراث التاريخي والثقافي الذي تحدى كافة الظروف التي مرت بفلسطين. وبقي شامخاً تتناوب الأجيال على تطويره، حتى أن القطع التي احتفظ بها منذ عشرات السنين أصبحت بمثابة سجل لتاريخ لا يمكن نسيانه للشعب الفلسطيني قبل هجرة عام ١٩٤٨م، كما أن القطع التي تصنع حالياً لا يمكن سلخها من ثوب التراث الحضاري لتصبح بالفعل منتجات تجد رواجاً كبيراً وتطوراً هائلاً في خدماتها ومواكبتها للعصر الحديث ولذا ينبغي الحفاظ عليها.

التقرير التالي «لتراث» يتحدث عن تاريخ الحرفة بفلسطين وعن أهمية المنتجات التقليدية في سجل التاريخ التراثي للشعب الفلسطيني. كما تتحدث مع أقدم خيزراني في فلسطين هو الحاج خلف عن المهنة قديماً وحاضراً.

تعود الأصول التاريخية والتجارية لمهنة الخيزران إلى بلاد شرق آسيا وتحديداً اليابان إلى ما لا يقل عن ٢٠٠ عام كما كان للصين وجود حاضر في البدايات، وبين ١٩٢٠ - ١٩٤٨م، أدخلت مهنة الخيزران إلى فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني حيث تدرب الفلسطينيون على تلك الحرفة في مدرسة الأيتام بمدينتي يافا والقدس، وأخذت المهنة ترتقي بجهود أبنائها الأوائل الذين آمنوا بأهمية المنتجات الخيزرانية في مجتمع قدّرها وتسارع لاقتنائها كل حسب مقدرته الشرائية، كما لا بد من القول إن الانتداب البريطاني ولمصالح اقتصادية أقام معامل خاصة لتعليم صناعة الخيزران، حيث جند مئات الطلبة من معاهد الأيتام في مناطق يافا والقدس وغزة لصناعة ما يسمى عصي الروكان والمالبد المجدولة.

بعد نكبة عام ١٩٤٨م وما صاحبها من اعتداءات إسرائيلية على كل ما هو فلسطيني، هاجرت المهنة مع أصحابها اللاجئين إلى مخيمات الوطن المحتل، وتكفلت المؤسسات الدولية بإحياء كل ما يكفل إعاشة هؤلاء اللاجئين ومن ضمن تلك المؤسسات وكالة تشغيل اللاجئين التي سارعت لإقامة دورات تعليمية لحرفة الخيزران واستهدفت في بدايتها ضعيفي البصر وكانت غزة أكثر المناطق التي لجأ إليها الفلسطينيون من أراضي الـ٤٨ والضفة الغربية، فدخلتها هذه المهنة عام ١٩٥٣م على يد أهل يافا خاصة، وهناك أقاموا المصانع والورش إلى أن أصبحت غزة الآن المركز الأساسي لهذه الحرفة، كما أنها مازالت تحافظ على تقاليد الصناعة البدائية باستثناء إدخال المكابس الحديثة في العمليات النهائية للإنتاج.

حوار مع التاريخ

«تراث» التقت حرفياً خيزرانياً يعيش في غزة وهو الحاج رجب خلف (١٠١ عام) صاحب أكبر مصنع في

أحد عمال الخيزران.

فلسطين، وتحدث لنا بداية عن تاريخه مع هذه الحرفة، فقال: «الحمد لله، ساعدتني الظروف قبل أكثر من ٨٥ عاماً على أن أكون في الدفعة الأولى لدورة التدريب الحرفي على صناعة الخيزران في معهد الأيتام بالقدس، كانت الحرف في المعهد متعددة مثل حياكة السجاد والبسط العربية والأحذية والنجارة العربية والإفرنجية وتجليد الكتب والخيزران، إلا أنه استهوتني منذ البداية حرفة الخيزران، فقد شعرت بجاذبية وإبداع واخترت أن أتعلمها دون غيرها». ويضيف: «أنفق المردود المالي لأول معرض خيزراني أُقيم في القدس ضحايا زلزال عام ١٩٢٠م الذي هز مدن الرملة واللد ونابلس، حيث قام حرفيو المعهد بصناعة العديد من المنتجات اليدوية، إلا أن أكثرها بيعاً كانت المنتجات الخيزرانية لأنها كانت منتجات جديدة على المجتمع الفلسطيني». أما عن القيمة الفنية للمعرض فقال: «لقد كانت منتجات خيزرانية يدوية فنية ومتقنة، كنا نتفنن ونتبارز في صناعتها. وأقبل الناس عليها بشدة خاصة الطبقتين الغنية والمتوسطة، كما أن بعض الناس كانوا حريصين على اقتناء بعضها لما تشكله من جمال».

الحاج خلف اختير ضمن الدفعة الأولى من المتدربين على حرفة الخيزران في معهد الأيتام، وساعدته الإدارة على فتح محل خيزران في القدس كي يتمكن من التواجد في السوق. يقول خلف: «في البداية بدأنا نصنع الأشياء الأساسية كالكراسي والموائد والعكاكيز، لكن الإقبال الشديد على تلك المنتجات من قبل أهالي القدس جعلنا نسرع في افتتاح فرع آخر في مدينة يافا». ويقول خلف وفرحته بالحديث عن حرفته ترتسم على ملامح وجهه المجعد: «كان شيء في حياتي يربطني بالخيزران وبكل قطعة كنت أجلس أشكلها، صناعة الخيزران كانت بالنسبة لي حياة جعلتني أتجاوز الصدمة بسرعة بعد عام ١٩٤٨م وأقاوم لإعادة العمل في الملجأ بغزة، وبدأت في محل بسيط، وفرضت منتجاتنا المتميزة نفسها على سوق أهل غزة». ويوضح الحاج: «سهّل الرونق الطبيعي الذي يحظى به الخيزران تطوير المنتجات شيئاً فشيئاً، ولم تقتصر الصنعة على الأغراض الأساسية بل أصبحت تستخدم في الأطقم والخزانات والدواليب والتحف والكثير من الإكسسوارات المستخدمة في المنازل، بالإضافة إلى تنوع الموديلات وتشكيلها على أكثر من شكل».

الصناع

يحصل حرفيو الخيزران الفلسطيني على المواد الخام من دولتي ماليزيا وإندونيسيا وهما من أوائل

الدول المصدرة للخيزران، ويختار الحرفي ما يناسبه من عيدان الخيزران، ويحدد قياس المساحات المراد تصنيعها، وقد كان سابقاً ينقع الخيزران في الماء لتسهيل عملية التشكيل والتصنيع، أما الآن فالأداة الأساسية لهذه الصنعة هي البخار، فالخيزران يحتوي على الألياف وهي تحتاج إلى ليونة، فيتم استخدام البخار لتشكيل العيدان، والخيزران ينقسم إلى نوعين: الأول هو الذي لم تدخل عليه عوامل التصنيع أي الطبيعي ويسمى (سلاكة)، فيما يطلق على الثاني اسم (الراتان) ويتميز بسطحه الشديد النعومة ودون قشرة خارجية، وكان يستخدم في البداية الشاكوش والكماشة في صناعة المنتجات الخيزرانية أما الآن فيعتمد على البخار والأجهزة الحديثة في تشكيل وتصنيع عشرات المنتجات الخيزرانية.

ويصنع الحرفيون الأثاث والكراسي والموائد والعكاكيز ويوزعون منتجاته في كافة أنحاء الأراضي الفلسطينية، ومع كل يوم كان يحدث تغير وابتكار جديد لمنتجات الخيزران، واليوم يمكن الاعتماد الكلي على الخيزران في صناعة أثاث المنزل الحديث كأطقم الصالونات والمكاتب الفخمة وسرائر الأطفال بتصاميم مختلفة، وحتى معلقات الزينة التي تعلق على الجدران، بل أصبحت تستخدم في الأطقم والخزانات والدواليب والنجف والكثير من الإكسسوارات المستخدمة في المنازل بالإضافة إلى تنوع الموديلات وتشكيلها.

الانتفاضة والخيزران

عام ١٩٨٧م اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتزايدت الاعتداءات الإسرائيلية على كل ما هو فلسطيني، وكانت قد سبقتها فترة انتعاش لصناعة الخيزران حيث صدرت المنتجات الخيزرانية من قطاع غزة إلى كافة الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، كما صدرت تلك المنتجات إلى دول أوروبا وأمريكا، وكانت مصانع الخيزران في غزة تتجاوز ٦٠ مصنعاً ولكن الظروف الاحتلالية قلصت هذا العدد ليصل مع بدء الانتفاضة الثانية إلى ١٠ محلات.

وعندما أيقن أصحاب المهنة بالخطورة التي تحف بصناعة الخيزران لم يتوانوا عن الاستمرار في تطويرها حتى لا تلين ولا تنكسر أمام الظروف المعاكسة. يقول الحاج أبو هشام (رجب خلف): «نحن الآن نعتمد على أحدث الطرق في صناعة المنتجات الخيزرانية، نصنع الكراسي الفاخرة وأطقم الكنب والخزائن والسرائر والمرايا وأشكال مختلفة من المعلقات الحائطية. ومما ساهم في ذلك التطور هو الترابط والتكاتف الذي جمع بين الحرفيين وأصحاب الورش والمصانع الخيزرانية للارتقاء بالمهنة».

جانب من معرض الخيزران

وما كان حرفيو مصنع خيزران خلف الذين زرناهم سوى خير نموذج لهذه العلاقة التي استمرت عشرات السنين، فهناك في ورشة التصنيع حرفيون علمهم الحاج خلف كيفية الإمساك بعيدان الخيزران وتشكيلها حتى أتقنوا ابتكار تصميمات جديدة، يقول أبو محمد وهو حرفي خيزراني أعمى: «أعشق رائحة الخيزران وملمسه وأرسم في مخيلتي أجمل الأشكال لتلك المنتجات التي أصنعها».. ويضيف أبو محمد: «عندما أنجز قطعة من الخيزران أشعر براحة كبيرة، لقد حاولت المنتجات الصينية أن تقضي على منتجاتنا لكننا لن نسمح لها، إننا نستطيع أن نصنع أجمل وأبدع المنتجات من عيدان الخيزران والتي يمكن أن تتنافس مع تلك المنتجات وتتغلب عليها».

ويؤكد خلف أنه وغيره من أصحاب مصانع الخيزران والحرفيين حريصون على تحدي كل ما يمكن أن يحول دون الحفاظ على هذه الحرفة وتطورها بشتى الوسائل المتاحة. ■

تطور الفكر الجغرافي عند العرب

■ محمد رجب السامرائي

اهتم العرب وهم يفترشون الصحراء بمفازاتها الواسعة بوصف جزيرتهم وبمشاهداتهم لأماكنها المتشعبة. وكان البدو الرحل يهتدون في أسفارهم أثناء تنقلهم من مكان لآخر بما تضم السماء من نجوم متلألئة تطرز صفحتها الزرقاء. وقد اهتم العرب المسلمون بالعمل الجغرافي الرياضي والجغرافية البشرية، وذلك عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية وامتدت شرقا وغرباً حتى وصلت إلى تخوم بلاد الأندلس، بالإضافة إلى اهتمامهم أيضاً بالجغرافية الاقتصادية والإقليمية. وقد ركز جغرافيو العرب منذ منتصف القرن الخامس الهجري على وصف الطبيعة وعجائبها وخصائص الشعوب وسكان البلدان الذين اتصلوا بهم وتعرفوا عليهم، ومن هنا نلحظ تقدم الجغرافية الإقليمية في رحلات الرحالة العربي ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ- ١٣٧٧م) في ربوع القارة الآسيوية.

التقت «تراث» الأستاذ الدكتور شاكر خصباك أستاذ الجغرافية في جامعة بغداد وعدد من الجامعات العربية، والأستاذ حالياً في جامعة صنعاء باليمن، الذي تحدث إلينا عن أبرز ملامح ومقومات الفكر الجغرافي عند العرب، فقال:

- الفكر الجغرافي لدى العرب بدأ يتشكل في فترة ما قبل الإسلام، لأنهم كانوا في حاجة إلى معرفة دقيقة ببيئتهم ومراعيها على امتداد العام، وأساس الجغرافية هو البيئة، ولهذا اهتم المجتمع العربي باستكشاف بيئته الصحراوية الخاوية ليوفر المرعى والماء لفترة طويلة من العام. وواجهته حينها مشكلتان، الأولى: أن الصحراء المترامية الأطراف والواسعة الشعاب بأمس الحاجة إلى أدلاء وخبراء ليُحددُوا أماكنَ وجود الكلأ بصورة مستمرة خلال العام، والأخرى: هي الحاجة إلى تنظيم أوقات التنقل من مكان إلى آخر، ومن فصل إلى فصل عبر هذه الصحراء الكبيرة ولهذا كان عندهم -العرب- من يُعرَفُ باسم (العَارفَة) الذي يكون عارفاً بتضاريس الأرض الصحراوية وباستطاعته أن يُحدِّد لجماعته متى يذهبون، ومتى يرجعون، وكيفية التنقل في هذه المناطق القفار.

** من يُحدِّد تلك الطُرق في الصحراء ؟*

– تُعدُّ الآبار بالنسبة للصحارى المعالم التي يهتدي إليها وبها المسافرون لكونها مفاتيح الصحراء، حيث لايمكن الانتقال من مكان إلى آخر إلاّ بوجود المياه في جنباتها المترامية الأطراف، ولذا، فقد تكون عند السكان نوع من المعرفة الجغرافية البسيطة، وأركز في قولي على عرب البدو الذين سكنوا الصحراء، ولا أعني أصحاب الحضارات القديمة في العراق ومصر لأنهم كانوا ذوي ثقافة فلكية متقدمة على سواهم من الأمم المجاورة. ولا ننسى بأن المعرفة الجغرافية العربية قد عُرِفَت في قصائد شعراء العرب قبل الإسلام، مما يعني أنه كانت هنالك جغرافية شعرية حدّدت بعض المواقع عن طريق القصائد وهي وثائق شعريّة مهمة للباحثين في هذا الميدان.

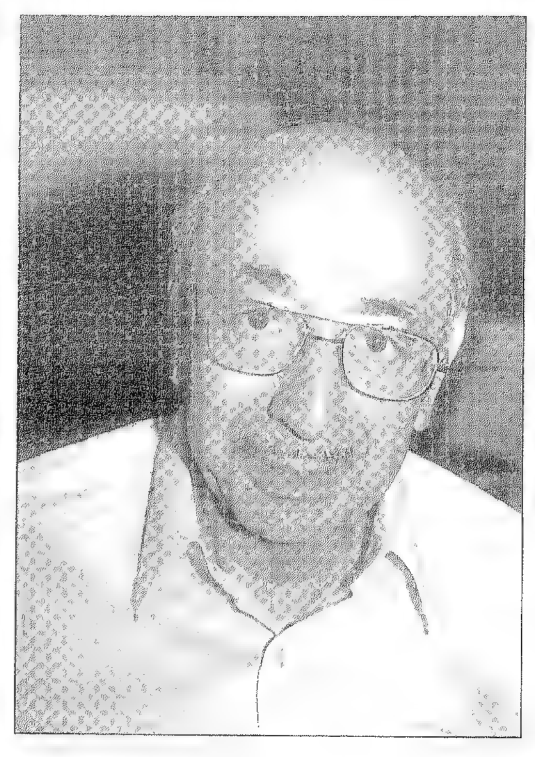

د. شاكر خصباك

** متى بدأ ت المعرفة الجغرافية الحقيقية ؟*

– بدأت هذه المعرفة البعيدة عن الحَدس والتخمين عقب القرن الثالث الهجري، وكانت بسيطة في بدايتها،لكنها أخذت تحثُ الخُطى وتتقدم بسرعة، وبرزت مصنفات وافرة للأديب البصري الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بكتابه: (البلدان الصغير والبلدان الكبير)، ونجد فيه كمّاً كبيراً من المعرفة والعلوم الجغرافية.

وكذلك النضر بن شميل الذي بدأ بالجغرافية البسيطة، ثم بدأت الثقافة الجغرافية بالتقدم والتطور في نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجريين، عندما تنامت وازدهرت الحضارة العربية الإسلامية إبّان تلك الفترة، كما بدأ قبلها عصر الترجمة بعدما اطلع العرب على ثمار الفكر اليوناني والروماني، وهذا شيء هام لمختلف مجالات المعرفة والعلوم والفنون والآداب، وازدهرت حركة الترجمة عند العرب بنحو مميز في بغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية أيام الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد في أواخر القرن الثالث الهجري، علماً بأن الكتب المُترجمة كانت توزن ويمنح وزنها ذهباً للمترجمين !

** إذن.. ما أثر تلك الكتب المترجمة على الحضارة العربية ؟*

– بعد تلك الترجمات العديدة في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية من غير اللغة العربية، فإنّ مبدعي حضارتنا العربية قد اطلعوا على كتابات الجغرافية اليونانية على سبيل المثال، ولا ننسى بأن العرب منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد قد عرفوا تقدم الحضارة اليونانية الكبرى، وكانت الجغرافية أحد الفروع الهامة فيها، وعمل فيها علماء بارزون توصلوا في بحوثهم ودراساتهم إلى تحديد شكل الأرض المدّور أو هي بهيئة مُعلقة في السماء.

الجغرافيون العرب والتجارة

* هل اشتغل بعض جغرافيينا بالتجارة ؟

– يعد (ابن حوقل) مؤلف كتاب: (صورة الأرض) من أهم الجغرافيين العرب في القرن الرابع الهجري، وكان تاجراً بالدرجة الأولى، وأما المقدسي صاحب كتاب: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) فقد مكنته السياحة والتجوال والمشاهدة العيانية من تدوين أفكاره، وأشار لذلك في مقدمة الكتاب المذكور. ومن هنا أخذت المعرفة الجغرافية في هذا العصر بالنمو المضطرد وبرز الجغرافي الأصطخري، ثم ظهرت الكتب الجغرافية الإقليمية حيث كان العرب يُطلقون لفظ

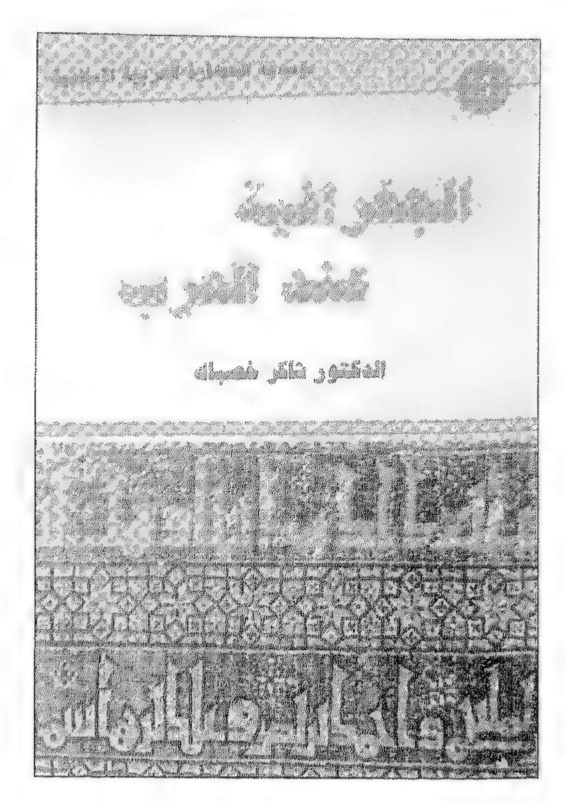

(الأقاليم)، ولديهم كتب سُميّت بالأقاليم، وعنيت كتبهم الجغرافية الإقليمية بوصف البلدان وبيان معالمها الطبيعية والاقتصادية، وكل ما يتعلق بالجغرافية العيانية والتحدث عن سكان تلك البلدان، ومن الجغرافيين الذين كتبوا في هذا الموضوع: ابن حوقل، والبلخي، والأصطخري.

** وما هي حال الجغرافية بعد القرن الخامس الهجري؟*

– لدينا تراث جغرافي راقٍ ونعتقد أنه حتى القرن السابع الهجري فإنّ ما أُنجز جغرافياً لم يكن أصيلاً بعد هذا القرن، وعلى سبيل المثال نذكر موسوعة القلقشندي والعُمري، ونجد فيهما الجانب الجغرافي الكبير، ولكن الإضافات ليست حقيقية، وأما الجغرافي أبو الفداء والذي ظهر في مدينة حماة بالشام فإن جغرافيته مهمة حتى أن الغربيين قد أعطوه أهمية كبيرة لما كتب من معلومات جغرافية علمية وصحيحة. كذلك فإنّ الرحلات في القرنين السادس والسابع الهجريين قد نشطت وبرز دورها في التسجيل والمُشاهدة من قبل الرحالة العرب، وأهم الرحلات رحلة (ابن بطوطة)، وقبله الرحالة (ابن جبير) وتعد رحلة (ابن بطوطة) قمة في أدب الرحلات حيث دوّن فيها المعلومات المُهمة مثل علاقة المُسلمين بالنصارى خاصة في جزيرة قبرص أيام حُكم النورمان، وسجل معلومات في غاية الأهمية، وبرأيي فإنّ رحلة (ابن جبير) أقوى من رحلة (ابن بطوطة) لأنه سجل رحلته يوماً بيوم.

رحلة ابن بطوطة الشعبية

** لكن رحلة ابن بطوطة هي الأشهر بين الناس؟*

– هذا صحيح لأنّ ابن بطوطة عاش في بلاد الهند والصين، وزار شرق وغرب أفريقية، فعُدت رحلته شعبية ويقرأها عموم طبقات المجتمع، بينما مرّ ابن جبير ببلدان عربية،ولكنه لم يزر جزيرة قبرص مثلاً، وقال الجغرافي الروسي (كراتشوفسكي) بأنّ ابن جبير هو أبو الرحلات العربية، وعندما يُدلي هذا الجغرافي الكبير بهذا التصريح فإنّ وراءه خلفية علمية بالتراث الجغرافي العربي من أبدع وأوسع ما يمكن ونأخذ رأيه بقدر من الأهمية لأنه من أبرز من كتبوا عن تراث الجغرافية العربية في كتابه المعروف: (تاريخ الأدب الجغرافي العربي).

كما نلحظ بداية ضعف المدونات الجغرافية في أواخر القرن الثامن الهجري، والتي جاءت إعادة لما سبق، مع قلة الإبداع الجغرافي، وبشكل عام لم يكن بالقوة التي شهدتها القرون الأولى، وعلى الرغم من ذلك فقد جاء كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) للقزويني، ليشكل علامة فارقة في هذا القرن.

** هل تعتمد مدونات الرحالة كوثائق يمكن الرجوع إليها؟*

– يعترض الغربيون على مسألة الرحالة لأنهم ربما يُبالغون في حديثهم الوصفي، واشتهرت في أوروبا (حكاية رحّالة) كأنّها غير موثوق بها،، بينما ذكرنا بأنّ رحالتنا العربي ابن جبير كان يدون مشاهداته كل يوم، وهكذا كانت عقلية ابن جبير الدقيقة قد أثّرت بعد خمسة قرون وأشتهرت رحلته وجاء من يحاول تقليده في الكتابة. ونجد في الطرف المقابل لابن جبير الرحالة ابن بطوطة الذي امتاز بذاكرة حافظة، ودون رحلته بعد

ثلاثين عاماً، وقد أملاها على ابن جزّي كاتب السلطان أبي عنّان البريدي في المغرب، وقد ثبت بعد العقود الثلاثة لوصف ابن بطوطة بأنّ ما ذكره عن بلدان الشرق هو الصحيح، علماً بأنّه قد كُذب حين نشرها، وعُدت رحلته مصدراً كبيراً عن العثمانيين الأتراك أثناء زيارته لتركية وتحدث بإسهاب عن مدينة الآستانة -اسطنبول- الحالية.

ابن ماجد: نشاط بحري في الخليج

** كيف كان دور الجغرافيين في منطقة الخليج العربي؟*

- ازدهرت الجغرافية البحرية بعد القرن السابع الهجري، وظهر ليوث البحر ومعظمهم من الساحل الخليجي الجنوبي من عُمان والإمارات، واشتهر الليوث بخبرتهم في المحيط الهندي وكانوا يعرفون كل الطرق، ومما يُقال عن ابن ماجد (أسد البحر)، وهو الذي رافق (فاسكودي غاما) إلى الهند وقاد سفنه إلى غرب الهند، وأول مدينة وصلها(غاما) هي مدينة (قلي قوت) وليست مدينة (كلكتا) كما هو معروف خطأً، وتقع في أقصى الشرق على خليج البنغال، بينما تقع (قلي كوت) على الساحل الغربي للهند وهو أول ما يصل إليه المسافرون والمبحرون، وما تزال المدينة موجودة إلى اليوم، ويقال إنّ ابن ماجد هو الذي قاد فاسكودي غاما إلى مدينة (قلي قوت) لأنه لا يعرف طريقها إلاّ بحّار حيث كان ابن ماجد والجغرافيون البحريون يستعينون بالرياح الموسمية لمعرفة متى يذهبون ويعودون بسهولة كونهم يستخدمون سفناً شراعيّة، وأصل التعريف (مونسون) يُطلق على الرياح الموسمية فهو بالحقيقة مُشتق من لفظة عربية (الرياح الموسمية)، وهو ما يزال مصطلحاً جغرافياً متداولاً إلى اليوم، وتمثل إسهامات ابن ماجد عطاءً متميزاً من الخليج العربي بالنسبة إلى إنجازات الجغرافيين والرحالة العرب في العصور الوسطى.

الجغرافية قبل الإسلام

** هل كان للعرب قبل الإسلام معرفة جغرافية من خلال ورود أعلام جغرافية في أدبهم؟*

- لازلنا نقرأ عن المواسم الزراعية عندما تظهر النجمة الفلانية في صفحة السماء، وعليك أن ترتدي الملابس السميكة، وهنالك مثلاً عدد لا يستهان به من الأشعار لشعراء ما قبل الإسلام نعدّها ضمن الجغرافية الوصفية، ويراها بعض الجغرافيين من الجغرافية الحكمية التي وردت في قصائدهم بصورة أشعار، وفيها نوع من الحصيلة العلمية، وكلنا قرأ المعلقات الشعرية لامرئ القيس وطرفة بن العبد ولبيد بن ربيعة العامري، فيبدأ مطلع كل معلقة بالوقوف على الأطلال كقول امرئ القيس :

قِفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقطِ اللوى بينَ الدَّخولِ فَحَوملِ

فكرة شاملة للميادين الجغرافية

** بعد رحلة طويلة ماذا أردت التأكيد عليه في مؤلفاتك الجغرافية العديدة؟*

- لديّ عدد من الكتب الخاصة بالجغرافية ومنها : (في الجغرافية العربية دراسة للتراث الجغرافي العربي) و(الجغرافية عند العرب) ودراسة مبكرة بعنوان (رحلة ابن بطوطة)، و(كتابات في التراث الجغرافي العربي)، و(تطور الفكر الجغرافي)، و(العراق الشمالي دراسة لنواحيه الاقتصادية والاجتماعية والبشرية)، و(دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة في الجغرافية الاجتماعية عام ١٩٧٧ م)، و(مستقبل الجغرافية) مترجم لعشرين دراسة لجغرافيين من أنحاء العالم، وغيرها، وحاولت كمتخصص أن أُعطي فكرة شاملة للميادين الجغرافية التي طرقها جغرافيو العرب مع نماذج تُثبت هذه الميادين، وكجغرافي فقد عُنيت بهذا الجانب والقول بأن هذا الجانب يتعلق بالتاريخيين، غير صحيح لأنّ الجغرافية هي أحد العلوم العربية المُتقدمة، ونقرأ بأنّ العرب في العصور الوسطى قد سدّوا بخبراتهم الجغرافية الصحيحة مسد اليونانيين في الجغرافية، وقد لاحظت في كتب الجغرافيين الغربيين أنّهم غالباً ما يخصصون جزءاً من كتبهم للحديث عن جغرافية العصور الوسطى ولإيضاح دور العرب الجغرافي الرائد فيه، وأشار البعض منهم إلى أبي الريحان البيروني وبشكل خاص لكتابه:(الهند)، ويكن الهنود حتى يومنا هذا احتراماً كبيراً للبيروني لكتاباته عن الهند. ■

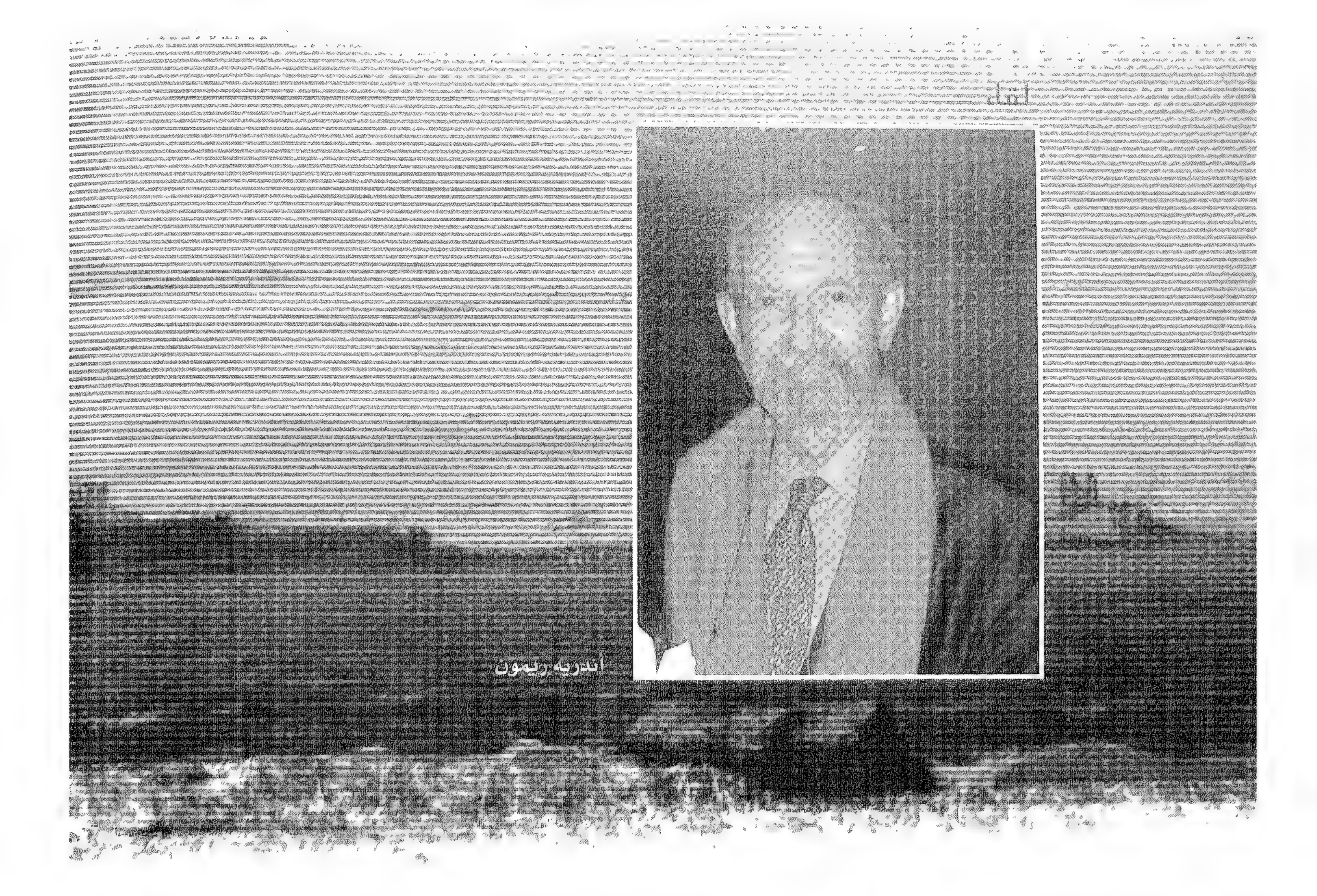
أندريه ريمون

أندريه .. عاشق الحضارة العربية

لا يوجد صدام بين الحضـــ

■ القاهرة - مجدي عبدالكريم

أندريه ريمون.. مستشرق فرنسي احتفلت به القاهرة مؤخراً لأنه من المستشرقين الذين طرحوا على الغرب رؤية محايدة وموضوعية عن الثقافة والحضارة العربية والإسلامية.

الرجل وصفه المثقفون العرب بأنه مؤرخ فذّ.. ومؤرخ كبير.. وبمناسبة بلوغه الثمانين كان الاحتفال الذي مثل احتفاءً خاصاً به تمت فيه مناقشة كتابه (الحرفيون والتجارة في القاهرة في القرن الثامن عشر)، والذي يعدّ كتاباً مرجعاً في تاريخ مصر الاقتصادي الاجتماعي في تلك الفترة.. كما احتل واسطة العقد في الدراسات الأكاديمية المعتبرة عن العصر العثماني عامة ومصر خاصة.. حيث قضى نصف القرن من عمره يبحث في تاريخ ذلك العصر، في وقت لم تكن المصادر الأصلية ميسرة للباحث.. فراح يبحث عنها في أماكنها الأصلية في صبر وأناة لم يتوافرا لغيره فغاص، في السجلات والوثائق والمخطوطات حتى خرج كتابه لأول مرة في العام ١٩٧٣م، ثم أعيدت طباعته في العام ١٩٩٩م، وظل منذ ذلك الحين في طبعته الفرنسية ولم يترجم لأي لغة أخرى، ربما لأن ترجمته تتطلب معرفة تامة بموضوعه وامتلاك ناصية لغة الكتاب واللغة التي يترجم إليها.

ـارات.. لكن المسألة سوء فهم!

وصدرت الطبعة العربية في العام ٢٠٠٥م وأحدثت دوياً هائلاً في الأوساط العلمية العربية، وحرص فريق من الباحثين المصريين والعرب على الانكباب على دراسة العصر العثماني بحثاً عن أصول التطور الاجتماعي لمصر الحديثة لدحض ما أشاعته مدرسة الاستشراق من إنكار هذا العصر.

وحرصاً منها على معرفة ما يدور بخلد المستشرق الفرنسي أندريه ريمون التقت به «تراث» وحاورته حول علاقته بالحضارة العربية وكيف يرى مستقبلها في ظل رياح (العولمة) ومكامن القوة والضعف فيها، وتطرق الحوار إلى قضايا عدة في الثقافة والحضارة والسياسة والاجتماع.

*** *متى بدأ اهتمام البروفسيور (أندريه ريمون) بالحضارة العربية، ولماذا ؟***

■■ البداية عندما ذهبت إلى تونس في شبابي حيث عينت مدرساً للتاريخ، وقضيت في هذا البلد عدة سنوات وأتاح لي العيش فيه فرصة كبيرة لدراسة العربية، وقادتني إقامتي فيه لدراسة تاريخ تونس، بعدها توجهت إلى أكسفورد وقضيت عدة سنوات للدراسة مما دفعني لأن أصبح أكثر اهتماماً بالمنطقة العربية، ثم

كان مجيئي إلى مصر والعيش في القاهرة التي اهتممت بها وبتاريخها، وكانت من الفرص المثلى في حياتي، وثمة سبب أكثر أهمية للاهتمام بالثقافة العربية وهو وجهة النظر التي كنت أتبناها في شبابي، فقد كنت معادياً للاستعمار، وأردت دراسة حضارة هذه المنطقة قبل الاستعمار، وتعرفت على تاريخ المنطقة خاصة شمال أفريقيا والشرق الأوسط وركزت على القرن الأخير السابق على تصفية الاستعمار.

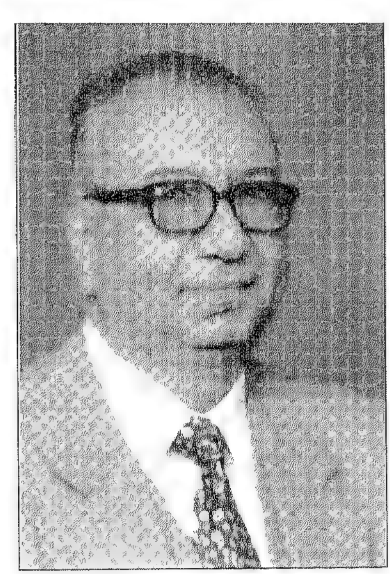

د. رؤوف عباس

*** لماذا كانت (القاهرة) على وجه التحديد محل اهتمام استثنائي لديك وهو الاهتمام الذي أنتج أعمالاً لامعة ورائعة عن تاريخ وثقافة هذه المدينة ؟***

■■ كما قلت في السابق بدأت دراسة تاريخ تونس أثناء إقامتي بها وخاصة تاريخ عملي أيضاً في أكسفورد دارساً، ثم في دمشق باحثاً ودارساً للعربية، ثم لاحت فرصة إقامتي في القاهرة باحثاً في التاريخ المصري، ومع أول اتصال أو احتكاك بالقاهرة أصبحت مهتماً للغاية بحضارة مصر، وعكفت بصورة خاصة على تاريخ الجبرتي وتوطدت علاقتي بالمتحف المصري، كل هذا دفعني لدراسة التاريخ المصري عموماً، والقاهرة على نحو خاص فهي تقدم مثالاً جيداً وعظيماً للتاريخ العربي.

*** البعض يرى أن الحقبة العثمانية مازالت تعيش معنا حتى الآن ويعزو إليها البعض أسباب تخلفنا؟***

■■ بالطبع الحضارة العثمانية عاشت لفترة طويلة تمتد من العام ١٥١٧م حتى العام١٩١٧م.. لكنني أستطيع القول إن الحضور العثماني في مصر على وجه التحديد تراجع وقلّ تأثيره في عهد محمد علي باشا، كما ينبغي التذكير بأن محاولة الوحدة كانت سابقة على محمد علي تمثلت في (علي بك الكبير) جسدت فكرة الاستقلال التي تابعها محمد علي باشا الذي كان قد عرف بمحاولة علي بك الكبير وسار على نهجه وبعض خطاه واستلهم تجربة علي بك الكبير.

*** كان الاستشراق عقلاً معرفياً موجهاً لدراسة الشرق ولكن ثمة تباينات بين المدارس الاستشراقية المختلفة لا سيما الأمريكية والأوروبية. هل يمكن أن نقف على حالة الاستشراق في أمريكا وأوروبا ؟***

■■ الاستشراق مسألة كبيرة جداً ويمكنني القول إن الاستشراق بمعناه الاستعماري قد توقف في فرنسا في خمسينيات القرن الماضي بعد تصفية الاستعمار.

ويتعين ملاحظة أنني مؤرخ ولست مستشرقاً. مؤرخ للعالم العربي، لكن من المتابعة هناك دراسات استشراقية في أمريكا وألمانيا وقف عليها إدوارد سعيد في دراسته للاستشراق، لكن يجب القول إن هناك جوانب بحثية إيجابية في الاستشراق ساعدتنا على فهم الشرق خاصة في الفترة الاستعمارية، لكن هذا توقف، ونحن نعترف بفضل الكثير من المستشرقين. وحالياً تجرى الكثير من الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية لكنها تواجه بعض الصعوبات في الفترة الأخيرة، وإذا أخذنا برنارد لويس مثالاً نجده باحثاً مهماً، لكن موقفه من القضية الفلسطينية ليس عادلاً وهذه مشكلة كبيرة عند لويس.. فهو باحث مهم ولكن موقفه السياسي شيء آخر وأنا معجب ببحوثه.

*** شُغِلَ العالم في الفترة الأخيرة بنظريات صادرة عن عقل امبريالي منها نهاية التاريخ وصدام الحضارات، ماذا عنها ؟***

■■ نهاية التاريخ ليست وشيكة، والأمور ليست بهذا التبسيط فهي معقدة، أما صراع الحضارات فهو

نظرية جاءت تحت دافع بعض المشكلات الإسلامية مثلاً، والقول بوجود صدام بين الشرق والغرب وهذا غير صحيح، وينبغي العمل على عدم دفع الأمور باتجاه صدام بين الشرق والغرب ولكن ثمة سوء فهم بين الحضارات لكن لا يوجد عداء بينها.

** اسمح لنا بالعودة إلى (برنارد لويس) الذي يوصف في أمريكا بأنه عميد الباحثين في شؤون الشرق الأوسط، وكان له كتاب منذ أعوام قليلة بعنوان (أين الخطأ) ترجم إلى العربية وأثار نقاشاً واسعاً في بلادنا وقدم لترجمة حديثكم المؤرخ الكبير د. رؤوف عباس بمقدمة إضافية كشفت الكثير من سلبيات أفكار لويس تجاه الثقافة العربية الإسلامية، ترى ما رأيكم في هذا الموقف من (لويس)؟*

■■ برنارد لويس أحترمه كباحث، وربما من الخطأ أن يعطي باحث آراء سياسية أو يتخذ في عمله البحثي موقفاً

* ولد في ٧ من أغسطس ١٩٢٥م.

* درجة الليسانس في الآداب من السوربون عام ١٩٤٤م.

* دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من السوربون عام ١٩٤٥م.

* دكتوراه الفلسفة من جامعة أكسفورد عام ١٩٥٤م برسالة موضوعها (السياسة البريطانية تجاه تونس ١٨٣٠ - ١٨٨١م).

* دكتوراه الدولة من السوربون (باريس١) عام١٩٧٢م برسالة موضوعها (الحرفيون والتجارة في القاهرة في القرن الثامن عشر).

* منحة دراسية من المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (١٩٥٤– ١٩٥٥م).

* منحة علمية من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٥٥– ١٩٥٧م).

* مدرس بالجامعة التونسية (١٩٥٧– ١٩٥٩م).

* مدير مساعد (١٩٦٦– ١٩٦٩م) ثم مدير (١٩٦٩ - ١٩٧٥م) المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.

* مؤسس ومدير معهد بحوث ودراسات العالم العربي والإسلامي - أكس أن بروفانس (١٩٨٥– ١٩٨٩م).

* نائب رئيس معهد العالم العربي بباريس (١٩٨٧ - ١٩٩٠م).

* مؤسس ورئيس الجمعية الفرنسية لدراسات العالم العربي والإسلامي (١٩٨٧ - ١٩٩١م).

أهم مؤلفات ريمون عن الحضارة العربية

* تونس، باريس (١٩٦١م).

* الحرفيون والتجارة بالقاهرة في القرن الثامن عشر، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (١٩٧٤م).

* أسواق القاهرة. (بالاشتراك مع جاستون فييت)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٧٩م).

* المدن العربية الكبرى، نيويورك (١٩٨٤م).

* المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، باريس (١٩٨٥م).

* القاهرة، باريس (١٩٩٣م).

* ابن أبي ضياف: حوليات ملوك تونس، تونس (١٩٩٤م).

* قاهرة الانكشارية، باريس (١٩٩٥م).

* المصريون والفرنسيون في القاهرة (١٧٩٨– ١٩٠١م)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (١٩٩٨م).

*** ماذا عن الولع الفرنسي بالثقافة العربية ؟**

■■ الفرنسيون يعرفون الحضارة المصرية القديمة معرفة جيدة، ويأتي الكثيرون من كل أرجاء بلادنا لشاهدة هذه الثقافة، وهناك من بني جلدتي من يعرفون الحضارة المصرية وإنجازاتها الكثيرة، لكن معرفتهم أقل بالحضارة العربية وهذه مشكلة تتعلق بالتعليم عندنا، لكن حينما يأتون إلى هنا يعرفون أن هناك استمرارية في الحضارة.

*** أين موقع الثقافة العربية في إطار العولمة ؟**

■■ هذا السؤال كبير، ولكنني كمؤرخ أقول إن الثقافة العربية لها ماض عظيم وحاضر ومستقبل كبيران أيضاً. ونحن في فرنسا نحاول صد موجة الهجمة التي تشنها العولمة أو بالأحرى الثقافة الأمريكية المعولمة، ونرى أن العولمة يجب أن تعني تعدد الثقافات والحفاظ على الثقافات المحلية والإقليمية وتعايشها معاً. وعلى الشعوب العربية أن تتوصل إلى سياسة مشتركة لحماية الثقافة من العولمة وما تمثله من مخاطر. ونحن الفرنسيين نشاطركم نفس الموقف في الدفاع عن الهويات القومية والوطنية، ولدينا ثقافات فرنسية قديمة نريد الحفاظ عليها وجعلها تعيش.

وفي زياراتي الأخيرة لبعض الدول العربية وخاصة مصر وجدت تطوراً مذهلاً في دراسة التراث وهو مجال اهتمامي على المستوى القومي والمعرفي وهناك بحوث رفيعة المستوى جداً. ومن موقعي كمؤرخ مهمته ما حدث وليس ما سيحدث أقول إن الماضي والحاضر مبشر والمستقبل قد يكون كذلك، ففي القاهرة تطور هائل وإصلاح وترميم وصيانة الآثار والتراث وهو أمر مهم للمستقبل وستكون له انعكاساته الثقافية.■

أحد مؤلفات المستشرق أندريه ريمون

سياسياً، أنا لا أشاطره الآراء التي يتخذها حول القضية الفلسطينية، والحقيقة أن العالم العربي يعيش مشكلة حقيقية هي القضية الفلسطينية، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني وعلينا ألا نتغاضى عن الحقائق السياسية والتاريخية، ونحن في فرنسا نناقش المسألة الفلسطينية ونرى أن للفلسطينيين حقوقاً يتعين منحهم إياها وإلا سيظل العالم العربي يعيش هذه المشكلة.

* المدينة العربية حلب في العصر العثماني، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (١٩٩٨م).
* ديوان القاهرة (١٨٠٠- ١٨٠١م)، نشر وتحقيق محمد عفيفي بالاشتراك مع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (٢٠٠٣).
* تربو مؤلفات ريمون على المائة بحث ومقال نشرت بالدوريات الفرنسية والإنجليزية وترجم العديد منها إلى العربية ونشر بالمجلات المختلفة بالقاهرة ودمشق وبيروت.

الأربعـــون

رقمٌ عابرٌ.. أمْ حَدٌّ فاصل؟!

■ أ.د. محمد رضوان الداية

المشهور عن (الأربعين) أنه أحد ألفاظ العُقود: رقم من أرقام العشرات يدلّ على عدد معيّن. لكن النظر في التراث الفصيح والشعبي، والمدوّن والمَرْوي يؤدّي إلى معلوماتٍ إضافية تجعل لهذا العدد مزية اكتسبها مما يضاف إليه في شؤون الناس، وظروف الحياة، ومَجْريات التاريخ، ومرويات النصوص.

وإذا كانت وجهات الانتباه إلى (الأربعين) وما معه كثيرة فإن في أكثرها دوراناً وأشهرها ما يتعلّق بعمر الإنسان حين يبلغ هذه السنّ. والكلامُ في هذا الموضوع كثير، وبعضه متطاول مديد، لكن وقفتنا ستكون محدودة، تأخذ من كل جانب بطرف.. وتقدّم من الحقائق والطُرف.

أربعون ليلة.. وأربعون سنة

في كتاب الله الكريم في قصة موسى عليه السلام: ﴿وإِذْ واعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً﴾ «وكان ذلك بعد أن جاوز البحر وسأله قومه أن يأتي بكتاب من عند الله فخرج إلى الطور في سبعين رجلاً.. وصعدوا الجبل وواعدهم إلى تمام أربعين ليلة». وفي سورة الأعراف ﴿وَوَاعَدْنَا مُوْسَى ثَلاثِيْنَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيْقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً﴾. روي أنها شهر ذي القَعدة وعشر من ذي الحجة. وفي تفسير القرطبي: فكان وعده المناجاة إكراماً له. وورد ذكر العشر حتى لا يقع الوهم بأن العشر من الثلاثين.

وفي سورة المائدة في قصة التيه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُوْنَ فِيْ الأَرْضِ..﴾ قال

القرطبي: كان تيه بني إسرائيل عقوبة لهم على عصيانهم موسى، استجابة لدعائه عليه السلام عليهم.
– فتلك أربعون ليلة، وهذه أربعون سنة.

الأربعون: اكتمال واكتهال

في سورة الأحقاف في الكلام على الإنسان ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ (الآية: ١٥). وفي كتب التفسير أن الأربعين: أقصى نهاية بلوغ الأَشُدّ. و(الأَشُدّ) القوة: تكون في البدن وتكون في المعرفة بالتجربة. وروى القرطبي أن انتهاء الكهولة (الغاية منها) فيها مجتمع الأَشُدّ. ويشهد لهذا التفسير ما ورد من شعر العرب كقول سُحيم الرّياحي:

وماذا يَبْتغي الشعراءُ منّي
وقد جاوزتُ رأس الأربعين؟
أخو خمسين مجتمعٌ أشُدّي
ونَجّذني مداورةُ الشؤون!

يقول إنه رجل منجّد (هذّبته: علمته السّنون) فصار حكيماً، له خبرة عظيمة في الحياة.

وفي كتب التفسير والمعاجم أنّ الأشدّ يبدأ من نحو الثامنة عشرة وينتهي في سنّ الأربعين. قال الأزهري اللغوي المشهور عند آية سورة الأحقاف: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً..﴾ هو أقصى نهاية بلوغ الأشد، وعند تمامها بُعِثَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً وقد اجتمعت حنكتُه وتمام عقله.

«مَن حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنّة حتى يؤديها إليهم كما سمعها كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»

حديث شريف

لمحات في الأربعين

– في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «مَن حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنّة حتى يؤديها إليهم كما سمعها كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة».
ومن هنا كثرت الأحاديث المعنونة بالأربعين، ومن أشهرها الأربعون النووية.
– وفي سيرة عمر رضي الله عنه أنه أسلم بعد أربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة (ابن سعد ٣: ٢٦٩).
– من كلام عمر بن عبد العزيز: تمّت حجّة الله على ابن الأربعين».
– وعن هلال بن يساف: كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين سنة تفرّغ للعبادة.
– وعن محمد بن هارون أن عائشة رضي الله عنها تمثّلت من الشعر:

إذا ما المرء جَرّب ثم مرّت
عليه الأربعون مع الرجال
فلم يلحق بِصَالِحِهِمْ فَدعْهُ
فليس بمفلحٍ أُخرى الليالي

– وممن توفي ابن أربعين سنة نبي الله سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام، ومصعب بن عمير، وعمر بن عبد العزيز.

حدٌّ فاصل

كثر الكلام شعراً ونثراً عن كون سنّ الأربعين حداً فاصلاً لابن آدم؛ بين سنواتٍ سابقة قد تحتمل الخطأ، والانزياح عن الحق لسبب من الأسباب، لكن الأعذار تنتهي عند هذا الحد. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يَتُب أخذ إبليس بناصيته وقال: حبّذا من لا يُفلح أبداً!..» وقد استوعب أيمن بن خُرَيم (من العصر الأموي) كلام ابن عباس، وأنشد:

إذا المرء وَفّى الأربعين ولم يكن
له دون ما يأتي حجابٌ ولا سترُ
فدعه وما يأتي ولا تعذلنّه
وإن مدّ أسباب الحياة له العمرُ!

وقرأت هذا الشعر برواية مقاربة فيها كلمات مناسبة للمعنى أيضاً وفيها إيرادُ بيت سابق عليها يفسر كلام الشاعر، قال يذكر تعففه عن الشراب ويخاطب بعض

أصحابه:

تعقّفتُ عنها في العُصور التي مضت
فكيف التّصابي بَعْدَما كمل العُمْرُ؟
إذا المَرْءُ وفّى الأربعينَ ولم يكن
له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سترُ
فَدَعْهُ ولا تَنْفَسْ عليه الذي أتى
وإن جَرَّ أسبابَ الحياةِ له دَهْرُ..

الأربعون قمّة هرم الحياة

وللمنفلوطي مقالة مهمة في هذا الموضوع. وهو مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٢ - ١٩٢٤م) وصفه الزركلي في معجم الأعلام بأنه «نابغة في الإنشاء والأدب»، وأنه «انفرد بأسلوب نقيّ في مقالاته وكتبه» وهذا حكم صحيح. والذي أشير إليه هنا مقالة ثبتت في مقالات (النظرات) هي الأخيرة في الجزء الثالث، عنوانها: (الأربعون) قال فيها: «الآن وصلت إلى قمة هرم الحياة، والآن بدأتُ أنحدرُ في جانبه الآخر»، ثم قال: «سلام عليك أيها الماضي الجميل، لقد كنت ميداناً فسيحاً للآمال والأحلام وكنا نطير في أجوائك البديعة الطلقة غادين رائحين طيران الحمائم البيضاء في آفاق السماء..»، وبأسلوبه الرقيق، الذي ينضح بالعاطفة الجيّاشة، والتصوير الدقيق، قال: «سلام عليك أيها الشباب الذاهب، سلام على دوحتك الفينانة الغناء التي كنّا نمرحُ في ظلالها مَرَح الظباء العُفر في رملتها الوعثاء تنظر إلى السماء فيخيّل إلينا أنّها مَغْذىً ومَراحٌ لنا..» ويصل تأثر المنفلوطي إلى الذروة: «أبكيك يا عهد الشباب.. أبكيك لأني كنت أرى في سمائك نجم الأمل.. أما اليوم وقد بدأتُ أنحدر من قمة الحياة إلى جانبها الآخر فقد احتجب عني كل شيء.. مضى عهد الشباب وبدأت أختلف إلى (أتردد على) الأطباء الثلاثة: طبيب العيون، وطبيب المعدة، وطبيب الأسنان!!»» إلخ.

والمقالة طويلة.. فيها بوح النّفس وصدى الأمس، وترقّب المجهول القريب!.. وكان ختامها هذا البيت من الشعر (وكان المنفلوطي شاعراً):

أيا عهد الشباب وكنت تَنْدى
على أفياءِ سرحتك السّلامُ!

«الآن وصلت إلى قمة هرم الحياة، والآن بدأتُ أنحدرُ في جانبه الآخر»

المنفلوطي واصفاً الأربعين

ولعباس محمود العقاد ديوان (مجموع شعري) من دواوينه سمّاه (وحي الأربعين) أصدره بعد خروجه من السجن، وأكثره تأملات في الحياة وخواطر في الحب والطبيعة.

الأربعون والمراثي

في قصيدة للعقاد من ديوانه ذكرى الأربعين بهذا العنوان نفسه: توجّع وتفجّع على وفاة سعد زغلول، وكان العقاد معجباً به، وكان يكتب في جريدة البلاغ الوفديّة، بل كان معدوداً في السعديين، ومن أبيات القصيدة:

أمضت بعد الرئيس الأربعون
عجباً كيف إذن تمضي السنون؟
كل يوم ينقضي نفقده
وهو ملء الصدر من كلّ حزين
تكبر البلوى به حين مضت
والبلايا حينما تمضي السنون

وفي حاشية الديوان أن العقاد نظم القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم سعد زغلول. وظاهر أنهم احتفلوا بذلك في ذكرى أربعين وفاته.

- وكثر هذا في الشعر الحديث، ومنه في ديوان أحلام النخيل لعبد العزيز عتيق (ص٢٤٩):

ليلةَ الأربعينَ هلْ عادَ أمْ عُدْ
تِ بذكراه كي أذوبَ وأفنى؟

لم أجدْ فيك غيرَ حُسْنٍ مقيمٍ
وعيونٍ من البكاء جُرِحْنا
وديارٍ تعطّلت من شعاعٍ
كان أبهى من الشموس وأسنى

وهذه الإشارات وأشباهها تأخذ من عادة اجتماعية سائدة في بلدان كثيرة تحتفي بالذكرى الأربعين للوفاة. ومنه ما سجله أحمد أمين في قاموس العادات المصرية في منتصف القرن الماضي «وفي كل جمعة يذهب أهل الميّت إلى مقبرته ومعهم الخوص والفاكهة والفطير أو الشريك وهكذا إلى يوم الأربعين» (ص٢٨٥). وقال في موضع آخر (ص١٤٠): «ولا يصحّ إدخال السمك ولا الفاكهة في بيت الحزن إلا بعد الأربعين». ثم سرد أحمد أمين من ذكرياته أنه كان عندهم خادمة ومات أحد أقاربهم وكان عزيزاً عليهم فحلقت شعرها وظلت أربعين يوماً لا تأكل إلا الزيتون الأسود، ولا تنام إلا على حجر، ولا تشرب القهوة إلا سادة، وتدّعي أن ذلك وفاء للميت..» إلخ.

الأربعون.. وجه آخر

مما سجله صاحب كتاب (طرائف الأمس وغرائب اليوم) من العادات والتقاليد في بعض جهات القلمون (بين دمشق وحمص من الشام) مما كان سائداً في النصف الأول من القرن الماضي: بعد مرور أربعين يوماً على الولادة يُسمَحُ للأمّ بالذهاب إلى الحمّام (أي حمّام السوق الذي كان منتشراً ويُعرف بالحمام التركي) ويكون ذلك بحفلة ذائعة، لأنهم يأمنون بعد الأربعين من أن تصاب الوالّدة بشيء من أمراض النفس.

وفيه أنهم في بعض الجهات من القلمون تبقى العروس مخبية (لا تظهر للناس) أربعين يوماً، محظور عليها الخروج في النهار كل هذه المدة إلا في الليل فتخرج مع العريس وأناس من العائلة للسهرة عند الأقارب.

الأربعون والأربعين

– للأربعين أصداء في الموروث فصيحه وشعبيّه. ومن ذلك استعمال النسبة إلى الأربعين. وفي كلامهم: فلان أربعيني أو في (حيطان الأربعين) أي هو في سن الأربعين أو نحوها، كما قالوا خمسيني وستيني وهكذا. وإذا وصفوا أحدهم بالأربعيني فمرادهم من ذلك: إثبات العُمر أو مقاربته، وفيه إشارة إلى بلوغ سنّ الحكمة والتدبر أو إشارة إلى الكهولة وانقضاء الشباب. وقد تقال تصغيراً لسن العَجوز الذي يحاول زواجاً جديداً.

– واتّخذوا رقم الأربعين مستنداً أو متكأً لمعنى الكثرة كقولهم نصحته أربعين مرّة، ويغلب أربعين رجلاً، وفي دعائهم أن يصاب العدو بأربعين علّة (مرضاً).

– واشتهر كتاب أبي حَيّان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة الذي بناه على أربعين ليلة قدّم فيها من ثمرات الفكر والثقافة والفن والأدب في مجلس الوزير أبي عبد الله العارض.. «وهذا الكتاب يصوّر حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية كيف يبحثون وفيم يفكّرون في شكل قصصي مقسّم إلى ليالٍ..»

– وفي المصطلحات المشهورة في المُنَاخ: أربعينية الشتاء وأربعينية الصيف. وهما الأربعون يوماً الأولى من الانقلاب الشتوي، والانقلاب الصيفي. وعامة أهل الشام يقولون: (المربعانية) ولها أحكام في الزراعة والحياة الاجتماعية.

– ومشهور في التراث الشعبي قصة علي بابا و(الأربعين حرامي). والحرامي هو اللصّ. ولأحمد أمين تفسير لوضع كلمة (حرامي) موضع كلمة لص، في معجمه: (١٦١).

الأربعون والأحلام

في تفسير القرطبي في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، ورؤياه التي رآها صغيراً: الرؤيا حال شريفة،

اتخذ رقم أربعين للدلالة على الكثرة فيقال (يغلب أربعين رجلاً)

من عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم

****

يخلق من الشّبه أربعين

مثلان شعبيان

ومنزلة رفيعة، قال صلى الله عليه وسلم: «لم يَبْقَ بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو تُرى له».

وقال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً». وحكم ﷺ بأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وروي «من سبعين جزءاً من النبوة»، وروي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «جزءاً من أربعين جزءاً من النبوّة».. وسرد روايات أخرى، ثم فصّل في قبول الروايات الصحيحة وتخريج وجوهها حتى قال (١٢٣:٩) فَمَنْ كان من أهل إسباغ الوضوء في السَّبَرات (شدة البرد) والصبر في الله على المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فرؤياه الصالحة إن شاء الله جزء من أربعين جزءاً من النبوة.. إلخ. وفي القرطبي إضافة وتفصيل وتوضيح.

أمثال وأقوال

في أمثال الناس في الشائع الدارج عبارات مبنية على العدد أربعين، قالوا (والعبارات عامية شعبية غالباً):

- «من عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم».
- وقالوا: «عيار الشّبعان أربعين لقمة» تُقال في حَثّ الضّيف الطارئ على الأكل، وإن كان على الشبع.
- وقالوا: «يخلق من الشّبه أربعين» في اثنين تشابها وتقاربا في الشكل والصورة.
- وفي دُعاباتهم «من أكلَ الفول أربعين يوماً فقد اسْتَثْوَر» هذا مشهور في بلاد الشام بهذه الصيغة.
- ومن أقوال النساء في امرأة لا تُعجبهن «أم أربعة وأربعين» على المشابهة بحشرة كثيرة الأرجل.
- ويقول أحدهم في المباعدة بينه وبين رجل يدّعي قرابته «ما يجمعني معه أربعين جد» أي لا قرابة بينهما، فلو عدّ الناس لكل منا أربعين جدّاً لم تتحقق بيننا أية قرابة!!
- ويُشَبّهون الرجل إذا كان من مجموعة سيئة بالواحد من الأربعين حرامي (المشهورين في قصة علي بابا..).
- وهناك درب الأربعين الذي يربط مصر عند أسيوط بدارفور في السودان، وسمي بذلك لأن القوافل كانت تقطعه في أربعين يوماً.

القاعدة والخروج عليها

القاعدة هنا أن من بلغ الأربعين أو شارفها وكان مضطرب الحياة مضطرب السلوك: أذْعَن لحكم السن ولأثر الشّيب، ولداعي التوبة والاستغفار. والخروج على القاعدة أن يصر المرء وقد بلغ تلك السن – على الاندفاع الذي كان عليه أيام الشباب. ونجد نماذج لهذا الخروج في أشعار الشعراء ومذكرات الأدباء أحياناً. يكون ذلك جدّاً ويكون دعابة أيضاً.

وأذكر هنا من شعر الطبيب الشاعر وجيه البارودي وكان طريفاً ظريفاً صاحب نكتة، ومما قال في الموضوع:

في الأربعينَ أفقْتُ مِنْ ... نومي على طَيْشِ الشبابِ!

فوجَدْتُني بينَ الأحِبَّـ ... ـةِ والصَّبابةِ والصِّحابِ

ظمئاً كأني ما عرفـ ... ـتُ الماءَ إلاّ في السّرابِ

وله قصيدة أخرى:

لي صَبْوةٌ في الأربعيـ ... ـنَ أوارُها لا يُتّقى!

والشعر –على غرابته– طريف، وهو من ديوانه «بيني وبين الغَواني». وكان الدكتور وجيه من ثلة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان، وكانوا يلقبون البارودي هذا بلقب صريع الغواني! ■

ما قبل الكتابة

جذور الصورة ووظائفها في الحضارات القديمة

■ د. رسول محمد رسول

أفرز عصر التدوين الأول في خلال القرن الثلاثين قبل الميلاد أشكالاً تدوينية كثيرة، وذلك عندما وجد الإنسان البدائي أنه في حاجة إلى وسائل تعبيرية لتوصيل رسائله الآنية إلى الآخرين من أقرانه، وفي حاجة مماثلة أيضاً لخلق بيئة تواصلية، فلجأ إلى اختراع أشكال تدوينية تعتمد على تشخيص رمزي أو ما يعرف في الأدبيات المعاصرة بـ(الرموز التصويرية)، وبلغة أكثر واقعية تعتمد على الكتابة الصورية أو (الكتابة بالصورة) كشكل من أشكال التعبير عن دلالات معينة يتم الاصطلاح عليها بين مجموعة من البشر في زمان محدد ومكان معلوم في وقت لم تكن الكتابة فيه قد عُرفت بعد.

وهنا يطرح السؤال نفسه عن معنى (الرمز) في هذا النوع من الكتابة، أو عن معنى البنية الرمزية فيها، ومن ثمَّ عن معنى التعبير الرمزي في الصورة في وقت آثر الإنسان القديم اللجوء إلى تدوين أشكال موجودة في الواقع وفي الحياة؟

الواقع أن عملية الترميز لا تعدو أن تكون محاولة لتسمية الأشياء بخطوط أو حروف أو كلمات أو أشكال تدوينية، وبالضرورة تحتاج هذه العملية إلى أدوات أو وسائل تصف الأشياء بقدر ما تعرِّفها، وقد مرَّت هذه العملية عبر التاريخ بمراحل عدَّة كان الإنسان في الأولى منها قد لجأ إلى الشكل الصوري يوم لم تكن هناك حروف مكتوبة متفق عليها، أو ما يعرفه المتخصصون بمرحلة ما قبل الكتابة، تلك المرحلة التي شهدت نمطاً من الكتابة والتدوين ولكن بالصورة؛ فقد تمَّت عملية محاكاة أشكال الأشياء والكائنات من خلال رسمها على أشياء أخرى (عظام، جلود، أحجار صغيرة) للدلالة على هذه الأشياء نفسها، وهو ما عُدَّ محاولة لإكساب هذه الأشياء بناءً رمزياً يتم تداوله حتى في غياب الأشياء ذاتها عن الحواس التقليدية.

شكل (١)

شكل (٢): كتابات مسمارية

محاكاة ومشابهة

يويبدو أن لجوء الإنسان القديم إلى الرموز الصورية كان قد مثَّل مغامرة العقل البشري الأولى التي جاءت على حضارة الإنسان بمنجزات أخرى أكثر تجريداً ورمزية واختزالاً في البحث عن أدواة التوصيل والتواصل البيني، فالشَّكل رقم (١) الذي يعود إلى ما قبل الألف الثالث قبل الميلاد، حسب تخطيط الفنان العراقي الراحل شاكر حسن آل سعيد[١] يكشف عن مغامرة العقل المحاكاتي التي جرَّبها الإنسان القديم عندما أخذ يخلق شكلاً تدوينياً بالرسم أو الحفر أو الكتابة على أشلاء عظام الحيوانات وجلودها، أو على الرُّقم الطينية لموجودات طبيعية في حياة الإنسان اليومية كالماء والطيور والبقر والأسماك والشعير وغيرها، وأراد الإنسان القديم من ذلك كله صنع معادل شكلي أو معادل تدويني أو رسْمي (من الرسم) لهذه الموجودات بحيث يُعدُّ لغة للتفاهم والتواصل والاتصال البشري، أي صنع وتكوين وإنشاء أداة رمزية تختزل الشيء المادي في شكل صورة أو في علامة، ومن هنا قال ريجيس دوبريه، الكاتب الفرنسي: «إن الصورة هي أم العلامة»[٢] فصار للصورة وظيفة تدوينية وكتابية وتوصيلية وإبلاغية تعتمد على مشابهة ومحاكاة موجودات الواقع.

وكان للانتقال من رسم كائنات مفردة، كالسمكة أو رأس البقرة أو رأس الإنسان، إلى رسم عناصر تفاعلية مثل الإنسان الذي يأكل، كما هو الحال في المربَّع رقم واحد (جهة اليسار) من الشَّكل رقم (١)، والإنسان الذي يشرب الماء كما هو الأنموذج في المربَّع رقم ثلاثة (جهة اليسار)، أثره الكبير في تطوير وظيفة العلامة أو الصورة؛ فقد صارت الأخيرة أكثر تمثيلاً لواقع التفاعل بين الكائنات كالعلاقة بين الإنسان والطعام. ومن ثم تطوَّر الأمر إلى أكثر من ذلك؛ فالصور في مربعات العمود الثاني من الشَّكل رقم (١)، الجانب الأيمن، تكشف عن قدرة التدوين الرمزي على تمثيل عنصر حركة الأشياء والكائنات، فتبدو حركة الماء صاعدة إلى الأعلى، وقدم إنسان ما ممدودة على الأرض، والسمكة صاعدة من أعماق البحر إلى سطحه، والأمر كذلك بالنسبة إلى الشعير والبقرة والبطَّة، ما يعني أنَّ سياسة الترميز أخذت تبني كيانها وفق معطيات الأشياء والكائنات في تصيّرها الفيزيائي ونسبة إلى ضرورات حركتها الطبيعية وتداخلها الوظيفي.

الكتابة المسمارية

لقد أدّى هذا التوظيف الكتابي للصورة، وكذا التدوين بالصورة، إلى تراكم الخبرات الترميزية حتى صارت هناك نزعة أطلق عليها الفنان شاكر حسن آل سعيد اسم (التشخيصية الرمزية)[٣]، لكن تطوُّر العقل البدائي، وبسبب تراكمية الترميز التي جرَّبها، أخذ يولِّد أنماطا جديدة من التشخيص الرمزي، ففي ٢٥٠٠ قبل الميلاد كان هناك تحول آخر أدى إلى الانتقال نحو مرحلة (التجريد الرمزي) أكثر ك (الكتابة المسمارية) التي بدت واضحة بين ١٨٠٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد، ويوضح الشَّكل رقم (٢) حركة التطوُّر في هذا الاتجاه، فالماء الذي عبَّر عن صورته في ضوء حركته الماثلة كما ورد في المربَّع الثاني من العمود الأول والثاني، صار في المربَّع الثاني من العمود الثالث عبارة عن صورة لحبّات المطر، وفي حدود مرحلة ٢٥٠٠ - ١٨٠٠ قبل الميلاد صار يقترب من ملامح الكتابة المسمارية ذات التجريد الرمزي العالي، وبعد نحو ١٢٠٠ عام قبل الميلاد صارت النزعة المسمارية فيه أكثر وضوحا وأكثر استقراراً.

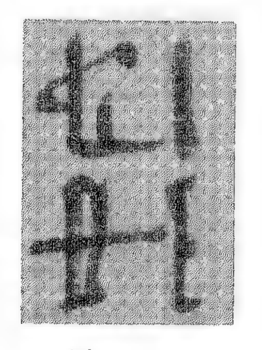

شكل رقم (١)

الإنسان المصري القديم هو الآخر آثر استخدام الصورة كطريقة في التدوين الكتابي، وكأداة للتواصل والإبلاغ والتفاعل مع الآخرين، لكن الملاحظ في تجربة المصريين هو ذلك التطوُّر في التوظيف الرمزي للصورة قبل مرحلة الكتابة أو التدوين المسماري التي شاعت في بلاد الرافدين على نحو مبكِّر، فالشَّكل رقم (٣) الذي يعود إلى مرحلة ١٥٠٠ - ١٤٠٠ قبل الميلاد في مصر يكشف عن مدى التثاقف بين الحضارتين القديمتين، العراقية والمصرية، لكنه أيضاً يؤكِّد المُساهمة المصرية المتميزة في تطوير الفاعلية الرمزيَّة في التدوين بالصورة، فميزان العدالة يبدو واضحاً في هذا الشَّكل ليعبِّر عن دلالة العدالة على نحو أوسع، ومن جهة ترى في هذا الشَّكل صوراً لحيوانات بقامات متمايلة نحو اتجاهات مختلفة، ويظهر أنَّ المصريين أولوا (النقطة) أهمية تعبيرية لتمارس وظيفة كتابية في بادئ الأمر قبل أن تمارس وظيفة تشكيلية جمالية، ومن جهة ترى تدوين أشكال تعبِّر عن تفاعلية بين الكائنات والأشياء، كما أنهم، أي المصريين، آثروا الخروج من دائرة (التشخيص) إلى دوائر (التجريد) أيضاً في توظيف الخط بوصفه شكلاً توصيلياً، إذ تبدو في الشَّكل رقم (٤) بعض الخطوط كأشكال ذات معنى متداول في حينه بين المصريين القدماء في وقت أخذ العراقيون فيه يحثُّون خطاهم لمغادرة التدوين التشخيصي إلى

شكل رقم (٤) كتابات هيروغليفية

التدوين التجريدي وصولاً إلى الكتابة المسمارية التي عُدّت تحولاً جذرياً في تاريخ الكتابة.

لقد كشفت عملية الكتابة بالصورة عن عبقرية الإنسان القديمة، كذلك كشفت عن عبقرية الحضارات القديمة في خلق سبل وأدوات التواصل البشري والمجتمعي، على أنّ هذه الوظيفة التي كانت قد انطلقت من وعي حاجة الإنسان القديم إلى وسائل تعبير وتواصل ليست هي الوظيفة الوحيدة، فلنا أن ننظر اليوم إلى الوظيفة التشكيلية في تلك الأشكال التدوينية بما يكشف عن لمسات جمالية آثرها الإنسان القديم وهو يحثّ خطاه نحو التقدّم بحياته نحو الأفضل إلاّ أنه لم يكن معنياً، يومها، بالبُعد الجمالي قدر عنايته بالبُعد التواصلي في البحث عن وسائل للتفاهم مع أقرانه من البشر. ■

مصادر وهوامش:

١) شاكر حسن آل سعيد: البحث في جوهرة التقاني، ص٨١، دائرة الثقافة والفنون والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٣م.

٢) ريجيس دوبري: حياة الصورة وموتها، ص ١٧٦، ترجمة فريد زاهي، أفريقيا الشرق، المغرب ٢٠٠٢م.

٣) شاكر حسن آل سعيد: المصدر السابق نفسه، هامش ص٨١.

د. حسن محمد النابودة
مدير مركز زايد للتراث والتاريخ – العين

والله لاذقته يا أعرابي

من بخلاء العرب المشهورين أبو الأسود الدؤلي، فقد قيل: وقف أعرابي على أبي الأسود وهو يتغدى، فسلم، فرد عليه، ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه، فقال له: إني قد مررت بأهلك، قال: كذلك كان طريقك، قال: وامرأتك حُبلى، قال: كذلك كان عهدي بها، قال: قد ولدت، قال: كان لا بد لها أن تلد، قال: ولدتْ غلامين، قال: كذلك كانت أمها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تقوى على إرضاع الاثنين، قال: مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه، قال: وماتت الأم، قال: حزناً على ولديها، قال: ما أطيب طعامك! قال: لأجل ذلك أكلته وحدي، والله لاذقته يا أعرابي!

(النويري: نهاية الأرب)

يا شيخ ما صناعتك؟

دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بن برد بين يديه يُنشده قصيدة امتدحه بها. فلمّا فرغ من شعره أقبل عليه يزيد، وكانت فيه غفلة، فقال: يا شيخ، ما صناعتك؟ فقال بشّار: أثقب اللؤلؤ.
فضحك المهدي، ثم قال لبشّار: أغرب ويلك، أتَتَنادرُ على خالي؟ فقال بشار: ما أصنعُ به؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته!

(العمري: من كل وادٍ حجر)

ذات الخمار الأسود

قيل: إنّ تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمر فباعها كلّها وبقيت السود منها، فلم تَنْفُقْ، وكان صديقاً للدارمي، فشكا ذاك إليه، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر، فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع، ثم قال:

قُلْ للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعْتِ براهبٍ مُتعبِّد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه، وشاع في الناس، وقيل: قد رجع الدارمي عن نسكه، فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتّى نفد ما كان مع العراقي منها. فلمّا علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

(الأصفهاني: الاغاني)

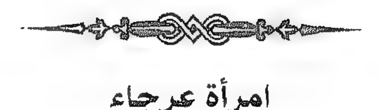

امرأة عرجاء

جاء رجلٌ إلى الشعبي وقال: إني تزوجتُ امرأةً وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنتَ تريد أن تُسابق بها فردها!

(العاملي: الكشكول)

الأعمش وأبو ليلى

جرى بين الإمام الأعمش وبين زوجته كلام، وكان يأتيه رجلٌ يقال له أبو ليلى، مكفوف، فصيح يتكلم بالإعراب، يتطلب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى، امرأتي نشزت عليّ وأنا أحبّ أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم. فدخل عليها أبو ليلى، وكانت من أجمل أهل الكوفة، فقال: يا هنتاه، إن الله قد أحسن قِسمك، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا، فلا يضرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه. فغضب الأعمش وقال: يا أعمى، يا خبيث، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك قد أخبرتها بعيوبي كلها، أخرج من بيتي.

(ابن خلكان: وفيات)

دور التراث في التنمية الاقتصادية

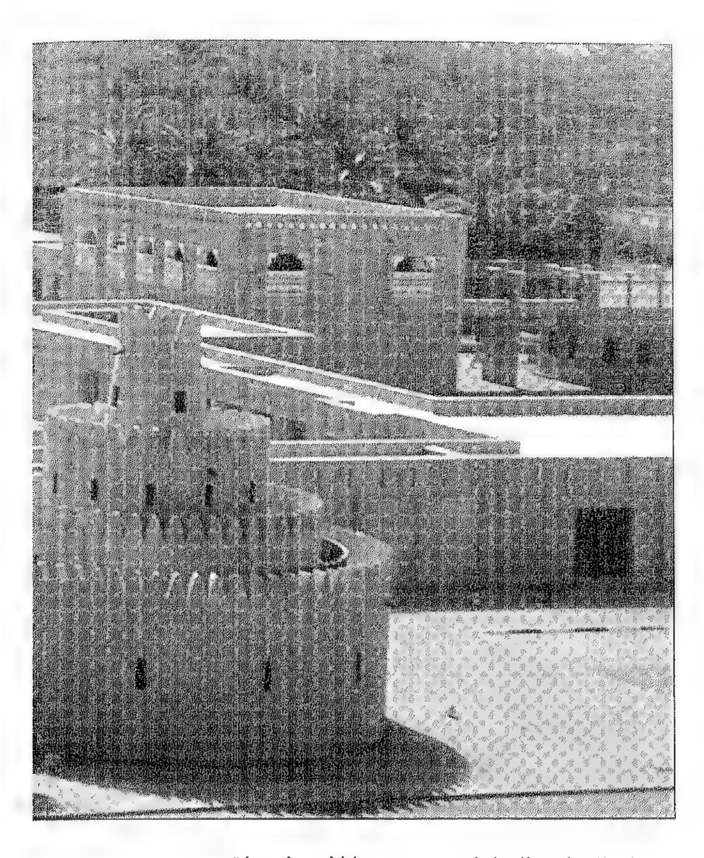

■ الدكتور محمود حريتاني *

قد لا تكون الحاجة ماسة إلى التعريف المفصل بالتراث في هذا البحث الموجز؛ ولكن لا بد من الإشارة السريعة إلى أن: الوِرْثَ والوَرْثَ والتراث والميراث، واحد وهو ما ورث[1]. وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿أولئكَ هُمُ الوارثونَ الذينَ يرثونَ الفِردوسَ﴾(٢)، كما في الحديث الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة». وتوارث القوم: ورث بعضهم بعضاً، وتوارثوا المجد كابراً عن كابر أي ورثه بعضهم عن بعض.

قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته:

ورثناهن عن آباء صدقٍ
ونورثها إذا متنا بنينا

وكما في معجم الإرشاد للأستاذ خليل توفيق موسى: «التراث هو الإرث والقيم الإنسانية المتوارثة».

يندرج تحت كلمة التراث؛ كل ما خلفه الأوائل، مما يفتخر به الإنسان من: فن وثقافة وفكر وتحضر وانتصارات وعمران لصالح البشرية؛ أي هو المخزون المعرفي والحضاري المتراكم عبر الزمن بجهد الأفراد.

يختلف التراث الشفهي عن التراث المادي، ومن أمثلته: (المسلة المصرية).

لا شك أن العرب في تاريخهم، ملكوا كمّاً هائلاً من التراث وأقاموا على علوم وحضارات، وعمران وعمارة، وبنوا حضارة عقلية انتفع بها الناس في رقاع فسيحة من الأرض، وفي أزمان لم يكن يحمل فيها أمانة الفكر البشري والثقافة الإنسانية، غير العرب، الذين انتشروا في الأرض شرقاً وغرباً، لا قاهرين فاتحين، بل حملة رسالة قوامها المعرفة، والتفتح العقلي.

يظهر مما تقدم أن معرفة التراث، حتى اليوم، تقوم على الفكر، والفكر وحده، وقد يكون هذا لدى البعض فكراً علمياً، ينظر إلى التراث في واقعيته، أي في

* جامعة حلب

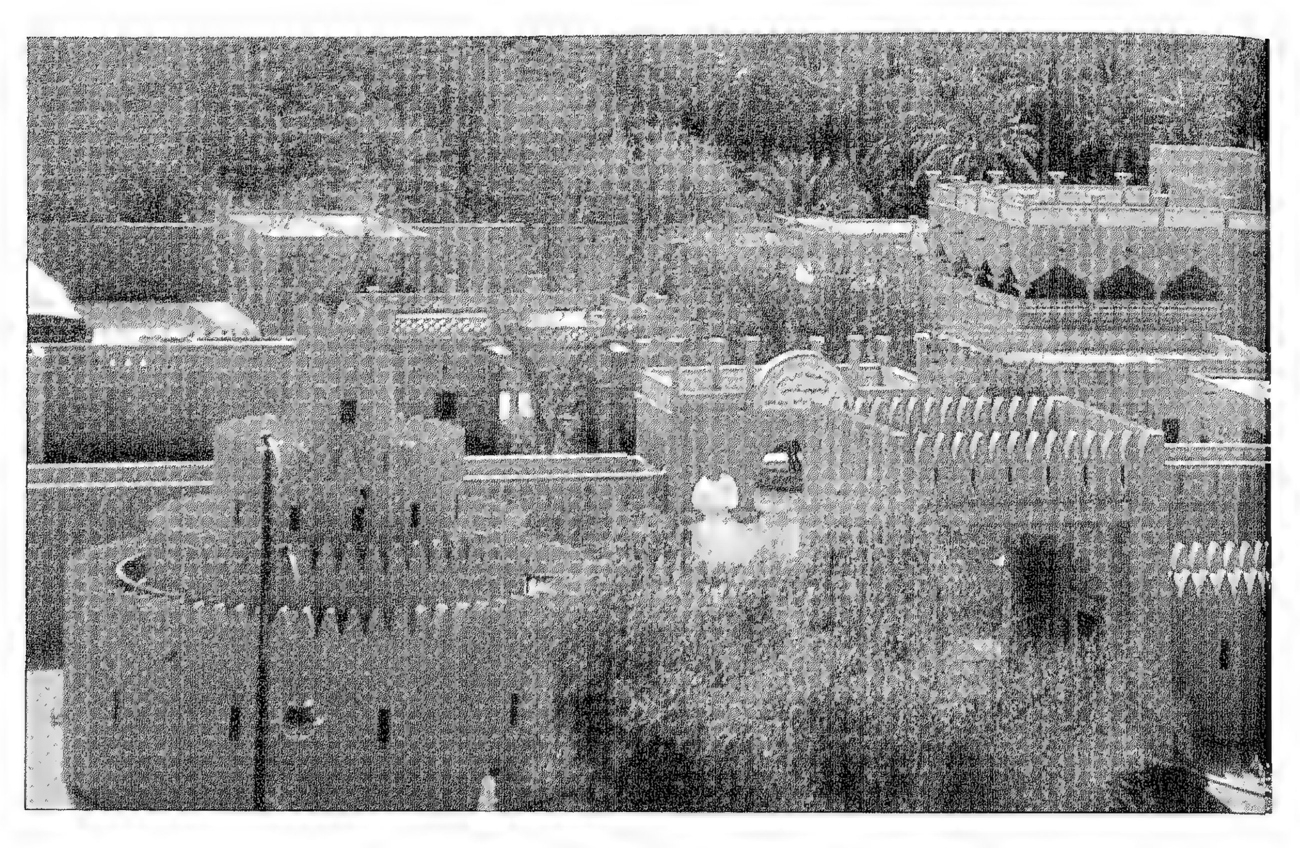

تاريخيته، أي ضمن قوانين (الخصوصية) التاريخية للمجتمع المعيّن الذي ينتسب إليه. ولكن:

عام ٢٠٠٣م، وبمبادرة أوروبية، شُكِّلت لجنة علمية وفنية، دعيت باسم الجغرافي -التاريخي اليوناني (سترابون)[٣]- المتوفى عام ٢١ أو ٢٣ ميلادية، اجتمعت بين ١٩ و٢٣ حزيران من نفس العام في مدينة دلفي في اليونان. وضمت شخصيات ثقافية عالية، بحثت في الحوار الثقافي بين الشاطئين الشمالي والجنوبي للبحر الأبيض المتوسط كما بحثت في التراث.

لقد خرجت اللجنة العليا بتعريف جديد للتراث وأهميته، ومفاهيمه، وتأثيره في المجتمع، وتبين أن مفهوم التراث، أبعد بكثير عمّا يطرح في الدراسات العامة. ولقد برز تعريف مركب له ومتعدد؛ وصرح البروفيسور موريس إيمار[٤]: «أن مبدأ التراث يطرح مشكلة». وأضاف: «.. إن التراث وأبعاده المتعددة يجب أن ترى من وجهة نظر التطور الاقتصادي».

الأستاذ دانييل تيرون[٥]، وفي اجتماع (دلفي)، يتساءل عن «دلالة التراث، في مجتمع يتبدل بسرعة، وخاصة بتبدلاته الاقتصادية المرتبطة بتبدلاته الصناعية الحديثة، وفي الوقت نفسه يجري استثمار القوة الكامنة لصورة التراث».

يتبيّن مما تقدم أن التراث أصبح يبحث ككل، وقد أصر الأستاذ عبد العزيز التوري[٦] على وضع سياسة حول التراث تضم وبشكل متساو وصميمي الأبعاد العلمية والفنية والاقتصادية. وقد أضاف: «إن التراث، فضلاً عن أنه يشكل مركباً رئيساً لخصوصية الشعوب والجماعات، والمرجع الذي لا يمس في هويتهم الثقافية والحضرية، فإنه يشكل أكثر فأكثر، في أيامنا هذه، ميداناً تكبر فيه الفائدة الاقتصادية، بمقدار ما يكبر البحث عن الإمكانيات الاقتصادية الجديدة». لقد أضاف أيضاً: «إنه ليس جديداً وفي المغرب خاصة، اعتبار التراث كمورد وطني، يمكنه أن يلعب دوراً حاسماً في التطوير الاقتصادي، وخاصة على الصعيد المحلي. وهذا يؤدي إلى رؤية جديدة للتنمية المستدامة» أي التطور الذي «يفترض الاهتمام بالسكان ونوعيتهم ومهاهم» حسب تعبيره. إنه يتساءل عن «الكيفية التي يمكن الاتفاق بها على صعيد إنقاذ وحسن استخدام التراث اقتصادياً»، وكان يقال سابقاً: كيف يمكن إدارته بشكل اقتصادي ليعود بالفائدة؟ وصيانته جيداً، والنهوض به، شريطة أن لا نقع في الفخ ونرى التراث مادة للاتجار به.

لقد تم الاقتراح في مؤتمر دلفي المذكور، وفي مداخلة الأستاذ توري، لحلول ثلاثة:

١– يجب تنظيم بنية إدارية ذات إدارة وحيدة مسؤولة لوحدها عن مسائل الصيانة والترميم وإعادة التأهيل (الإحياء) وتقييم التراث.

٢– إعادة استراتيجية وسياسة فعالة، لتحضير فئة مميزة جديرة بإدارة حسنة للمواقع، وهذا ما أكده أيضاً الأستاذ دانييل ثورون، عندما عرض عملاً، تم اتخاذ القرار به من قبل المجلس الأوروبي، حيث بحث انتقال المهارات الواجبة في عدة برامج أوروبية والتشكل المستمر الذي يجب أن يطبق في الأعمال الواجب تطبيقها على الواقع.

٣– إدخال ذكي للبعد الاقتصادي للتراث، هذا البعد يجب أن يتجه نحو برامج الحفاظ وإعادة الإحياء والتنشيط الثقافي والسياحي.

وبكلمة مختصرة، يُبحث التراث ليس فقط بحالته الحاضرة، ولكن بالتوازي مع الأبعاد المالية والاقتصادية.

حتى العقود الأخيرة من القرن العشرين؛ نادراً ما أخذ التراث الثقافي، بعين الاعتبار، كمورد قومي هام جداً وأساسي، ويمكن أن يلعب دوراً في التقدم.

ولكن أمام التحديات الثقافية للتطور، يبقى التراث الثقافي، وبأهميته التي تشكل كمّاً رئيساً في شخصية الشعوب والجماعات، ومرجعية لا يمكن أن تمس في هويتهم الثقافية والحضارية بشكل أكثر فأكثر، وفي أيامنا هذه، ميداناً تكبر فيه الفائدة الاقتصادية، بمقدار ما تكبر الدراسات حول الموارد الاقتصادية الجديدة[٧].

ولقد ذهب الأستاذ عبد العزيز التوري، أبعد من ذلك، فقال: «إن الموارد الطبيعية التي يمتلكها بلد ما، تبقى عنصراً أساسياً وضرورياً لتأمين النمو الاقتصادي والاجتماعي».

إن السياحة الثقافية، والتي تركت لأصحاب المهن السياحية، لوضع برامج ترفيهية لملء الفراغ أو لسياحة الأعمال المربحة، تأخذ اليوم بعداً جديداً يتناسب وأهميته الخاصة. وحين نسمع، خلال مناقشات المسؤولين والاختصاصيين، الحديث عن دعامات جديدة للتطوير؛ وخاصة في البلاد ذات الموارد الطبيعية القليلة، ولكنها ذات ماض هام؛ فإن هؤلاء يضعون السياحة أمام أعينهم، ويولونها مكاناً مرموقاً، وتظهر أمامهم سلّة عليهم أن يفتحوها[٨]، ليتجهوا نحو التطوير المحلي، أي العمل لمصلحة الشعوب المحلية، وإطارهم الحياتي والعملي. وهكذا تظهر هذه الأمور، ويزداد مفهوم التنمية المستدامة.

إن التنمية المتسدامة تفرض، أن نأخذ بالحسبان، الشعوب ومميزاتهم، ونباهتهم، وفي كل برنامج يتعلق بتحسين شروط ثرواتهم المفيدة لهم ولبلادهم.

عندما نتكلم عن السياحة وعلاقتها بالتنمية المستدامة، نعني التفاعل بين الشعب وثرواته الذاتية والبيئية والجذب والذي يمكن أن يمارسه.

هنا تبرز أسئلة كثيرة وهامة:

– كيف يمكننا، النجاح بالحفاظ على التراث والتنمية المستدامة؟

– كيف يمكننا إدارته بشكل اقتصادي مربح؟

– كيف يمكن الحفاظ عليه ورقيه؟

كل هذه الأسئلة هامة، ويجب أن تكون ماثلة أمامنا، ولسبب بسيط: هو أن الوضع الحالي لكثير من الدول يتميز بنوع من التضاد، بين ظاهرة وعي الأهمية الاقتصادية للتراث، والذي بدأ يبرز منذ سنوات؛ وبين التصرف التجاري الصرف الذي يتعرض له.

في الواقع أن الأهمية الاقتصادية للتراث، وبكل أشكالها، ليست سوى إظهاره.

إن الاستثمار السياحي، ورواج أسفار الاستكشاف، والوضع الذي يزداد قوة حول السياحة الثقافية، قد بدأت منذ فترة قصيرة، تأخذ كل أبعاد التراث، ولم يعد سراً كون أكثر الأماكن مطلباً في السياحة، في الكرة الأرضية –هي تقريباً جميعها– مراكز الحضارات القديمة التي ازدهرت، أو المراكز الثقافية الهامة. إن فرنسا وإيطاليا واليونان ومصر، هي المواقع المميزة في هذا المجال.■

الهوامش:

١) لسان العرب، مادة «ورث».
٢) سورة المؤمنون. الآيتان: ١١٠ و١١١.
٣) سترابون جغرافي تاريخي يوناني ولد في أماسيا (كبادوكيا) ٥٨ ق.م، وتوفي بين عامي ٢١ أو ٢٣م، له كتابان: ذكريات تاريخية، والجغرافية. أعطي اسمه لبرنامج المفوضية الأوروبية لبحث التراث والحوار الثقافي بين الشاطئ الشمالي والجنوبي للبحر الأبيض المتوسط.
٤) موريس إيمار، مدير الدراسات في (مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية والإدارية) التابعة لمؤسسة (مقر علوم الإنسان)، ورئيس اللجنة العلمية والفنية لمجمع (سترابون).
٥) دانييل ثيرون، رئيس قسم التراث الثقافي، وسكرتير اللجنة في المجلس الأوروبي وعضو اللجنة العلمية والفنية لمجمع (ستربون).
٦) عبد العزيز التوري، السكرتير العام في وزارة الثقافة المغربية، عضو اللجنة العلمية والفنية في (سترابون).
٧) عبد العزيز التوري: المصدر السابق.
٨) المصدر السابق.

عدد سبتمبر المقبل

الصيد بالصقور

عدد خاص

صيانة التراث وتكوين المجتمع الثقافي الرصين

■ د. مشتاق عباس معن

كان التعامل مع التراث متذبذباً بين آليات مختلفة: منها الذاتية المضطربة، ومنها المستوردة الطارئة، ولا نعدم بين هاتين الآليتين بعض الإرهاصات التي سعت لتوطين سبل الصواب في تعاملها مع التراث والإفادة منه. وتأسيساً على ما مرّ، نسعى في قراءتنا المعرفية هذه إلى وضع توجه لعلنا نسهم من خلاله في وضع الأقدام على الطريق الصحيح الصالح في إعادة تصنيع أفكارنا حيال ماضينا.

وتقوم فكرتنا على أساسين:

الأول: الاشتغال المؤسسي للتوعية وصيانة التراث: فهناك الكثير من الصور المشرقة التي احتفى بها تراثنا حيال سعي أهله إلى الحفاظ على المخزون الثقافي الثرّ المكتنز، في جعبة ذلك العقل الجمعي التابع للعرب والمسلمين.

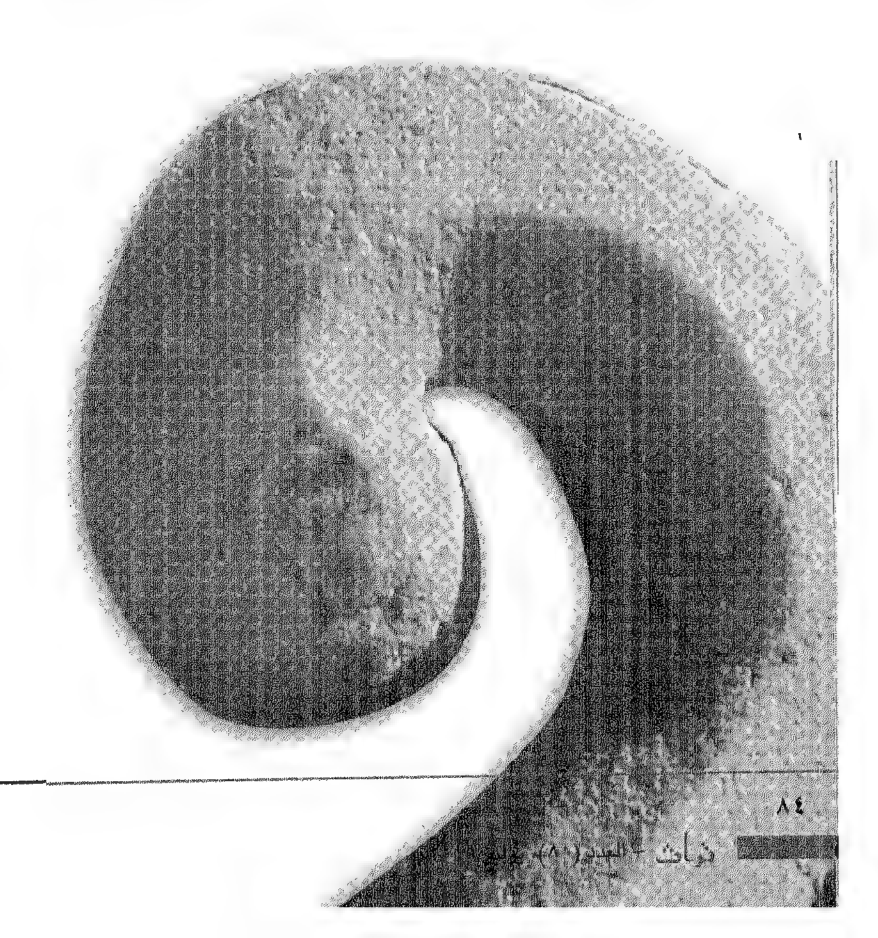

فقد تعرضت الثقافة الإسلامية إلى محاولات اختراق من جهات متنوعة، سواء أكانت تلك المحاولات مقصودة أم غير مقصودة، لكن الرعيل الأول ومن تلاه من أفراد المجتمع الإسلامي، وقفوا سداً منيعاً في وجه تلك الموجات.

فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، نقل لنا الأثر دأب القدامى من أجدادنا على تسوير المعتقدات والأنساق المعرفية الإسلامية بأسوار تحصين؛ لحمايتها من سوسة التآمر والتغيير الضال لا المُصلِح.

ولعل أهم سبيلين من سبل التسوير تلك: سبل التحصين الشرعي والتحصين اللساني؛ ذلك أن جملة من المخترقين سعوا إلى نخر جدار الأحاديث النبوية واللسان العربي.

فقد عمل جمهرة من الوضّاعين على التدليس والوضع والانتحال؛ ليضيفوا على المتن الحديثي النبوي ما ليس منه.

وكذا الحال بموجات الأقوام الداخلة في الإسلام، بقصد التدين أو التآمر، التي أثّرت -بقصد أو من دون قصد- بسلامة اللسان العربي وفصاحته بمختلف مستوياته: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية (المعجمية والبلاغية).

ومن المعروف أن التطاول على المتن الشرعي الحديثي الممثل لثاني مدرك من مدارك الاستنباط بعد القرآن الكريم، وكذلك خرق قاعدية اللسان وصوابيته، يؤثران في سير تواصل الدين على السبيل الصحيح؛ لأن اختلال مدرك أساسي من مدارك الاستنباط يعني اختلال الفُتيا والحكم الشرعي، بحكم أن اختلال المقدمات يؤثر في اختلال النتائج.

أما اختراق المستوى المثالي لمكّونات اللسان العربي، الذي تحوّل من لغة قوم إلى لغة دين عالمي: هو الإسلام، فيعني ارتباك المتلقين من أهل الإسلام أو المطلعين عليه في فهم نصوص التنزيل؛ ذلك أن القرآن وبقية مدارك الاستنباط الشرعية نزلت بلسان العرب، وغياب فهم ذلك اللسان يعني غياب فهم تلك النصوص، وبالتالي يزداد أمر اختلال استصدار الفُتيا سوءاً بغياب العمق

الفهمي لنصوص التنزيل.

وعليه شمّر علماؤنا القدامى ومن اهتدى بهديهم عن سواعدهم؛ لبناء سبل للتسوير وتحصين هذين المتنين الرئيسين في حياة المجتمع الإسلامي.

فكوّنوا علوماً خاصة بحفظ ذلك تقوم مقام العمل المؤسسي، من خلال إصدار البنود الخاصة بوضع قواعد الصدّ والتحصين، فضلاً على تأليف الكتب الإجرائية الهادفة إلى إنزال بنود التنظير تلك منزل التنفيذ.

فكانت علوم (الجرح والتعديل) و(مصطلح الحديث) و(علم الإسناد) وغيرها، أساسَ سبيل التسوير؛ لحماية متن الحديث النبوي الشريف من الوضع والإضافة غير الحقيقية.

في حين قعّد علماء العربية القواعد وسعوا إلى تأسيس ركائز علوم العربية لصيانة اللسان من آفة اللحن والتحريف والتصحيف التي أخذت بأكل وجوه الفصاحة في جسد اللسان العربي.

وعليه، يجب علينا أن نسير على هدْي القدامى في التكاتف والتآزر من أجل صيانة تراثنا وخصوصيتنا الحضارية والثقافية، عبر العمل المؤسسي الهادف، وذلك بوساطة تشكيل اللجان، وإقامة ندوات التوعية، وإصدار المجلات والنشرات والمؤلفات الساعية لإيقاظ العرب والمسلمين من وسنتهم، وحثّهم على صيانة تراثهم والإفادة منه مع جملة المستجدات الأخرى لوعي الحاضر وبناء المستقبل، وتشكيل شخصية قوية للأمة وأبنائها.

الأساس الثاني: إعادة هيكلة التراث: قراءة في أبعاد المعرفة الثلاثة:

أخذت مقولة: التعامل مع المحيط الحيّ والجامد على أنه ينمو كالكائن الحي - حقيقة أم مجازاً - تتسع وتحتل مكانة الرأس من الجسد في مفاصل كتابات المحدثين.

ولم يكن مفهوم التراث -وفقاً لتصورنا- ببعيد عن هذه المقولة، إذ يمكن لنا أن ننظر إليه نظرة حركية تصوّر نموه وارتقاءه في الخارج.

ومن دون أن نتسع في أفق هذا التصوّر بجميع خطوطه، نركز على الخط الزمني الذي يقترن بمفهوم " التراث " أكثر من غيره، لئلا ندخل فيما ليس من ورائه فائدة لمقام قراءتنا.

إذ ينظر أغلب المفكرين والقرّاء إلى أن التراث كيان ماضوي، يقبع في تراكمات الأمس فحسب.

لكننا نخالف هذه النظرة ونطمح إلى جعله كياناً حركياً يتمظهر في تراكمات الخط الزمني المتنوّع.

وقد يقاطع القارئ هذا التصوّر من أول وهلة، حيث أن الخط الزمني يتقطع على ثلاث محطات رئيسة: الماضي فالحاضر فالمستقبل.

والتراث لا يكاد يتجاوز المحطة الزمنية الأولى، فكيف لنا أن نتخيله حاضراً في المحطة الزمنية الثانية.

نعم، قد يكون هذا الانصدام والدهشة سائغاً وفقاً لهذا التصوّر الشائع، لكننا لا نُبتِّر التراث تبعاً لما سلف، بل نقول:

إن التراث كيان نام ، يتمظهر وجوده في محطات الخط الزمني المتنوعة بآليات حضورية متنوعة، فهو مولود في المحطة الأولى: (الماضي)، ويترعرع فيها ويكتسب هويته فيها أيضاً.

لكنه لا يغيب في المحطة التالية: (الحاضر)، بل يتمظهر في جملة تراكمات مرجعية تعين أصحاب التراث على فهم ما حولهم ومَنْ حولهم فهماً تاريخياً ينبع من مقدرات المعرفة المكتنزة في ذهنياتهم.

فالتراث في هذه المحطة يكون قاعدة للفهم، وتفسير الأحداث، ويعين أيضاً على حلّها وترويض وهدة المشكلات الحضارية الطارئة.

ولا يتعطل جهاز المعرفة التراثي عند حدود هذه المحطة، بل يتعداه نحو التمظهر مجدداً لاستشراف المستقبل، وتحديد السبل الكفيلة بالارتقاء، والنمو، والسعي نحو التكامل، لتجاوز العقبات عبر خانات الحصانة الذهنية التي شكّلها التراث.

وعليه، سيكون التراث في آخر محطة الحاضر، قاعدةً مهمة للانطلاق صوب تحديد الاستراتيجية الرئيسة لتجهيز الذات وتهيئتها لاستشراف الآتي وقراءة المُشكل في المستقبل وتحديد سبل حلّه .

ويكون التراث -وفقاً لمنظورنا- كائناً حركياً يتمظهر في محطات الخط الزمني، يتلون حضوره بتلون متطلبات المرحلة.

وهذا التبئير هو الذي نستند إليه في تفسير آلية الإفادة من التراث بمفهومه الماضوي السائد.

فالوجهة السائدة، تولد القطيعة مع التراث، في حين نحسّ بتوجهنا هذا أنه يقدّم الحلّ الناجع للوصل مع ضفة الماضي، والإفادة منه في تحريك قنوات الدفع المعرفي الكامنة في ذواتنا.

وإذا استطعنا أن نحقّق هذين الأساسين، أمكننا احترام عقولنا وفرضنا على الآخرين احترامنا.■

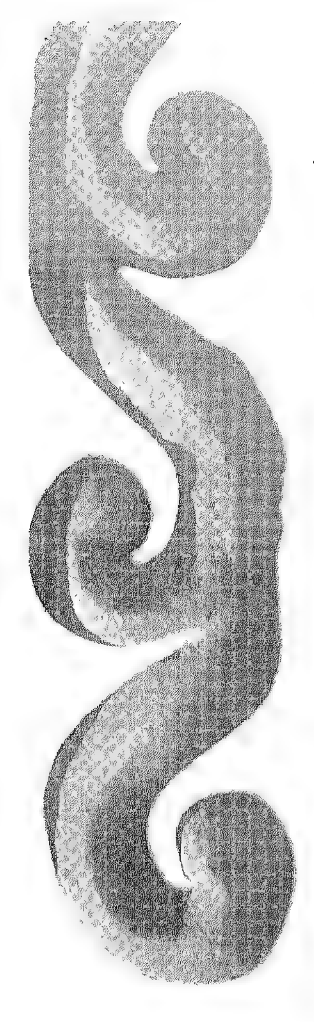

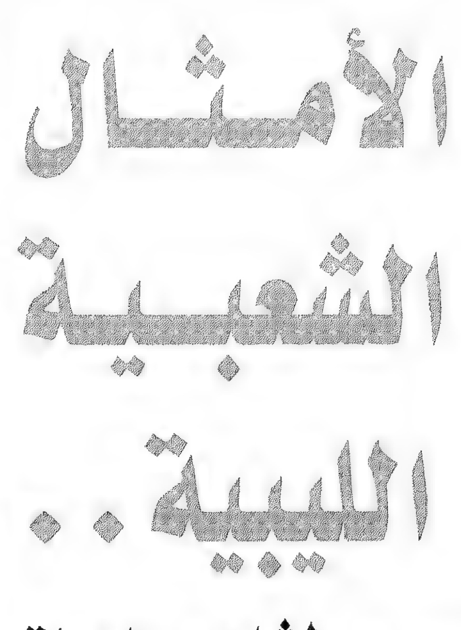

الأمثال الشعبية الليبية..

تصوير لمشاهد الحياة

■ د. مفتاح محمد عبد الجليل محمد

ثبت في ذاكرة التاريخ فعل المثل الشعبي باعتباره تصويراً مقبولاً لمشاهد الحياة ومواقفها، وتسجيلاً مناسباً لأحداثها وتحولاتها اليومية المؤثرة على الساحة الإنسانية، ولذلك عمل المؤرخون والأدباء في المراحل السابقة من عمر الإنسانية على توثيق تلك القيم اللفظية الموجزة المسماة (الأمثال الشعبية) وحرصوا في نقلهم وتوثيقهم على دقة المنقول وصحته اللغوية والإخبار به.

من هنا كان جمع الأمثال وتبويبها في إطار التاريخ الأدبي من بين الموضوعات المهمة التي جذبت إليها الأنظار منذ عصر الميداني أو من جرى مجراه في تأليف الكتب الخاصة بهذا النوع الأدبي الطريف.

فالأمثال جزء من الأدب «وهي تتحقق في العبارات الموجزة المعبّرة التي تتناول حدثاً أو أمراً ذا بال يتصل بالحياة الإنسانية ويعبّر عنها بدقة متناهية فيشيع بين الناس، وتتناقله الألسنة ثم يسير مثلاً أو حكمة فيتواتر ذكره في كتابات الأدباء والإخباريين»(١).

وقد نقل لنا الأدباء في ليبيا الكثير من الأمثال والحكم السائرة في المجتمع المحلي الليبي عبر مراحله السابقة، فالكتابة في هذا المجال جعلت الكثير من الأدباء يخصصون كتباً بعينها لدراسة الأمثال وترتيبها بما يتناسب وأغراضها الموضوعية والأدبية، فالمصراتي، والعوامي، ووريث، وحقيق وغيرهم كانوا مجتهدين في البحث والجمع والتأليف، لأنهم شعروا بأهمية الأمثال في تسجيل الأحداث وتوثيق المواقف والوقائع الحيوية المهمة(٢).

أولاً: طبيعة الأمثال واتجاهاتها الإنسانية

يعتبر المثل الشعبي جانباً من جوانب التعبير الإنساني الخاص، فهو مستمد من الحياة الاجتماعية، ومرتبط بواقع البيئة التي ينتج عنها، وهو صدى للمجتمع المحلي بجميع فئاته وطوائفه لأنه يجسّد تجربة حيوية ويؤرخ لمراحل من الحياة في تكوين أدبي مخصوص.

من هنا كانت الأمثال عند العرب من أهم المصادر المرتبطة بوجودهم في مختلف الأوضاع والظروف وتبعاً لتحولات الزمان والمكان، فكل مثل من الأمثال القديمة يدور حول موضوع مؤثر في الحياة الإنسانية، وأغلب الأمثال الليبية المجموعة لا تخرج عن هذا الغرض، فهي تسجيل موضوعي للحوادث اليومية المثيرة التي تتعلق بشؤون الحياة وقضاياها(٣).

وهذه مجموعة من الأمثال المحلية الشعبية التي تعدّ خير ممثل لتراث الشعب الليبي في الحقب الماضية:

«**أقلب الجرة على فمها تطلع البنت لامها**»: هذا

المثل يضرب للفتاة الشريرة التي ترث سوء الخلق عن أمها، فكل أنثى موصولة بطباع والدتها بحسب هذا المثل الشعبي القديم. (وهو شائع في البلاد العربية بنفس النص تقريباً).

«**ولد خير من خزنة مال**»: يضرب هذا المثل عند الإعجاب بالشبان، فإذا أعجب أحدهم في الريف بأحد الشباب من خلال أفعاله فإنه يطلق هذا المثل عند الحديث عنه في المجالس والمنتديات.

«**قالوا له يا جحا إيش علّمك الكذب؟ قال لهم: اللي نسمعه نقوله**»: وهذا المثل يضرب لكل شخص يتحدث بحديث منقول عن غيره، وهو محض افتراء وكذب ولا يبدو فيه الصدق لما يحويه من خيال وزيف.

«**ناقة في قطيع ماعز**»: يضرب هذا المثل لمن يكون متقدماً في السن، ولا يخجل من مجالسة الصغار والحديث إليهم، فهو لون من التوجيه الاجتماعي في جانب التربية والتأديب.

«**قليل الحظ يلاقي العظم في الرئة**»: يضرب هذا المثل لكل إنسان يجد باب حاجته مقفلاً فلا تتيسر له الأمور بسهولة، فهو كمن يجد عظماً في الرئة عند أكلها. (وهو شائع في البلاد العربية مع اختلاف النص).

«**سمع بالصلاة بات في الجامع**»: هذا المثل يضرب لكل شخص يسمع بشيء ما فيكون بحاجة إليه، فيحرص على انتظاره قبل الآخرين.

« **يا دار بوي ما عليك غنوة**»: وهو مثل يتحدث عن صلة المرأة ببيت والدها، فهي لا يمكن أن تستغني عنه بعد زواجها، لذلك تقول هذا المثل إذا رجعت إليه مطلقة من بيت الزوجية.

«**يا شاري خال، البنت لامها، والولد لخاله، بنت الأصل والبيت خيار ما خذيت**»: وهي أمثال تضرب عند اختيار الزوجة والزوج قبيل الزواج فيكون النظر للأصل والتربية بحسب الأمثال السابقة.

«**اللي طالب الورد يتحمل شوكه**». «**الرخيص بخيص**»، «**وردة في كباسة**»: وهذان المثلان يضربان عند البحث عن المرأة الجميلة أثناء الزواج، فالواجب أن يتحمل الباحث عن الجمال كل صفة سيئة في المرأة الموصوفة بالجمال والحسن.

«**ما تدخل لبيتك إلا الشعير والقمح**» وهذا المثل يضرب لمن يسمح لصاحب الخلق المذموم بالدخول إلى منزله، والجلوس إلى أهل بيته.

«**كان جعت عليك باعمامك وكان ضمت عليك بأخوالك**»: ويقال هذا المثل عند عوز الشخص وحاجته للمال فيكون رجوعه إلى أهله وعشيرته، وأما عند الحرب والخصام فنصرته تكون من أخواله.

«**نيتك جملك، ولسانك حصانك، خلاصك في رأسك**»، «**لا دباره على أبو لحية**»: وهذه الأمثال بمثابة توجيهات تأديبية للناس، وهي جمل موجزة تحوي معاني سامية في مجال الأدب الاجتماعي.

«**جوّع كلبك يتبعك**»، «**أمه في الإبل**»، «**الجود في الرجال والشح في الحبال**»، «**الناس بالناس والناس بالله**»، «**الجار قبل الدار**»، «**الطايح مرفوع، اللي**

يكشف عشه للطيور يخلوه»، «الربيع من باب الدار بيان»، «عيالك رأس مالك»: هذه الأمثال الشعبية واضحة المعاني، وأعتقد أنها مرتبطة بالتراث وجذوره اللغوية الفصيحة، وهي لا تختلف عن نظائرها في البلدان العربية الأخرى، لذلك لا تحتاج إلى مزيد من الإفاضة في الشرح والتحليل[٤].

ثانياً: الأمثال السائرة من الشعر الشعبي الليبي

يعتبر الشعر الشعبي مصدراً من مصادر التاريخ الاجتماعي فهو يحوي أخباراً، ومواقف مثيرة في حياة المجتمع وتحولاته، لهذا كان تأثيره في الوظيفة الثقافية متحققاً في حشد كبير من الأمثال الشعرية الشعبية السائرة التي تواتر نقلها حتى وصلت إلى هذا الجيل بنفس الطابع التراثي وهي:

الأمثال الاجتماعية الشعرية

حديد شيركو مانك حديد مناجل
غير من عوج الأيام خلتك راجل[٥]

هذا المثل يضرب في الرجل الذي تراه زوجته غير كفء لها، ولا يمكن أن يكون في نظرها كامل الأوصاف المكونة للرجال.

الولد للخال والبنت للأم
واللي اختار العم يلقى عم[٦]

يضرب هذا المثل في شأن الزواج من ابن العم، والشطر الأول يحدد طبيعة النسب من جهة الفتاة والفتى.

الدنيا دينوية
اللي تعمله في الصبح يظهر عشيه[٧]

يتحدث البيت عن صعوبة الكتمان في هذا الظرف فأي شيء يفعله الإنسان لا بد وأن يعلمه غيره بسبب ظروف الدنيا.

حلالك حلالك
في حر مالك[٨]

هذا المثل يتناول ضرورة التماس الرزق في المال الحلال دون اللجوء إلى أبواب المال الحرام على اختلاف أشكالها.

الخايب يظل خايب
لا يكرم ضيف ولا يعين شايب

هذا المثل يشير إلى طباع اللئيم الذي لا يرجى منه نفع أو رشاد لأنه مجبول على اللؤم.

ومن ثم فإن الأمثال الشعبية السابقة والأمثال الاجتماعية الموجزة في جمل بليغة ليست إلا لوناً من التراث الشعبي الليبي الذي يؤرخ لحوادث شعبية محلية مضى عليها زمن طويل.

إلا أن مجمل الأمثال الشعبية التي مثلنا لها بأمثلة رمزية تعدّ مجالاً موضوعياً لعرض أحداث المجتمع وتناقضاته، وما يدور في يومياته من أحاديث ومواقف تستدعي الانتباه والنظر، فحكاية المثل تكشف لكل سامع أو قارئ حدثاً أو وعظاً اجتماعياً يساعده في حل مشاكله وفهم حياته اليومية[١٠].

ويمكن في ضوء الأمثال والحكم الشعبية السائرة بيان العادات والتقاليد والقيم الإنسانية المتوارثة لأن تلك الأمثال تعدّ خزان المعارف والمعاني المحلية وهي جانب أدبي يرتبط بطبيعة البناء الاجتماعي القديم، ولذلك تظل أهميتها محققة في تعبيرها عن مسائل وموضوعات مختلفة ذات صلة بهموم المواطن والوطن في الوقت نفسه[١١].

أما علاقة الموروث من الأمثال بحياة المجتمع الليبي الحديث فهذا أمر تحدده المواقف والحوادث اليومية التي تطرأ على طبيعة التشكيل الحضاري للعيش، فالناس في تكوينهم المدني الحديث يرتبطون بعلاقات متنوعة ويتصفون بصفات مختلفة ولا يجمعهم سلوك واحد يحدد مناهجهم وأساليبهم لذلك كان من الضروري أن يأخذوا بهذا الجانب المهم من التراث الاجتماعي المحلي لحل مواقف حيوية عارضة وضبط أساليب من السلوك الطارئ عن التحضر والتطوير الوافد من الخارج. ■

المصادر والهوامش:

١) علي مصطفى المصراتي: الأمثال والتعابير الشعبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس – ليبيا (ط/ ١٩٨٦م)، ص٥٩.
٢) ينظر: محمد حقيق: الأمثال الشعبية – سلسلة كتاب الشعب – العدد الخامس، نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس – ليبيا (ط/ ١٩٧٨م)، ص١١٦.
٩٣ مجلة الفصول الأربعة الأدبية الليبية – العدد الثامن ١٩٧٩م، طرابلس – ليبيا، ص٧٨.
٤) طائفة الأمثال الواردة من (١–١٣) من كتاب الأمثال والتعابير الشعبية للأستاذ علي المصراتي.
٥) أحمد النويري: الشعر الشعبي (الكتاب الأول)، نشر مكتبة الفرجاني، (ط/ الأولى ١٩٩٤م)، طرابلس – ليبيا، ص٤٢.
٦) المصدر نفسه: ص٤٧.
٧) علي المصراتي: الأمثال والتعابير الشعبية، ص١٢١.
٨) المصدر نفسه: ص٩٨.
٩) المصدر نفسه: ص٧٤.
١٠) ينظر: محمد وريث: أهمية التراث في مهمة النقد، سلسلة كتاب الشعب ١١٧. (ط/ ١٩٨٧م)، ص٩٩.
١١) مجلة الفصول الأربعة الأدبية الليبية، مصدر سابق، ص٨١.

فيض الشاعر

إشراف:

محمد ابراهيم الحديدي

m_alhadidi@hotmail.com

قناعة النفس

من تقنع النفس قنعت لو تعاديها ... ما عاد ترجع كما الأول على العاده

شيٍ بلا شفّها ما عاد يغريها ... إذا انكشفت مالها في تركها زاده

نفسي على ما كرهت ماني بعاصيها ... ما شي على المدعنه والشين معتاده

بالأرض عايش وماشي في مناكبها ... والحمد والشكر للمعبود ورشاده

ما خذ رزقه بيدٍ غيره ويطلبها ... الرزق عند الذي يرجونه عباده

خل الهضيمه وتركها لصاحبها ... لو كان عندك بعيرٍ عاجز شداده

من تلدغ اليد في الحفرة عقاربها ... ما تردها ثانيه والعقرب سداده

واختار م الهجن سير البعد يطربها ... ما تتبع الظل يوم الشمس وقاده

والدار من يوم تتكدر مشاربها ... ما للمعيشه بها ذوقٍ على الزاده

ما تدمع العين الا انها سبايبها ... إما وقف أو بها علّه ونكّاده

احمد بن علي الكندي

مواويل من الخليج

من روائع الشعر الشعبي، اخترنا لكم قصيدتين فيهما الحكمة والعبرة لشاعرين معروفين في عالم الشعر الشعبي.

دنيا

لا تستظيم الأمر بجْلاَه العقليْ

خلّ الامور ولا ترى زِوّالها

إن الامور إلها مْدبّر

مَانْتَ الذي تِقْدَرْ على عدّالها

حالٍ رضيت ولاّ زعلت الاّ سوى

ما هيب تشّاده عنيه زَعّالها

تروّيكْ منها صحبةٍ مجفيّة

ولا بد من يومٍ يميل إيلالها

ما في صداقتها صلاح ولا بها

خيرٍ تبدّل لامها بزوالها

الماجدي بن ظاهر

لولا الثلاث

لولا الهَرَمْ والفقر والثالث الموت

يا الآدمي بالكون يا عظم شانك

سخّرت ذرّات الهوا تفهم الصوت

وخلّيتها اطْوَعْ من تحرّك بنانك

جماد تكلمها وهي وسط تابوت

تاخذ وتعطي ما صدر من بيانك

وعزّمت من فوق القمر تبني بْيوت

من يقهرك لو هو طويلٍ زمانك

لولا الثلاث وْشان من قدّر القُوت

نفّذت كل اللي يقوله لسانك

محمد بن أحمد السديري

النبطي الفصيح

■ سالم الزمر

salzomr@hotmail.com

هذه الصفحات تقف على الشعر النبطي ثم تغوص في أعماقه، لالتقاط كلمات يظنها البعض عامية غير عربية لكثرة ما وجدها في الشعر النبطي غير الفصيح أو لبعدهم وبعدنا عن الفصاحة وأساليبها وألفاظها، أو لأن بعض تلك الألفاظ مع فصاحتها ما عادت مستخدمة في الفصحى لكنها بقيت مما بقي من الفصاحة في لغتنا اليومية وأشعارنا غير الفصيحة.

ونحن هنا نقتفي آثار تلك الألفاظ في الشعر النبطي ونردها إلى أصلها الفصيح ولنا من ذلك فوائد عدة:

الأولى قراءة الكثير من الشعر النبطي ومعاودة مطالعته.

والثانية الغوص في قواميس العربية للبحث عن أصول تلك الألفاظ المتناثرة في الشعر النبطي.

والثالثة مطالعة الشعر العربي للبحث عن تلك الألفاظ في أدبنا العربي.

والرابعة إثبات أن العامية والشعر النبطي عربي لا ينفك عن أصله العربي.

والخامسة إعادة الفرع إلى أصله برد الألفاظ النبطية إلى أصلها العربي.

والسادسة تحقيق أمنية بعودتنا إلى لغتنا الفصحى وأدبنا العربي عن طريق البحث في الشعر النبطي عن الفصحى من ألفاظه.

والسابعة العمل على دراسة شعرنا النبطي دراسة لغوية مفيدة.

والثامنة ربط الأجيال القادمة بتراثنا الشعري النبطي بطريق بحث أدبي يحمل الطرافة والجهد العلمي معاً لإيصال ذلك التراث إلى الأجيال القادمة بجهد موثق موثوق به.

وأخيراً أقول لو شئنا أن نعدد الفوائد من ذلك لما انتهينا، لكنني أقف هنا للبحث وراء النبطي الفصيح في شعرنا النبطي.

يلعي

قال شاعرنا الجمري:

على حساب سلمى قمت اجر النوح
والعي كما الورق لي يلعي براس الدوح

والله والله قلبي ما سلا عنها
متولع في هواها والقلب مجروح

سلمى رمت سالم الجمري برمش العين
وشغلت بقلبه ترا من ثلاث سنين

يا ليت سلمى تروف بحالة المسكين
وتزورني يا هلا من قبل انا لا روح

وقوله في البيت الأول يلعي يعني يبكي وينوح وهي نبطية ذات أصل فصيح جاء من اللوعة لشدة الحزن ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور:

اللَّوْعَةُ: وجع القلب من المرض والحب والحزن، وقيل: هي حُرْقَةُ الحُزْنِ والهوى والوجد. لاعَهُ الحبُّ يلوعُه لَوْعاً يلاعُ والْتاعَ فؤاده أي احترق من الشوق، ولوعةُ الحبِّ: حُرقته، ورجل لاعٌ وقوم لاعون ولاعةٌ وامرأة لاعةٌ كذلك. يقال: أتانَ لاعةَ الفؤاد إلى جحشها، قال الأصمعي: أي لائعةَ الفؤاد، وهي التي كأنها ولْهى من الفَزَع، وأنشد الأعشى:

فَلْتُ لاعةَ الفؤادِ إلى جحـ
ـشٍ فلاهُ عنها، فبئس الفالي!

وفي حديث ابن مسعود: إني لأجد من اللاعة ما أجد لولدي، اللاعةُ واللَّوْعةُ: ما يجده الإنسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب، ورجل لاعٌ ولاعٍ: حريصٌ

سيء الخُلق جزوعٌ على الجوع وغيره، وقيل: هو الذي يجوع قبل أصحابه، وجمعُ اللاّع ألْواعٌ ولاعون، وامرأة لاعةٌ، وقد لِعْتُ لوعاً ولاعاً ولُووعاً كجزعْتُ جَزَعاً، حكاها سيبويه. وقال مرة: لِعْتَ وأنت لاعٌ كبِعتَ وأنت بائعٌ، فوزن لِعْتَ على الأول فَعِلْتَ، ووزنه على الثاني فَعَلْتَ. ورجل هاعٌ لاعٌ: فهاعٌ جزوع، ولاعٌ موجَعٌ، هذه حكاية أهل اللغة، والصحيح متوجع ليعبر عن فاعِلٍ بفاعِلٍ، وليس لاعٌ بإتْباع لما تقدّم من قولهم رجل لاعٌ دونَ هاع، فلو كان إتباعاً لم يقولوه إلا مع هاع، قال ابن بري: الذي حكاه سيبويه لِعْتُ ألاعُ، فهو لاعٌ ولائعٌ، ولاعٌ عنده أكثر. وأنشد أبو زيد لمِرْداس بن حصين:

ولا فـرِحٌ بـخـيْـرٍ إنْ أتـاه
ولا جَـزِعٌ مـن الحدَثـان لاعِ

وقيل: رجل هاع لاعٌ أي جبانٌ جزوع، وقد لاعَ يليعُ، وحكى ابن السكيت: لِعْتُ ألاعُ وهِعْتُ أهاعُ، وذكر الأزهري في ترجمة هوع هِعْتُ أهاعُ ولِعْتُ ألاعُ هيعانا وليَعاناً إذا ضجرْتَ، وقال عدي:

إذا أنتَ فاكَهْتَ الرِّجالَ فلا تَلَعْ
وقُلْ مِثْلَ ما قالوا ولا تَتَزنَّدِ

قال ابن بزرج: يقال لاعَ يلاعُ ليْعاً من الضَّجر والجزع والحزن وهي اللَّوعة.

ابن الأعرابي: لاعَ يلاعُ لَوْعةً إذا جزِعَ أو مرض، ورجل هاعٌ لاعٌ وهائعٌ لائعٌ إذا كان جباناً ضعيفاً، وقد يقال: لاعني الهمّ والحزن فالتعْتُ التياعاً، ويقال: لا تلَعْ أي لا تضجر؛ قال الأزهري: قوله لا تَلَعْ من لاعَ كما يقال لا تهَبْ من هاب، وامرأة هاعة لاعةٌ. ورجل هائعٌ لائعٌ، وامرأة لاعة كلَعَةٍ تُغازلك ولا تُمكنك، وقيل: مليحة تديم نظرك إليها من جمالها، وقيل: مليحة بعيدة من الريبة، وقيل: اللاّعة المرأة الحديدةُ الفؤاد الشهمةُ، قال الأزهري: اللّوعةُ السواد حوْلَ حلمة المرأة، وقد ألْعَى ثدْيُها إذا تغيّر. ابن الأعرابي: ألواعُ الثّدْي جمع لَوْع وهو السوادُ الذي على الثّدْي، قال الأزهري: هذا السواد يقال له لَعْوةٌ ولَوْعةٌ، وهما لغتان؛ قال زيادٌ الأعجمْ:

كَذَبْتَ لم تَغْذُه سوْداءُ مُقْرِفةٌ
بِلَوْعِ ثَدْيٍ، كأنفِ الكلْب، دَمّاعِ

جعد

كما قال الجمري في ذات القصيدة يصف محبوبته وجمالها:

جعد عليها كساها من حدر لي فوق
ادهم شرا الليل فوق امتانها مطلوق
والله والله مالي غيرها معشوق
أهيا الحبيبة وأنا في حبها مجروح

وقوله جعد في هذا البيت الأول يصف شعر رأسها الكثيف الذي كسى محبوبته وأنه أدهم أي أسود كالليل الأدهم يمتد على متنيها، وقوله جعد لها أصل عربي فصيح له معنى قريب، فالجعد أي المتجعد غير المسترسل السبط، والجمري أراد هنا معنى أنه متجعد لكثافته وغلظه. وجاء في اللسان:

ورجل جعد الشعر: من الجعودة، والأنثى جعْدة، وجمعها جعاد، قال معقل بن خويلد:

... وسُودٍ جِعادِ الرِّقاب
مـثـلـهـم يـرهـب الـراهـبْ

جلنار

قال الشاعر أحمد بن سالم الخضر «رحمه الله»

لي الزراع زارع الفلـــــي

جــلـنــــار وتــــرجس وفــلا

ارسمون م الـــوســـو يسهلني

والـــفــرات والـــتـنــبـل والـــرحــلا

يـــســـحـب الـــزرّاع وانـســلـي

لاجـل مــا يــفــرح أو يــتـسـلا

قـــم تـــعـــال وعبرك إيــسولــي

انــتـــه عــن زه الـــعـــرب كـــلا

وقوله في البيت الأول جلنار يعني زهر الرمان وهو زهر أحمر معروف. ثم قال الخضر

في صـــرح سـبـسـب ســمـانـلـي

يـــوم ســارت لــه اسـتــبــان الأ

خـايـفـه م الـخـرس تـبـتـلـي

واكـشـفـت عــن ســاقـيـهـا دلا

الـخـفـي سـيـن في دال لا ولـي

عــن ادمــوعـي والـعــرب كـلا

خـمـسـة وخـمـسـين قـسـر لي

في شـــهــريــن وسـطـرب ومـلا

وقوله سبسب في البيت الأول من هذه القطعة، أظنه يعني أنه في قطر بمفازة أي صحراء بعيدة، وسبسب كلمة معناها المفازة أي البيداء، جاء في اللسان:

والسَّبْسَبُ: المفازة. وفي حديث قُسٍّ: فبينا أنا أجول سَبْسَبَها؛ السَّبْسَبُ: القَفْرُ والمفازة. قال ابن الأثير: ويروى بسبسها، قال وهما بمعنى. والسَّبْسَبُ: الأرض المستوية البعيدة. ابن شميل: السَّبْسَبُ الأرض القفر البعيدة، مستوية وغير مستوية، وغليظة وغير غليظة، لا ماء بها ولا أنيس. أبو عبيد: السَّباسِبُ والبَسابِسُ القِفار، واحدها سَبْسَبٌ وبَسْبَسٌ. ومنه قيل للأباطيل: التُّرَّهاتُ البَسابِسُ. وحكى اللحياني: بلدٌ سَبْسَبٌ وبلدٌ سَباسِبُ، كأنهم جعلوا كل جزء منه سَبْسَباً، ثم جمعوه على هذا. وقال أبو خَيْرة: السَّبْسَبُ الأرض الجدبة.

دساسة

قال الشاعر الشيخ علي بن سهيل آل مكتوم «رحمه الله»

يــا الــلــه يــا عــلام بــاحــوال نــاســه

يــا واحـد يـرجـى عـلـى كـل الأحـوال

يـا مـن نـصـلـي لـه ونـخـشـى لـبـاسـه

الـحـكـم حـكـمـه في الـدراهـم والآجـال

مـا مـن نـصـيـر لـنـا ولا هـنـا دُســاسـه

نـرجـوك يـا مـولاي تـفـرج لـنـا الـبـال

الـكـل مـنـا يـشـتـكـي عــوق راســه

واعــواقـبـنـا يـاتـي بـهـا خـيـر لامـيـال

الـطـف بـنـا يـا رب قـبـل الإيـاسـه

ادرك عــبــادك فــانــت لا خـافـيـك حـال

وقوله في البيت الثالث دساسة أي غدر وخداع، يقول أهل الإمارات: إن فلان يدس شيئا لك، أي يخفي لك شيئاً وهي فصيحة، جاء في اللسان:

الدَّسُّ: دَسُّك شيئاً تحت شيء وهو الإخفاء. ودَسَسْتُ الشيء في التراب: أخفيته فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ

يَدُسُّهُ فِيْ التُّرَابِ﴾ أي يدفنه. قال الأزهري: أراد الله عزَّ وجلَّ بهذا الموءودة التي كانوا يدفنونها وهي حية. وذَكَّرَ فقال: يَدُسُّه، وهي أنثى، لأنه رَدَّهُ على لفظة ما في قوله تعالى: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، فردَّه على اللفظ لا على المعنى، ولو قال بها كان جائزاً.

والدَّسيسُ: إخفاء المكر. والدَّسيسُ: من تَدُسُّه ليأتيك بالأخبار، وقيل الدَّسِيسُ: شبيه بالمُتَجَسِّس، ويقال: انْدَسَّ فلان إلى فلان يأتيه بالنمائم. ابن الأعرابي: الدَّسِيسُ الصَّنانُ الذي لا يَقْلَعُه الدواء. والدُّسِيسُ: المِشْوِيُّ. والدُّسُسُ: الأَصِنَّةُ الدَّفِرَةُ الفائحة. والدُّسُسُ: المُراؤون بأعمالهم يدخلون مع القُرَّاء وليسوا قُرَّاءً.

مسدّي

قال سعيد بن عتيج الهاملي «رحمه الله»

كوس مهبية بدّي
عينا وطنا ورمال
من كل حدّب او ندّي
شل اريع بقال
واصبح هواه إمردّى
عنده شراحة بال
وانا اجْسدي مفتدّي
حاني خري لهبال
عن وصلهم لا بدّي
في سْعود مْن الليال
على ابكرات ضدّي
ومن الربخ ذبّال
نيط الغوارب مدّي
حول مهب هْزال
كم أوردن من عدّي
فيه الرمل مهتال
ما أخذ شهر ومعدّي
قفر من الحوّال
والعنكبوت مسدّي
بين الميمْ والميال
لو بتعطنا من ودّي
كان اتناول غزال
بو مدمع مسوّدي
ما زهلكه بكحال
ريش النعام مْسدّي
على النظير ظلال

وقوله والعنكبوت مسدي في البيت العاشر أي أن العنكبوت نسج خيوطه وهي كلمة فصحى تعني ذات المعنى، جاء في اللسان:

والحائكُ يُسْدي الثوبَ وَيَتَسَدّى لنفسه، وأما التسدية فهي له ولغيره، وكذلك ما أشبه هذا.

ســواعيــر

قال الشاعر محمد بن قطامي:

ضاقت مسالك فكرتي والتدابير
في ديرةٍ ما من صديقٍ يوالي
غربة وكربة هم وجد وتحسير
مع ضيق خلق وخاطرٍ هوب سالي
أبات ويالانِ عيوني مساهير
للصبح ما جفني بنومه هنا لي
وتلومني ناس بحالي مغاتير
يلفون ما يدرون باللي جرى لي
لأني بقلبي م الهواجس سواعير
نارٍ تحط اوصَلّ نار اشتعالي

وقوله سواعير في البيت الأخير هنا تعني نيراناً مستعرة.

وهي لا شك فصيحة أصلها جاء في اللسان: وسَعَرَ النار والحرب يَسْعَرُهما سَعْراً وأَسْعَرَهُما وسَعَّرَهُما: أوقدهما وهَيَّجَهُما.

واسْتَعَرَتْ وتَسَعَّرَتْ: استوقدت. ونار سَعِيرٌ: مَسْعُورَةٌ، بغير هاء؛ عن اللحياني. وقرئ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، وسُعِرَتْ أيضاً، والتشديد للمبالغة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؛ قال الأخفش: هو مثل دَهِينٍ وصَرِيعٍ لأنك تقول سُعِرَتْ فهي مَسْعُورَةٌ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أي بُعْداً لأصحاب النار. ويقال للرجل إذا ضربته السَّمُوم فاسْتَعَرَ جَوْفُهُ: به سُعارٌ.

وسُعارُ العَطَشِ التِهابُهُ. والسَّعِيرُ والسَّاعُورَةُ النار، وقيل لهبها. والسُّعارُ والسُّعْرُ حرها. والمِسْعَر والمِسْعارُ ما سُعِرَتْ به. ويقال لما تحرك به النار من حديد أو خشب مِسْعَرٌ ومِسْعارٌ، ويجمعان على مَسَاعِيرَ ومساعر. ومِسْعَرُ الحرب: مُوقِدُها. يقال: رجل مِسْعَرُ حَرْبٍ إذا كان يُؤَرِّثُها أي تحمى به الحرب. وفي حديث أبي بصير: ويل أمه، مِسْعَرُ حَرْبٍ لو كان له أصحاب؛ يصفه بالمبالغة في الحرب والنَّجْدَةِ. ومنه حديث خَيْقان: وأما هذا الحَيُّ من هَمْدَانَ فَأَنْجادٌ بُسْلٌ مَسَاعِيرُ غَيْرُ عُزْلٍ.

والسَّاعُور: كهيئة التَّنُّور يحفر في الأرض ويختبز فيه. ورَمْيٌ سَعْرٌ: يُلْهِبُ المَوْتَ، وقيل: يُلْقِي قطعة من اللحم إذا ضربه. وسَعَرْناهُم بالنَّبْل: أحرقناهم وأمضضناهم. ويقال: ضَرْبٌ هَبْرٌ وطَعْنٌ نَتْرٌ ورَمْيٌ سَعْرٌ مأخوذ من سَعَرْتُ النارَ والحربَ إذا هَيَّجتهُما. وفي حديث علي، رضي الله عنه، يحث أصحابه: اضْرِبُوا هَبْراً وارْموا سَعْراً أي رَمْياً سريعاً، شبهه باستعار النار. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وَحْشٌ فإذا خرج من البيت أَسْعَرَنا قَفْزاً أي أَلْهَبَنَا وآذانا.

والسُّعارُ: حر النار. وسَعَرَ الليلَ بالمَطِيِّ سَعْراً: قطعه. وسَعَرْتُ اليومَ في حاجتي سَعْرَةً أي طُفْتُ. ابن السكيت: وسَعَرَتِ الناقةُ إذا أسرعت في سيرها، فهي سَعُورٌ.

وقال أبو عبيدة في كتاب الخيل: فرس مِسْعَرٌ ومُساعِرٌ، وهو الذي يُطيح قوائمه متفرقةً ولا صَبْرَ لَهُ، وقيل: وَثَّبَ مُجْتَمِعَ القوائم. والسَّعَرَانُ: شدة العَدْوِ، والجَمَزَانُ: من الجَمْزِ، والفَلَتانُ: النَّشِيطُ. وسَعَرَ القوم شَرّاً وأَسْعَرَهم وسَعَّرَهم: عَمَّهُمْ به، على المثل، وقال الجوهري: لا يقال أسعرهم. وفي حديث السقيفة: ولا ينام الناسُ من سُعَارِهِ أي من شره.

وفي حديث عمر: أنه أراد أن يدخل الشام وهو يَسْتَعِرُ طاعوناً؛ اسْتَعَارَ اسْتِعارَ النار لشدة الطاعون يريد كثرته وشدّة تأثيره، وكذلك يقال في كل أمر شديد، وطاعوناً منصوب على التمييز، كقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾. واسْتَعَرَ اللصوصُ: اشْتَعَلُوا.

والسُّعْرَةُ والسُّعْرُ: لون يضرب إلى السواد فُوَيْقَ الأُدْمَةِ؛ ورجل أَسْعَرُ وامرأة سَعْراءُ؛ قال العجاج:

أَسْعَرَ ضَرْباً أو طُوالاً هِجْرَعا.

يقال: سَعِرَ فلانٌ يَسْعَرُ سَعَراً، فهو أَسْعَرُ، وسُعِرَ الرجلُ سُعَاراً، فهو مَسْعُورٌ: ضربته السَّمُوم. والسُّعَارُ: شدة الجوع. وسُعار الجوع: لهيبه؛ أنشد ابن الأعرابي لشاعر يهجو رجلاً:

تُسَمِّنُها بأَخْثَرِ حَلْبَتَيْها
وَمَوْلاكَ الأَحَمُّ لَهُ سُعَارُ

تواصل تراث طرح مسابقة الشعر الشعبي والفصيح بالتبادل شهريا .. وشهر يوليو هو شهر الشعر الشعبي.

المسابقة هدفها دائما تنشيط القريحة... والتنافس في ميدان برع فيه العرب... وتألق فيه أجدادنا ولأننا على خطى أجدادنا نسير. فإن تراث تتمنى لو أحيت سوق عكاظ من جديد على صفحاتها.. للتنافس في الإبداع من خلال النظم والصورة والفكرة والمضمون.

تراث في مسابقاتها لا تفرض عنواناً .. وإنما تترك الساحة للشعراء كي يختاروا الميدان الذي يرغبون فيه.. ليبدعوا ويتنافسوا.

مسابقة الشعر الشعبي لشهر يوليو جوائزها:

- المركز الأول: ٧٠٠٠ درهم
- المركز الثاني: ٥٠٠٠ درهم
- المركز الثالث: ٣٠٠٠ درهم

وكالعادة .. المسابقة مفتوحة للجميع .. اكتب قصيدتك واقدح قريحتك وسطر أبياتك .. وأرسلها لنا على عنوان أو فاكس المجلة فقد تكون من المبدعين.

الشرط الوحيد الذي وضعناه: أن تكون القصيدة جديدة.. وآخر موعد لتلقي المشاركات هو آخر شهر يوليو ٢٠٠٥م.

اكتب اسمك وعنوانك ورقم هاتفك واسم القصيدة في ورقة منفصلة .. واكتب على المغلف: (مسابقة شهر يوليو للشعر الشعبي). ترسل القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر. ونعتذر عن عدم قبول أية قصيدة لا تلتزم بذلك.

عنوان المجلة

ص.ب: ٢٧٧٦٥ - أبوظبي، أو على فاكس المجلة: ٤٤٣٠٨٨١ / ٠٢

وهذا الميدان يا حميدان ... وسلمتوا

ملاحظة: لا يحق للفائزين المشاركة في المسابقات مرة أخرى، وسيتم الاتصال بالمرشحين للفوز لمناقشتهم حول قصائدهم المشاركة.

من روائع الشعر الفصيح

في سكون الليل

إبراهيم العريض

أرّخ الشاعر إبراهيم العريض لقصيدته: (في سكون الليل) بسنة ١٩٣٧م حين نشرها في مجلة الرسالة، وكانت في أوائل قصائد مجموعته: (العرائس) التي جمعها مع أخواتها: (ديوان العريّض).

والقصيدة قريبة إلى صاحبها عزيزةٌ عنده، وهي من جهة أخرى مثال للنزعة الرومانسية في شعره، وتظهر فيها المحاور الثلاثة التي أشارت إليها مقدمة الديوان: الفنّ، والمرأة، والطبيعة.

وشعر العريّض منذ تلك المدّة المبكرة من حياته صورة مشرّفة للحركة الشعرية في الجناح الشرقي من الأرض العربية، وقصيدته هذه نموذج مبدع له ظهور أيّام نشاط جماعة أبوللو ووجود شعراء متميزين فيها مثل علي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل ..إلخ.

(١) غَفا الكونُ إلا ما يكونُ من الصَّبا
إذا حَرّكتْ مَهْدَ الزُّهورِ النواعِسِ

(٢) تَخالينَها يا مَيُّ طُهراً مُجَسّماً
على كلّ غُصْنٍ في الخميلة مائسِ

(٣) ويَحْبِسُ من أنفاسها الليلُ رَيْثَما
يخالِطُها بَرْدُ الندى المُتقاعِسِ

(٤) فَتُرسِلُ طِيْباً حَوْلَها في دَوائر
تدورُ إلى أنْ يغمرَ الطيب هاجِسي

(٥) وقد سكَنتْ حتى المياهُ كأنها
هُنالكَ تُصْغي في الظَّلامِ لهامِسِ

(٦) يُصَقِّلُها مَرُّ النَّسيم فَتَنْجَلي
بها صُوَرُ الأشياءِ شِبْهَ رَواكِسِ

(٧) ويَنْظُرُ في مِرآتِها النّجمُ حائراً
فليسَ يَرى إلا شَرارةَ قابِسِ

(٨) أَتَزْعَمُ أَنَّ اللَّيْلَةَ أَبْدَعَ هَذِهِ
لِيَنْقَضِيَ رَيْحَانَ الصِّبَا فِي الحَنادِسِ؟

(٩) ولا طَيْرَ إلا وهو طَاوٍ جَنَاحَهُ
على الرَّأسِ حتَّى المنكبين كيائسِ

(١٠) تَخَالَيْتُهُ مِن لَفْقَةِ الجِيْدِ ناعساً
ولكنَّهُ -يا مَيُّ- ليسَ بناعسِ

(١١) فإنَّ لذكرى كُلَّ لَحْنٍ شَدَا بِهِ
سَحَابَةَ يومٍ هِزَّةً فِي المغالسِ

(١٢) تُؤَرِّقُهُ تلكَ الهَوَاجِسُ مَوْهِنَاً
فَيُشْفِقُ مِن جَرَّاءِ تلكَ الهَوَاجِسِ

(١٣) وكم دَوْحَةٍ فِي الرَّوْضِ حَالَ سَوَادُهَا
بأنوارِ بَدْرٍ شَعَّ بَيْنَ المغارسِ

(١٤) لِيُلْبِسَهَا مِن نَسْجِهِ بَعْدَ عُرْيِهَا
نِقَاباً لُجَيْنِيَّ السَّنَا كالعَرائسِ

(١٥) وتحتَ شُعَاعِ البَدْرِ أَسْفَرَتِ المُنَى
وعَايَنْتُهَا تَحْنُو حُنُوَّ الأوانِسِ

(١٦) تَعَالَي هُنَا.. نَخْلُدُ مِن العُمْرِ ساعةً
يَداً بِيَدٍ فِي نَجْوَةٍ وتَهَامُسِ

شرح المفردات

(١) غفا: نام نومة خفيفة.

(٢) الخميلة: الشجر المجتمع الكثير الملتف. ماس: تميله الريح

(٣) المتقاعس: من تقاعس: تأخر.

(٤) الهاجس: الخاطر.

(٦) يصقلها: مضعف صقل. صُوَر رواكس: تظهر (في الماء) معكوسة.

(٧) تظهر صورة النجم في المياه (مياه البركة أو النهر الهادئ) كأنها نارٌ لها بصيص.

(١١) المغالس (جمع مغلس) وقت الغلس حين يختلط ظلام الليل بضوء الصباح.

(١٢) الموهن من الليل: نحو منتصفه (١٣-١٤) نور البدر يشع على الدوحة ويلبسها ثوباً فضياً.

(١٥) الآنسة: الفتاة طيبة النفس والحديث، المحبوب قربها.

- ومعنى (حال سوادها) أي تبدل.

تدمُر.. مدينة النخيل

أدهشت مدينة تدمر القدماء وأهل هذا الزمان. فهي مقرّ آثار قديمة ذات أهمية أثرية وتاريخية وجمالية. وحالاً بعد حال هناك مكتشفات جديدة من حفريات ما تزال أثراً أو خبراً أو إضافة من تراث الإنسانية.

ويلفت النظر اسم المدينة: (تَدْمُر) وهو اسمها العربي المعروف، وكذا اسمها الذي نعرفه في الإنكليزية -مثلاً- ولغات أجنبية كثيرة.

ولا نجد تفسيراً متفقاً عليه عند المؤرخين واللغويين لمعنى تَدْمُر، أو سبب تسمية المدينة هذه. وهناك رواية عند ياقوت في معجم البلدان تقول إنها سُمّيت باسم تَدْمُر بنت حَسّان بن أذينة، ويتصل هذا النسب في ما روي بسيدنا نوح عليه السلام.

والاسم عربي صريح. وصيغته مألوفة في تسمية عدد من المدن العربية في بلاد الشام والجزيرة مثل: (يَنْبُع) و(يَثْرب) و(أذرع) و(إبطع).. وهناك تفسير شعبي شائع اليوم يقول إن تدمر أصلُها تطمر، لأن آثارها طمرت مع الزمن!.. (أي غُطّيت بالتراب وغيره) وهو تفسير طريف فقط.. ولا علاقة له بالتاريخ.

تدمر مدينة في واحة: مياهها من الأمطار والآبار والقنوات (الأفلاج). وهي مدينة قديمة؛ يرقى تاريخها إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد (على الأقل)، وما تزال الحفريات تستخرج حقائق تاريخية وآثارية. وازدهرت بين القرن الأول قبل الميلاد وصولاً إلى القرن الثالث الميلادي. وبلغت أوج مجدها أيام الملكة العربية زنوبيا التي سعت لإقامة دولة عربية (إمبراطورية) واسعة. تولت الحكم بعد وفاة زوجها أُذينة الذي كسب في حربه على الفُرس جولات مظفرة (ما بين ٢٦٢- ٢٦٧) أما زنوبيا فضمت إلى مملكتها العربية مصر سنة ٢٦٩م. وفتحت معظم آسيا الصغرى ٢٧٠م وأعلنت استقلالها عن رومة. جرّد الإمبراطور أوسيان حملة أوروبية عظيمة ليغلب زنوبيا، ويلغي استقلال تدمر ويحطم حضارة هائلة. واقتيدت زنوبيا إلى رومة، وحافظ المحتلّ لهذه الملكة على التقدير المناسب ولو كانت أسيرة.

ويبقى السؤال مطروحاً: ماالعلاقة بين اسم تدمر المسجّل في الأشعار والآثار القديمة وبين الاسم الشائع في اللغات الأجنبية (Palmyra)؟

كلمة (Palm): تعني: النخلة. ومن هنا أطلقوا على تدمر: (Palmyra).

ومن الاقتراح المنطقي أن نقول إن تدمر كانت تزرع النخيل، وهي مثل يثرب المدينة المنورة تسقى بالأمطار والآبار. وأن نقول إنها زرعت أنواعاً رفيعة من النخيل فاشتهرت بالنخل والتمر.

وشيء آخر. لقد كانت تدمر على طريق البادية بين العراق والساحل الذي يؤدي إلى الغرب (أوروبا). وكانت تجارة العراق تمرّ فيها. ويمكن أن تكتسب اسْماً له علاقة بالتمر وما يتعلق به.

والطريف الذي نستطيع توكيده هنا هو أن (Palm)، ومن ثم اسم (Palmyra) من أصل عربي. ويكون الأجانب نقلوا الاسم أو اللقب الخاصّ بهذه المدينة عن اللغة العربيّة. لقد احتفظت اللغات الأجنبية بالأصل العربي الثاني (أو الآخر) لمدينة تدمر ونسيه التراث القديم. احتفظت اللغة بالتاريخ!

- في لسان العرب: الأبلم والأبلمة: خوصة النخيل. قال والهمزة في الكلمتين زائدة. وفي مادة (أ ب ل): الأُبلّة: الفِدْرة من التمر (الجلّة أو الكتلة من التمر). وبسبب العلاقة بين المادة اللغوية والتمر دُعيت مدينة على شاطئ دجلة تزرع النخيل باسم الأُبلّة.

فوصف تَدْمُر أو تسميتُها باسم بلد النخل: عربي قديم. انتقل إلى الأمم، وسجّل مكانة اقتصادية، إضافة إلى المركز السياسي لدولة تدمر.

وخيّلت عظمة تدمر للقدماء أنها من صنعة الجنّ كقول النابغة الذبياني (من العصر الجاهلي):

إلاّ سليمانَ إذْ قال الإلهُ له ... قُمْ في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

وخيّس الجنّ إني قد أذِنْتُ لهم ... يبنون تدمر بالصفّاح والعَمَدِ

وهناك شعر كثير لشعراء من عصور متوالية في تدمر وآثارها، ووصف تماثيلها الباقية، وخصوصاً لتمثالين لفتاتين كانا معروضين للناس.

وتدمر اليوم مدينة سياحية مهمة، وفيها مركز سكّاني له عاداته وتقاليده من بادية الشام، وما تزال جماعاتُ التنقيب تواصل الحفر والاكتشاف.■

عملة نادرة تعود لأحد الملوك العرب الساسانيين
من القرن السادس الميلادي

أعظم ملوك العرب قبل الإسلام

الغساسنة من أزد اليمن نزحوا تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزيقيا من جنوب الجزيرة العربية إلى بادية الشام عند خراب سد مأرب والخروج المشهور البارز عام ٤٥٠م. إذ تهدم جزء كبير من السد وفاضت مياهه وعاثت في المزارع والأودية المحيطة به وما سببه ذلك في تدهور نظم الزراعة وأعمال الري في اليمن [١].

وكان يسكن مشارف الشام قبل نزوح الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالضجاعمة من قبائل بني سليح بن حلوان من قضاعة [٢]. وقد غلبهم الغساسنة وحلوا محلهم. ويرى نسابو العرب أن هؤلاء الأزد لم يرحلوا إلى الشام مباشرة وإنما أقاموا حينا من الوقت في تهامة بين بلاد (الأشعريين وعك) على ماء يقال له غسان فنسبوا إليه ويفسر المسعودي هذه النسبة بقوله: وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك. يقول حسان بن ثابت

أما سألت فإنا معشر نجب
الأزد نسبتنا والماء غسان [٣]

وينسب الغساسنة إلى آل عمرو والمعروف بمزيقيا، وعمرو هذا هو ابن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرؤ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزديق الغوث- وسمي عمرو مزيقيا وأولاده المزاقية لأن الأزد تمزقت على عهده كل ممزق عند هروبهم من سيل العرم. فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم مثلا فقالوا: ذهبت بنو فلان أيادي سبأ [٤]. ويسمى الغساسنة بآل جفنه لأن أول ملوكهم جفنة ابن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلب بن مازن ابن الأزد وإلى جفنه هذا ينسب الحارث الأول ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الذي يسميه النابغة بالحارث الجفني [٥].

وأول من ملك من أمراء غسان هو جبلة بن الحارث بن ثعلبة الذي ذكره مؤرخو الغرب تحت اسم (جبلس) وذكروا أنه غزا فلسطين فيما يقرب من ٥٠٠م [٦]. وخلف ابن الحارث بن جبلة أعظم أمراء الغسانية الحارث بن جبلة أعظم ملوك العرب قبل الإسلام.

الحارث بن جبلة بن الحارث الجفني حكم بني عامر ٥٢٩-٥٦٩م) ويعد أول أمير غساني أطلق عليه لقب ملك، وهو الحارث الخامس في سلسلة أمراء غسان الذين بدأت إمارتهم من عام ٣٨٠م وقد حكم منهم اثنان وثلاثون حاكماً ابتداء من القرن الميلادي الأول حتى عام ٦٠٠م [٧]. حارب المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وانتصر عليه في أبريل عام ٥٢٨م وكان معاصراً لامبراطور الروم جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) كما كان معاصراً لملكين من ملوك الفرس هما كسرى قباذ (٤٤٨-٥٣١م) وكسرى انوشروان (٥٣١-٥٨٩م) ومنحه جستنيان لقب ملك وبسط سلطته على قبائل عربية متعددة حتى يكون خصماً قوياً في وجه المنذر بن ماء السماء ملك عرب الفرس [٨]. وكان هناك صراع ونزاع بين الغساسنة والمناذرة بسبب محاولات

السيطرة للجانبين على الأرض الممتدة على جانبي الطرق الحربية من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس وادعاء كل منهما أن قبائل العرب الضاربة في هذه الأرض تخضع لسلطانه وأنها تدفع إليه الجزية وعلى هذا النحو قامت الحرب بينهما [٩] لذا قام الحارث بغزو بلاد المنذر وهزم جيشه وغنم غنائم كثيرة مما أدى إلى قيام الفرس بغزو شمال سورية والاستيلاء على مدن كثيرة مثل الرها ومنبج وقنسرين وانطاكية [١٠]. وقد هبت الروم للرد على الفرس فجهزت حملة بقيادة (بليزاريوس) ووضعت الحارث تحت إمرته. وصلت الحملة نهر دجلة وعبرته إلا أن الحارث ارتد إلى بلاده ولم يشترك في الحرب لأنه أنف من الاشتراك في حملة يقودها قائد بيزنطي [١١]. وبعد ثلاث سنوات من حملة بليزاريوس في عام ٥٤٤م اشتبك الحارث في قتال عنيف مع المنذر بن النعمان وانتهى القتال بهزيمة الحارث بن جبلة ووقع أحد أبنائه أسيراً في يد المنذر فقدمه ضحية للآلهة العزى ولكن الحارث عاود جمع جموعه واشتبك من جديد مع المنذر في موقعة انتهت بهزيمة المنذر وفراره من المعركة تاركاً ولدين من أولاده أسيرين في أيدي الغساسنة [١٢] ولم ينته الصراع بين الحارث والمنذر إلا بعد أن قتل المنذر ملك الحيرة نفسه في موقعة دارت بينهما بالقرب من قنسرين في سنة ٥٥٤م وفيها سقط أحد أبناء الحارث ويدعى جبلة قتيلاً فدفنه أبوه في قلعة على عوداجه بالقرب من قنسرين [١٣]. ورأى الحارث أن يرحل إلى القسطنطينية ليأخذ موافقة القيصر بوسطنيوس فيمن يخلفه من أولاده في ولايته وما يمكن اتخاذه من خطط عسكرية لمواجهة عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٦٨م) وبهرته مظاهر الحضارة في عاصمة البيزنطيين، ولكنه لم يقابل هناك بما يحب أن يقابل به الأبطال المنتصرين من مظاهر الحفاوة والتكريم لأنه كان مسيحياً على المذهب المونوفيزيتي - أي مذهب الطبيعة الواحدة- وكان يتولى الدفاع عن المونوفيزيه وسعى لدى الامبراطورة، تيودور في سنة ٥٤٢-٥٤٣ لتعيين يعقوب البرادي مؤسس الكنيسة السورية اليعقوبية ورفيقه يثودوروس أسقفين في المقاطعات العربية والسورية [١٤]. فاستغل بطارقة القسطنطينية هذه الفرصة (زيارة القسطنطينية) لإثارة المشاعر هناك حوله، فعاد إلى دياره غاضباً حتى أرسل إليه امبراطور الروم يسترضيه حتى عادت العلاقات بينهما كما كانت، ويشغل الحارث مكانة عظيمة في نفوس العرب إلى حد أن كتاب العرب القدماء كانوا يطلقون على كل أمير غساني حقيقي أو من خيالهم لا يعرفون اسمه. اسم الحارث بن أبي شمر [١٥]. وكان بين الحارث وبين ملوك عصره مراسلات ومكاتبات منها مراسلات مع ابرهة الحبشي ملك اليمن- فقد أورد المستشرق (جلاسيد) كتاباً لأبرهة جاء فيه - أن الحارث بن جبلة أرسل رسولاً إلى أبرهة ليهنئه بترميم سد مأرب الذي تم ترميمه في عهده وهذا جزء مما جاء في النص (ورسل حرثم بن جبلت) [١٦].

والحارث هذا من أذكياء ملوك العرب ومثقفيهم، فقد استطاع التغلب على البطريق (افرام) في حوار هادئ موضوعي مؤدب لطيف عن طبيعة المسيح كما يؤمن بها الحارث وهو - وجود طبيعة واحدة فيه- على مذهب المونوفيزين أبي اليعقوبية.

وهذا الحارث هو الذي أوصل الشاعر الكندي أمرؤ القيس إلى قيصر الروم يوسطينيوس [١٧].

توفي الحارث بن جبلة الذي يقال له أيضا الحارث بن أبي شمر في آخر سنة ٥٦٩م أو أول عام ٥٧٠م بعد أن قضى في إمارته أطول مدة في عهود أمراء الغساسنة وهي أربعون عاما [١٨]. ■

** عبد الستار الشهاوي*

المراجع:

١- المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر- القاهرة ١٩٥٨ الجزء الثاني ص١٠٦.

٢- المسعودي- التنبيه والإشراف- طبعة بيروت- مكتبة خياط ١٩٦٥ ص١٨٦.

٣- المسعودي- مروج الذهب- مصدر سابق ص١٠٧.

٤- المسعودي - التنبيه والاشراف- مصدر سابق ص١٨٦.

٥- تيودر نلدكه أمراء غسان- ترجمة د/ بندلي خوري وقسطنطين رزيق بيروت ١٩٣٣ ص٩.

٦- جورجي زيدان- العرب قبل الاسلام- طبعة دار الهلال مراجعة د/ حسين مؤنس ص٢٤٩.

٧- تيودر نلدكه- مصدر سابق ص١٢.

٨- د/ جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام - المجلد الرابع ص ١٣٠.

٩- نلدكه - مصدر سابق ص ١٨

١١- المصدر السابق.

١٢- نلدكه - مصدر سابق - ص١٩.

١٣- نلدكه - مصدر سابق - ص٢٠، ٢١.

١٤- ابن الاثير- الكامل في التاريخ- دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧ الجزء الأول ص٢٢٦.

١٥- مجلة المشرق- السنة الأولى - الجزء ١١ حزيران ١٨٩٨م ص٤٦٨.

١٦- ابن قتيبة- الشعر والشعراء - تحقيق أحمد محمد شاكر ص٥٠.

١٨- حمزة الأصفهاني - مصدر سابق ص ٧٨.

فنجان القهوة مفتاح السلام.. والكلام

▪ ياسين صويلح

تتصدر القهوة المجالس البدوية، وتشكل نسقاً ثقافياً مشتركاً، يطبع عادات وتقاليد البدو بطابع معين، فهي القاسم المشترك لكل عنصر ثقافي في المجتمع البدوي، وهي لم تؤدِ وظيفة اجتماعية فحسب. وإنما جعلت كل الوظائف الاجتماعية تتمحور حولها.

فهي الشراب الذي لا يعلو عليه شراب آخر. فإذا ما وجدت القهوة، فإن ما عداها يكون أدنى منها درجة، حتى ارتبطت بكل المواقف والأوضاع الاجتماعية المختلفة، كالضيافة والكرم، والالتزام الشخصي والجماعي، وعمليات الأخذ والعطاء، والثأر، وخطبة العروس، وفض النزاعات.

وبالنظر إلى أهمية القهوة فلن نتمكن في هذا المقال المختصر من الإحاطة بكافة جوانبها. فلو أردنا ذلك لاحتاج منا الأمر إلى الكثير الكثير.

لكننا في هذه العجالة. سنقوم بتسليط بعض الضوء على جانب واحد منها وهو (الفنجان) وما ينطوي عليه من رموز ودلالات.

يعتبر البدوي أن من أول واجباته إكرام الضيف، وعنوان هذا الكرم أن تكون القهوة جاهزة في البيت دائماً.فما أن يجلس الضيف في مكانه حتى يبادر المضيف إلى إحضار القهوة ويصبها في فنجان، ثم يبادر إلى شربه أمامه، دليلاً على أن القهوة لا تحوي أي مادة ضارة، ثم يصب فنجاناً آخر ويناوله للضيف، فإذا شعر الضيف بالاكتفاء يتوجب عليه بعد أن يشرب القهوة من الفنجان أن يرفعه بيده اليمنى ويهزه عدة مرات دليلاً على اكتفائه.

وهناك قواعد تعارف عليها البدو لا بد من مراعاتها:

القاعدة الأولى: يقولون القهوة مفتاح السلام والكلام، أي أن الضيف والمضيف لا يأخذ كل منهما حريته بالحديث إلا بعد شرب القهوة، فإذا ما تم ذلك أصبح كل منهما آمناً من الآخر، وبعد ذلك يتجاذبون أطراف الحديث بحرية أكثر.

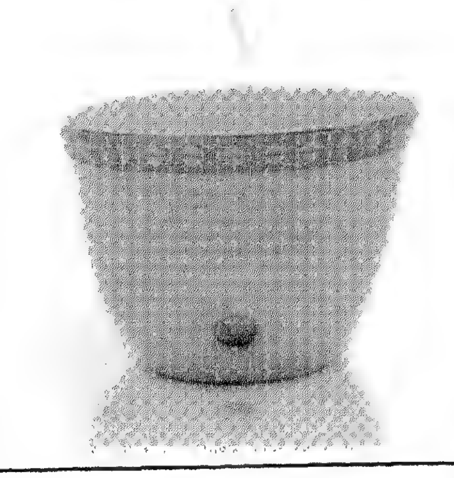

القاعدة الثانية: أن الأصل في تناول القهوة أن يسكب المضيف القهوة إلى أول شخص على يمينه ثم يستمر باتجاه اليسار، ويستثنى تقديمها إلى الرجل الأعلى منزلة حيثما كان مكان جلوسه، وهذا الاستثناء جرّ كثيراً من المنازعات بين الحضور خاصة إذا تساوت مراتب عدد من الرجال، وكل واحد يرى نفسه مميزاً على غيره.

القاعدة الثالثة: من العادات المتعارف عليها، أن صباب القهوة يحمل الدلة باليد اليسرى، والفناجين باليد اليمنى، وعليه أن يقف أمام الضيف ويصب له الفنجان. ولا يجوز تقديم القهوة من الساقي وهو جالس، أو بواسطة شخص آخر، إلا إذا رفع التكليف بينهما كأن يكونا صديقين أو قريبين.

ومن واجب شارب القهوة، أن يتناول الفنجان بيده اليمنى وأن يعتدل في جلسته، إذا كان متكئاً. وبعد أن يشرب القهوة، يقوم بتسليم الفنجان يداً بيد إلى صباب القهوة ولا يجوز أن يضعه جانباً مهما كانت الأسباب.

فناجين القهوة

حدد البدو عدد الفناجين التي يجب على المضيف أن يقدمها للضيف بثلاثة فناجين، يفصلونها على النحو التالي:

فنجان الضيف: وهو فنجان الترحيب بالقادم، ويعتبر من حق أي واحد. وشرب هذا الفنجان لا بد منه، إلا لعلة مرضية واضحة. فإذا اكتفى الضيف بهذا الفنجان هزّه وترافق هزة الفنجان عبارة شكر أو دعاء. وإذا لم يهزه، يصب له الفنجان الثاني.

فنجان الكيف: وهو الفنجان الثاني، ويوصف من يشربه أنه صاحب كيف، ومعتاد على شرب القهوة، وبهذا يكون شريكاً للمضيف في جلسته وطربه، وتبديد وحشته.

فنجان السيف: وهو الفنجان الثالث الذي يعرض على الضيف بعد الأول والثاني مباشرة، دون ترك فاصل زمني، وربما سمي بهذا لأن في شربه مغزى يشير إلى أن شاربه أصبح في جملة أهل القبيلة التي نزل فيها، يشاركهم بسيفه إذا داهمهم غزو أو خطر، وهو غير هياب من الإقدام على الخطر، ومشاركة مضيفه في رد أي عدوان يقع عليهم.

وهناك عدة أنواع من الفناجين الأخرى نذكر منها:

فنجان الخطبة: فحين يفكر شخص بالزواج، من فتاة معينة، فإن عائلته تسارع إلى توسيط عدد من الوجهاء الذين يذهبون إلى بيت أهل الفتاة حيث يتم استقبالهم بالترحيب. وبعد أن يأخذوا أماكنهم في المجلس تدار عليهم القهوة، فيتناول أكبرهم جاهاً أو سناً فنجاناً ويضعه أمامه، ويمتنع عن شربه حتى يحصلوا على الموافقة، على تزويج ذلك الشاب من تلك الفتاة. وبعد الحصول على الموافقة، يشربون القهوة، شاكرين لأهلها كرمهم وحسن استقبالهم.

فنجان الثأر: إذا اعتدى شخص على فرد من قبيلة، وكان هذا الاعتداء يمس شرف القبيلة بأسرها فإن من واجب شيخ القبيلة، أن يدعو أفرادها إلى اجتماع عام، يلقي من خلاله كلمة يوضح فيها أهمية الأخذ بالثأر من المعتدي، حفاظاً على سمعة القبيلة ومنزلتها بين القبائل الأخرى، وبعد ذلك يطلب الشيخ من أحد الموجودين أن يصب فنجاناً من القهوة، ثم يتناوله بيده ويقول: من يشرب فنجان فلان -يذكر اسم المعتدي- فإذا شرب أحدهم الفنجان، أصبح لزاماً عليه أن ينتقم من المعتدي. وهذا يدل على أهمية وقدسية القهوة عندهم، فإذا ما تخاذل هذا الشاب عن أخذ الثأر، فمعنى ذلك أنه نكث بأعز شيء تحترمه القبيلة وتقدسه، وبالتالي يصبح غير أهل للاحترام والتقدير. أما إذا شرب الفنجان، وثأر للقبيلة من المعتدي، فقد حظي بالتقدير والاحترام وصار موضع أحاديث القوم، بالشجاعة والولاء للقبيلة.

فنجان الأحزان: حين يزور الناس العائلة المنكوبة بقصد المواساة، فإن القهوة تدار عليهم، والغالب المتعارف عليه، أن لا يتناول الشخص الواحد أكثر من فنجان واحد. ومن يعيد الفنجان إلى الساقي فإنه يشكره بعبارات شتى كقوله: «خاتمة الأحزان» أو «صدقة واصلة» إلى ما هنالك من عبارات التعزية المتعارف عليها. ومن الأخطاء الفادحة، أن يعبر ذلك الشخص شكره ومواساته بقوله عبارة «دايمة» لأن ذلك يعني أنه يتمنى لهم مزيداً من مناسبات الأحزان. ■

المراجع:

١- أحمد عويدي العبادي: المناسبات عند العشائر الأردنية.
٢- د. سليمان عبيدات: عادات المجتمع الأردني.
٣- عطالله الزاقوت: العادات في جبل العرب.
٤- محمود مفلح البكر: مجلة بناة الأجيال عدد/٧/ تموز ١٩٩٣.
٥- أمل الحريث: صحيفة الرأي العام تموز ١٩٩٨.

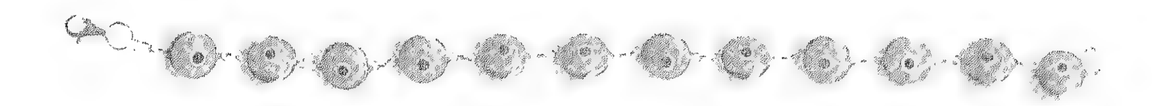

مكائد النساء في الأدب الشعبي

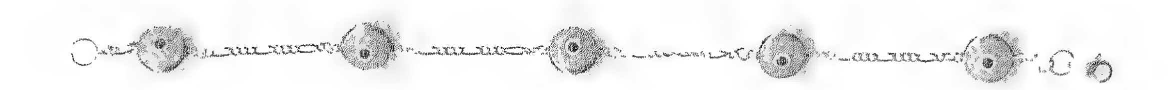

■ صلاح محمد أبو زيد

في حكاياتنا الشعبية استوفت المرأة حقها كاملاً غير منقوص، فرأيناها فارسة، ومقاتلة وعاشقة ومعشوقة، وعابدة وساحرة وحكيمة وكاهنة ومحتالة أيضاً.. بل رأيناها تحمل فوق كتفيها سيرة متكاملة خاصة بها هي (الأميرة ذات الهمة)، بينما لعب فيها الرجال أدوار التابعين والمعاونين.. وفي حكاية (علي الزيبق) التي انبثقت من الليالي وراحت تنمو وتستقل بنفسها شيئاً فشيئاً، يكاد الصراع ينحصر بين امرأتين.. دليلة المحتالة التي تمثل الشر والمكيدة من ناحية، وفاطمة والدة علي الزيبق التي تمثل الخير من ناحية أخرى وهي ترعى ابنها وتقف إلى جواره، وهي فوق أمومتها تلك تجيد التنكر وتتقن الحيلة وتسارع إلى إنقاذه من ملاعيب دليلة ومكائدها. وفي السيرة الهلالية، وبعد موت الأبطال وانفراد دياب بالأمر تلجأ الجازية إلى اليتامى فترعاهم وتعلمهم فن الثورة والتمرد، فكانت بذلك أكثر دهاءً وذكاءً ومكراً من الجميع لأنها راهنت على المستقبل، وحين يقتلها دياب في مبارزة غير متكافئة، فإنها لا تموت إلا جسدياً وتبقى روحها وقيمها التي بثتها في نفوس الصغار وعقولهم، وتستطيع أن تتغلب على دياب بن غانم وتقهره وهي في قبرها، وكأنها تجسيد حي لما تقوم به المرأة الصامدة في فلسطين والتي لا تتوقف عن إنجاب الشهداء والأبطال.

ولم تبخل المخيلة الشعبية على المرأة مما حرمه منها ما يسمى بالأدب الرسمي.. وكما يرى (فاروق خورشيد) في كتابه (عالم الأدب الشعبي العجيب): فليس هناك بطل من أبطال السيرة الشعبية لا تقف وراء بطولته امرأة إما لتحققها وتؤكد وجودها.. وإما لتعاديها وتدمر قيمتها وأهميتها، وللمرأة في السير الشعبية العربية دور لا يقل في خطورته وأهميته عن دور الرجل، وبروز دور المرأة في السير الشعبية يعني بالتالي دوراً إيجابياً ومهماً للعلاقة بين المرأة والرجل.

والمرأة أيضاً لم تلعب دور الدمية المحبوبة التي يسعى البطل إلى نيل رضاها واجتذاب قلبها، ولكنها تلعب أدواراً عديدة في تكوين البطل وفي رسم صراعه وفي تحديد نهاية هذا الصراع.

عجائز ألف ليلة وليلة

وكما كانت الحكايات وسيلة شهر زاد لتنقذ نفسها من سيف شهريار، فإن الحيلة ظلت تتلبس حكايات الليالي وتضفي عليها ألواناً من السحر والإثارة.. يصف الراوي في حكاية (علي الزيبق) دليلة العجوز المحتالة بأنها «أخبث من إبليس الذي كان قد تعلم المكر منها، فقد كانت صاحبة حيل وخداع.. وكانت تحتال على الثعبان حتى تخرجه من وكره».

وفي حكاية عمر النعمان وولديه، شركان وضوء المكان، يصف الراوي شواهي ذات الدواهي بأنها «سيدة العجائز الماكرة، ومرجع الكهان في الفتن الثائرة».

ويرى عبد الغني الملاح في كتابه (رحلة في ألف ليلة وليلة) أن «ظاهرة العجوز المحتالة هي تجسيد لمعاناة الجواري والحرائر في ذلك العالم المضطرب فراحت تخطط لتحقيق آمال تعينها على سحق الحرمان بطريقة كان المجتمع السائد يتقبلها»، بل ويبدي إعجابه بها، ويستعين بها أحياناً لتحقيق بعض رغباته، مثلما نرى في حكاية (نعم ونعمة)، حين يستعين الحجاج بن يوسف بإحداهن للاحتيال على إحدى الجواري الجميلات.. وهذه العجوز كما يصفها الراوي: «كانت تتقنع بثياب الزهاد، وفي تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والاحتيال».

وبالفعل تنجح العجوز في خداع (نعم) الفتاة الجميلة البريئة بقناع التدين المزيف وتخطفها من زوجها، ولكن المخيلة الشعبية تأبى إلا أن تعيد الزوجة إلى زوجها بنهاية المطاف ليلتم الشمل وتعم السعادة.

بينما يرى بعض الدارسين للأدب الشعبي أن مكائد النساء في الليالي كانت نوعاً من الثورة المبكرة على التباين الطبقي في المجتمع الذي يمنح الرجل كل شيء ويحرم المرأة من كثير من حقوقها.. ورغم أن معظم أبطال السير الشعبية كانوا يمارسون شتى الحيل والألاعيب للتغلب على أعدائهم، وكانوا يجيدون فنون التخفي والتنكر، مثل (أبي زيد) الذي كانت تمتزج في نفسه صفتا الشجاعة والحيلة، فنراه في زي تاجر وراهب ومهرج وشيخ عجوز أو امرأة أحياناً، وهو أيضاً لا يجبن أو يتردد حين يدعو الداعي إلى الشجاعة والفروسية، ومثل أبي محمد البطال في سيرة ذات الهمة الذي يعمل على خداع المرأة (القناصة) حتى ينجح في تخليص (عبد الوهاب ابن ذات الهمة) من أسرها، ويحقق النصر لقومه بالمكر والحيلة والدهاء، أو علي الزيبق الذي أطلق عليه هذا اللقب لإجادته فنون التخفي وإتقانه ألواناً مختلفة من الحيل.. رغم كل ذلك، إلا أن المرأة ظلت متهمة بالمكيدة والمكر والخداع!! ولكن هل كان مكر النساء كله شراً وحقداً؟

صنفت المخيلة الشعبية مكائد النساء واحتيالهن إلى نوعين رئيسين.. الأول كريه يمتلئ حقداً وضغينة كالذي كانت تمارسه دليلة المحتالة وعجائز الليالي، والثاني تلجأ إليه المرأة لتنال حقها من المجتمع الذكوري الذي يساومها على أنوثتها، ويكاد يكون هناك نوع ثالث يتميز بالطرافة والخفة وتفعله المرأة لتثبت ذاتها ووجودها في ميدان ترى أنه ملك لها، وأنها سيدته بلا منازع.

المكر الحسن

ومن أمثلة المكر الحسن الذي مارسته المرأة مضطرة لاسترداد حقها المسلوب، ما ترويه لنا الحكاية..

يحكى أن رجلاً من أهل البصرة اسمه عمرو بن عامر استودع أحد أصدقائه من النساك المشهورين بالورع ألف دينا، وطلب منه أن يدفع المال إلى أهله إذا وقع له مكروه، ورآهم في ضيق من الحال.. وبعد حين، مات عمرو، وساءت أحوال زوجته.. وحين علم الناسك ما آلت إليه الحال، ذهب إلى بيت صديقه وفي نيته أن يدفع المال إلى زوجته، ولكنه ما إن رأى جميلة زوجة صديقه حتى اختلبه جمالها وراودها عن نفسها حتى يرد الأمانة، وبالطبع رفضت الزوجة هذا العرض المهين ولجأت إلى أهل الحل والعقد، فما كان منهم إلا أن راودوها عن نفسها حتى يردوا إليها حقها بداية من حاجب الوالي ومروراً بالقاضي وصاحب الشرطة أو تأتي بشاهدين

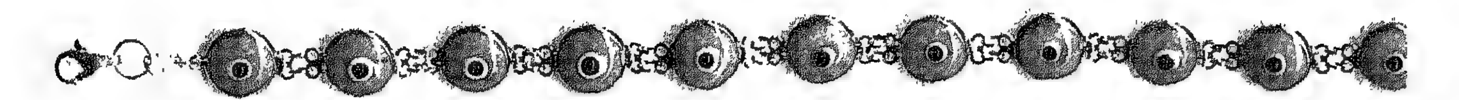

عدلين.. فمضت المرأة إلى بيتها وفي نفسها حيلة تعيد إليها حقها المغتصب.

فأرسلت جاريتها إلى النجار وأمرته أن يصنع لها تابوتاً بثلاثة أبواب، كل منها باب مفرد.. وأرسلت إلى الحاجب أن يأتيها صباحاً وأرسلت إلى القاضي أن يأتيها ضحوة وإلى صاحب الشرطة أن يأتيها إذا تعالى النهار، وإلى الناسك أن يأتيها إذا انتصف النهار.. وحين حضر الحاجب ظلت تحادثه وتلاطفه حتى طرق القاضي الباب، فأدخلت الحاجب في أحد أبواب التابوت، وكذلك فعلت مع القاضي وصاحب الشرطة، وعندما حضر الناسك.. قالت له: مرحباً بالزائر الجاني، كيف بدا لك في زيارتنا.. قال: شوقاً إلى رؤيتك وحنيناً إلى قربك.. قالت: فالمال ما تقول فيه، أشهد الله على نفسك برده.. فقال الناسك: اللهم إني أشهدك أن لجميلة في عنقي ألف دينار وديعة زوجها.. فلما سمعت منه، هتفت بجاريتها أن تذهب إلى قصر الملك.. وعندما وقفت جميلة في حضرة الملك، طلب منها البينة على ادعائها فقالت: يشهد على ذلك تابوت عندي.. فضحك الملك ساخراً ولكنه أمام إصرارها أمر بإحضار التابوت بين يديه.. فوضعت جميلة يدها على التابوت، وقالت: إعط الله عهداً لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لأضرمنك ناراً، فإذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على إقرار الناسك بحق المرأة.. فكبر الملك مندهشاً من هذه المعجزة.. ولكن جميلة المعجبة بذكائها وحيلتها المدهشة لا تفوت الفرصة لتثبت براعة مكيدتها وتفوقها على رجال لهم مثل تلك المكانة الخطيرة في بلاط الحكم.. فتخرج الرجال الثلاثة من الصندوق وتقص على الملك حكايتها.

إثبات الذات

أما هذه الحكاية التي تحمل على طرافتها وخفتها لوناً من التحدي تدخل إليه المرأة بكامل إرادتها لتثبت للرجل أن لها أسلحتها الخاصة والتي ربما تكون أشد فتكاً من السيف والرمح، أو لعلها تريد أن تثبت لنفسها أنها قادرة على الاحتكاك بالمجتمع دون خوف أو وجل، بل وربما تتفوق على رجاله من حيث الذكاء والدهاء والحيلة، وهي أدوات لازمة للإنسان في حركتها اليومية ذكراً كان أم أنثى.. فيحكى أن رجلاً تاجراً ركبه الغرور فكتب على باب دكانه «كيد الرجال غلب كيد النساء».. وبالطبع لم يعجب هذا القول إحدى المحتالات.. وكانت صبية جميلة، فائقة الحسن، فدخلت إلى دكانه متعللة بشراء بعض حاجياتها.. فانبهر التاجر بجمالها.. ولما رأت شغفه بها وهيامه بحسنها.. قالت في أسف: اعلم أنني بنت قاضي القضاة، ولكن أبي لا يريد تزويجي، وكلما طلبني أحد للزواج أخبره بأنني عمياء كتعاء، ولا أصلح لمثل هذه الأمور.

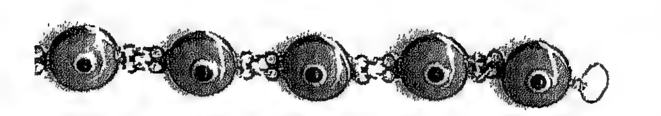

فقال التاجر دعي لي هذا الأمر فأنا أتكفل به مع أبيك.. وبالفعل ذهب التاجر لخطبة بنت قاضي القضاة، فيخبره القاضي بأن ابنته عمياء كتعاء، فيقبل التاجر قائلاً إنه يكفيه شرف مصاهرة قاضي القضاة.. وحين تسنح الفرصة لرؤية العروس يجد أنها بالفعل عمياء كتعاء، ولكنه لا يدري كيف يتخلص من هذه الورطة.. وكيف يتملص من كلامه مع قاضي القضاة، والرجل لم يخدعه ولم يدار عنه عيوب ابنته.. وفي يوم الزفاف يجلس في دكانه حائراً، فتقبل عليه تلك المحتالة الحسناء وعلى وجهها ابتسامة الظفر والفوز، وبعد أن يعترف بهزيمته أمام مكرها، تعمل على خلاصه بحيلة طريفة.. فتأمره أن يجمع بعض الغجر والنور ويذهب معهم إلى بيت القاضي ويدعي أنهم أهله وأقاربه.. وبالطبع كان القاضي يجلس مع علية القوم عندما أقبل هؤلاء، وقال الشاب إنهم أهله ولا يستطيع أن ينكر نسبه إليهم.. ويرفض القاضي زواجه من ابنته قائلاً: نحن لا نستطيع أن نتخلى عن حسبنا ونسبنا، فاذهب وابحث لك عن فتاة تناسبك من بناتهم.

وهذه الفتاة المحتالة نموذج طريف للمكر والدهاء والطيبة أيضاً، وهي شخصية لها حكاية أخرى لا شك أن التاجر راح يمارس فيها دوره الذكوري القديم كـ(سمّيع)، بينما عادت هي لتمارس عادتها الخالدة في الحكي واختلاب الألباب بصوتها الرقيق الناعم ■

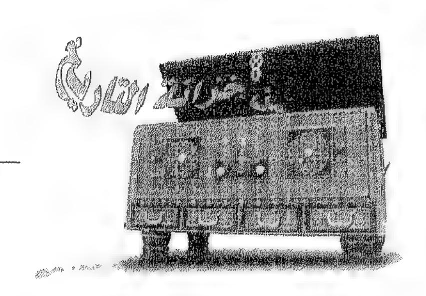

إنهم يخافونه ميتاً

■ أ. د. عبد الرحمن الحجي

أينما تنقب في تاريخنا -بجوانبه وامتداداته وتنوعاته- تجد روائع باهرة وإشراقات آسرة، كان لها أن تكون سائرة. وقد يَعْجَب كلُّ أحد: كيف ولماذا غابت هذه عن الذاكرة؟

وللوصول إليها لابد من جهد وتنقيب وتنبه يقوم على الصبر والمعرفة والخبرة.

وهذه الروائع يعرفها الآخرون وعلى ضوئها يتصرفون. وهي ظواهر كثيرة، من مثل صدق المجتمع والتزامه بالقيم المضيئة والشجاعة البارعة التي لا تُغْلَب ولا تُهْزَم، وهي عَصِيَّة على ذلك كله وكل ما يجري مجراه، وذلك لابتنائها وقيامها على عقيدة التوحيد الصافية الكريمة وشريعتها الإنسانية الرائعة التي أنبتت هذه الصيغ الفاضلة التي تفتقدها كل حضارة أخرى. فأمدت هذه المعاني مبانيه في الأحوال، وإن نزلت أحياناً أو انحرفت زماناً أو ضعفت مكاناً، لكنه دوماً تعود لأصله وبجهدٍ كبير أو غير كبير، حسب الأحوال والظروف.

وما مضى في الحكاية السابقة يصلح شاهداً عليه، لكن القصة التالية فيها لهذا الأمر شاهد ومدلول، وهي قصة الفارس الأندلسي.

وهذه القصة من النوادر المهمة العجيبة. وهي تتعلق بهذا الفارس الذي لم يكن فريداً رغم مكانته. إنه محمود بن عبد الجبار بن راحلة، أحد بني طريف من مصمودة -أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، (٢٠٦-٢٣٨هـ= ٨٢٢-٨٥٢م) الذي واجه مع القلة من رفاقه ملكَ ليون (Leon)[١] الفونسو الثاني (Alfonso II) (١٧٥-٢٢٨هـ= ٧٩١-٨٤٢م) ومعه فرق من جيشه. وجرت بينهم معركة حامية قوية غير متكافئة (٢٢٥هـ=٨٤٠م) قاتل فيها ابن راحلة بشجاعة فائقة عجيبة متألقة. ورغم ذلك لم يستطيعوا النيل من ابن راحلة، لكنه -وياللأسف الكبير- قُتل بطريقة غريبة نادرة غير متوقعة وبلا سيف وبلا نزال أو قتال، وهكذا جرت فجأةً.

والوحيد من كتاب مصادرنا الذي روى هذه الحكاية في كتابه (المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب) ابن سعيد الأندلسي (٦٨٥هـ). ذلك أن فرس ابن راحلة جَمَحَ به حين كان يحارب الفونسو وجيشَه، فاصطدم بشجرة بلوط فكان فيه حتفه. وبقي مستلقياً وهو ميت ولا يجرؤ أحد من فرسان الفونسو على الاقتراب منه. فوقفوا فوق أَجَمَة (مُرْتَفَع) بعيدين، خوفاً أن تكون حيلةً منه أو كميناً لهم، وهذا هو نصه «و بقي (ابن راحلة) مُجَدَّلاً في الأرض حيناً، وفرسان النصارى قيام على ربوة يهابون الدنو ويخافون أنها حيلةٌ منه»[٢]. وبعد انتظار طويل اقتربوا بخطىً بطيئة متئدة مترددة حتى تأكدوا أنها ليست حيلةً.

وهكذا ترى مثل هذه المعاني الرفيعة القوية البديعة في كافة الميادين، لا ترى فيها فاقعاً ولا تخلفاً ولا ضعفاً ولا تردياً. ذلك ما قدمه المجتمع المسلم في جوانب الحياة المتعددة وميادينها المتنوعة، فانظر وتملّ واعتبر.

وقد تقدم في هذه الحكايات هذا النمط من الأحوال في قصص رويت في الكتب الأمهات و المصادر الأصيلة والكتابات الموثقة تنوعاً، فيها من جوانب الحياة الكثيرة في كافة الميادين، للنساء والرجال والأطفال، ولكافة أهل المجتمع خلال القرون و السنين والأحوال.■

الهوامش:

١) مدينة ومملكة في شمالي إسبانيا النصرانية.

٢) المُغرِب: ١/ ٤٨.

تنقيبات تل الثعابين في دبي تؤكد البعد الحضاري والثقافي لأهل الإمارات

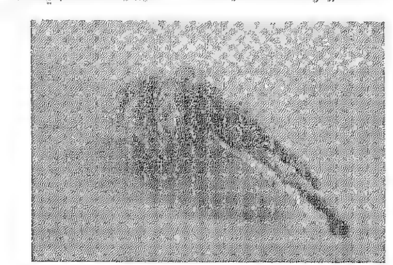

رد على مقالة: «تنقيبات تل الثعابين ..»

السادة / مجلة تراث
تحية طيبة..
وبعدُ

أدناه رد على مقالة (الكاتبة) امتثال النقيب والتي كانت تحت عنوان (تنقيبات تل الثعابين تؤكد البعد الحضاري للإمارات)، راجياً نشره بغية الوقوف على حقيقة ما جاء في المقالة من مغالطات غير مقبولة تماماً في سياقات النشر.

ومما لا شك فيه أن قوانين النشر، وقوانين الملكية الفكرية المعمول بها في دولة الإمارات كما في غيرها من الدول تعمد ولو أدبياً على محاسبة أولئك الذين يعمدون إلى نشر كل أو بعض من نصوص غيرهم ونسبتها إليهم بشكل أو بآخر.

وهذا تماماً ما قامت به كاتبة المقال الوارد أعلاه والذي نشر في مجلتكم الغراء (تراث) العدد (٧٦) مارس ٢٠٠٥م. وفي هذا الصدد أودّ ذكر النقاط أدناه كي تسهل عليكم وعلى القارئ الكريم معرفة الحقيقة.

١- في مارس من عام (١٩٧٩م) قمت باكتشاف وتنقيب (تل الثعابين). وقد أدرجت مضامين هذا الاكتشاف ضمن نص أطروحة الدكتوراة التي قدمتها إلى جامعة كمبردج في عام (١٩٨١م).

٢- قمت بترجمة الأطروحة إلى اللغة العربية ونشرت من قبل مركز دراسات الخليج العربي (جامعة البصرة) تحت عنوان: اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة في عام (١٩٨٩م).

وفي عام (١٩٩٦م) نشرت في مجلة المنتدى العدد (١٥٣) - إبريل، مقالة تحت عنوان: الكشف عن معبد الثعابين في القصيص.

وفي عام (٢٠٠٠م) نشرت مقالة ثانية في مجلة الرافد العدد (٤٠) - ديسمبر، تحت عنوان: موقع القصيص الأثري يؤكد عبادة الثعبان في التاريخ الإنساني.

المؤسف حقاً أن أغلب ما ورد في نصّ الكاتبة مقتبس حرفياً من نصّ الكتاب ومن المقالين دونما ذكر اسم الكاتب أو حتى عنوان الكتاب أو المقالة.

٣- للأسف الشديد أن هذه الاقتباسات السريعة وتلك الاجتهادات العفوية قد أفسدت كثيراً من المعلومات

المقال المنشور في مجلة المنتدى ١٩٩٦م

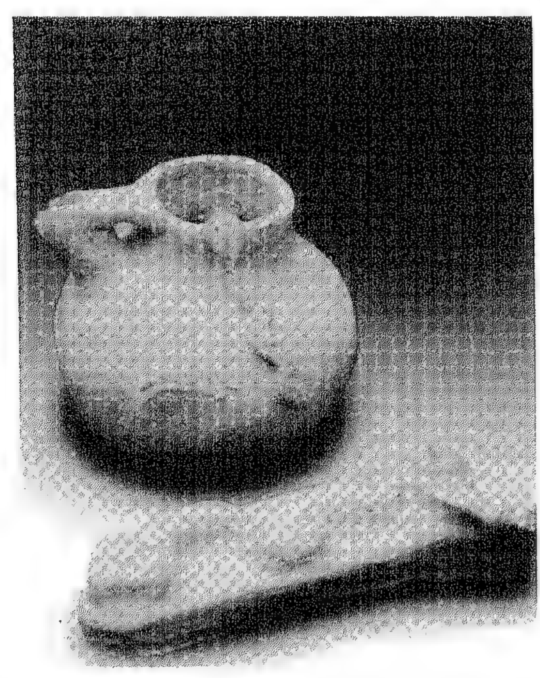

جرة فخارية يظهر عليها ثعبان، ومقبض لمبخرة يظهر عليها ثعبان أيضاً. كلا الثعبانين طعما بأحجار صغيرة لإظهار حراشفهما وقد عثر عليهما مع أعداد أخرى من الأواني والكسر لفخارية التي تظهر عليها هيئة الثعبان

الحقيقية الخاصة بهذا الاكتشاف القيم والذي غيّر كثيراً من المفاهيم الخاصة والعامة بالمعتقدات الروحية التي كانت سائدة في دولة الإمارات إبان الألف الأول قبل الميلاد.

٤- أُرفق معه من نص الكتاب الخاص بتنقيبات (تل الثعابين) ونسخاً من مقالة الكشف عن معبد الثعابين في القصيص كي تقفوا على (درجة) الاقتباس الذي لا مبرر له والذي تجاهلت من خلاله (الكاتبة) وبكل الأبعاد ذكر من كتب تلك السطور أو حتى مصدرها الأصلي.

٥- إن مادة الأطروحة في واقع الحال تعتبر المرجع الوحيد الذي حدد تاريخ (العصر الحديدي) لا في دولة الإمارات فحسب بل في عموم منطقة الخليج العربي، وقد أخذ هذا التاريخ بنظر الاعتبار من جميع علماء الآثار العاملين في عموم مواقع الخليج العربي التي تنسب إلى هذه الحقبة الحضارية بالذات.

٦- من هذا المنطلق طلبت (جامعة كوشكان) في اليابان نشر الأطروحة (النص الإنجليزي) في عام (١٩٨٩م) وقبل صدور الأطروحة بهيئة كتاب وبسبب الأحداث التي جرت في عام (١٩٩٠م) توقف صدور الكتاب.

٧- قبل أكثر من عام قدمت طلباً إلى مركز زايد للتراث والتاريخ في مدينة العين طلبت فيه نشر الأطروحة (باللغة الإنجليزية) لما لها من أهمية قصوى تخص آثار دولة الإمارات، إضافة إلى أن مادتها العلمية مستقاة من نتائج أعمال التنقيب التي قمت بها في موقع القصيص وبعض المواقع الأخرى في دولة الإمارات.

إلا أن مركز زايد للتراث والتاريخ اعتذر عن عدم نشرها بحجة أن نصها مكتوب بالإنجليزية -علماً أن جميع ما نشر باللغة الإنجليزية واللغات الأخرى فيما يخص العصر الحديدي في الخليج العربي معتمد على نص الأطروحة ومن لديه أي اعتراض من العاملين بهذا المجال وتحديداً البعثات الأجنبية العاملة في الخليج العربي عليه الرد على ما جاء أعلاه.

٨- ألتمس من وزارة الثقافة والإعلام في دولة الإمارات الأخذ بنظر الاعتبار إعادة النظر بنشر الأطروحة (النص الإنجليزي) كي يقف الجميع على حقيقة العصر الحديدي في دولة الإمارات وما هو عطاء هذا العصر وأهم المكتشفات التي تم الكشف عنها أثناء التنقيب وما علاقة هذا العصر بمنطقة الخليج العربي والمناطق ذات النفوذ الحضاري والتجاري.

٩- أطلب وبكل إلحاح من متحف دبي إدراج اسم مكتشف ومنقب (تل الأفاعي) ضمن المعلومات الواردة بهذا الخصوص كي يقف الجميع على حقيقة الأمر ويأخذ كل ذي حق حقه لا سيما وأنني تعرضت لمثل هذه الحالة من قبل.

١٠- أطلب الرد السريع من (الكاتبة) الفاضلة وعسى أن لا تكرر هذه الحالة ثانية. وحق الاقتباس حق مشروع طالما يذكر الكاتب المصدر الذي اقتبس منه المعلومات بكل أمانة وإخلاص.■

د. منير يوسف طه - ص.ب: ٢٧٧٧
الدوحة - قطر

المختصر الدقيق في فن التحقيق

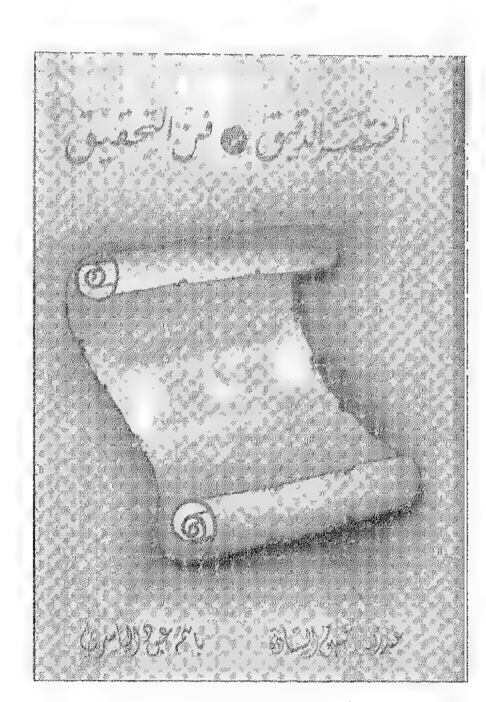

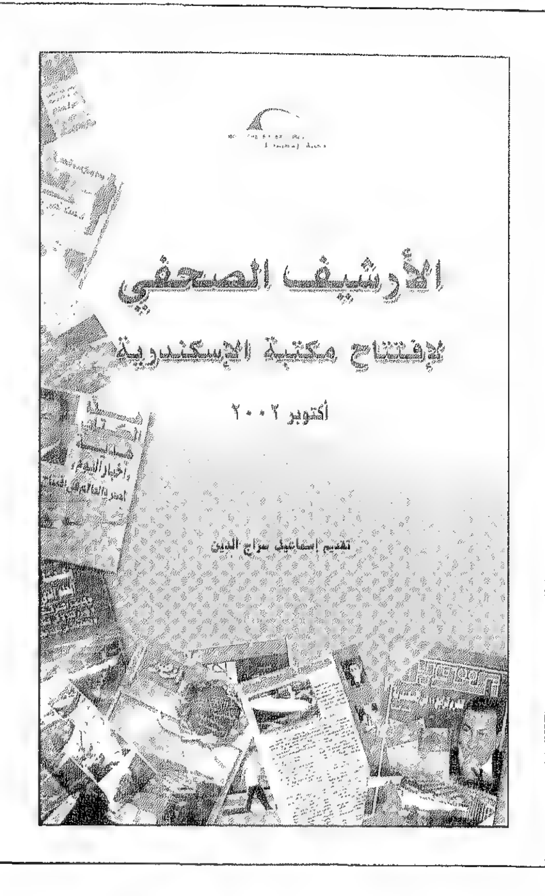

صدر للباحثَين عبدالله حسين السادة وباسم عبود الياسري في الدوحة بدولة قطر كتابهما المشترك والموسوم بـ : (المختصر الدقيق في فنّ التحقيق)، الذي خصصاه للحديث عن فنّ تحقيق المخطوطات العربية. وكتب الياسري مقدمة عن هذا الكتاب، ومما قال فيها: «... حاولنا قدر الإمكان أن يكون جامعاً شاملاً -الكتاب- دون أن ندعي أنّه لم يُكتب قبله في هذا المجال، لكننا حاولنا أن نعيد فتح طريق غير مُعبّد للباحثين والدارسين، رغبة منّا في تذليل الصعوبات أمامهم وحثهم على الاطلاع على تراثنا العربي...».

وقد اشتمل الكتاب على عشرين موضوعاً عن المخطوطات، أولها: مدخل إلى فنّ التحقيق، والتحقيق... المعنى والاصطلاح، والتحقيق: فنّ عربي قديم، ونشأة التحقيق وتطوره، والورق ومادة الكتابة، والورق والوراقة، وأدوات الكتابة، والخط العربي.

كما اشتملت موضوعات: (المختصر الدقيق في فنّ التحقيق) الحديث عن: مصطلحات القدماء في الكتابة، وبنية المخطوط العربي، وتشكل مناهج التحقيق الحديث، وجهود المستشرقين، ومراحل تحقيق المخطوطات وضبطها، وخطوات التحقيق، والمُحقق يدون المخطوط، فضلاً عن مواضيع السادة والياسري حول: مراجعة النص، وصفات المُحقق، ودراسة المخطوط ومُكملات التحقيق، ومُكملات مُعاصرة للتحقيق، وأخيراً أخطاء ينبغي تصحيحها. ■

اسم الكتاب:	المختصر الدقيق في فنّ التحقيق.
المؤلف:	عبدالله حسين السادة، باسم عبود الياسري.
دار النشر وسنة الطبع:	مطابع الدوحة الحديثة المحدودة، الدوحة، دولة قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
عدد الصفحات:	١٥٢ من القطع الاعتيادي.
العنوان:	تلفاكس ٤٦٠٠٠٣٣، الدوحة، دولة قطر .

الأرشيف الصحفي لافتتاح مكتبة الإسكندرية

احتوى الأرشيف الصحفي لافتتاح مكتبة الإسكندرية على تغطيات المجلات العربية والأجنبية لافتتاح مكتبة الإسكندرية في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٢م، ومنها مجلة «تراث» الشهرية التي تصدر عن نادي تراث الإمارات في أبوظبي والتي نشرت تحقيقاً مصوراً عن المكتبة كتبه الدكتور خالد عزب بعنوان: (عناق التاريخ والثقافة في افتتاح مكتبة الإسكندرية) ضمن العدد ٤١ لشهر أبريل (نيسان) ٢٠٠٢م.

وصدر الأرشيف الصحفي هذا عن مكتبة الإسكندرية المصرية ليكون شاهداً على افتتاح هذه المكتبة التاريخية التي أعيدت إليها الحياة من جديد، ليوثق بالنصّ والصورة لاهتمامات وسائل الإعلام المحلية والعربية والدولية بالمكتبة الخالدة. وقسم الأرشيف للصحف المحلية المصرية كـ: (الأهرام، والأهرام المسائي، والأهرام العربي، والأخبار، وأخبار الأدب، والجمهورية، وصحيفة المساء،والوفد، والأحرار). فضلاً عن الصحف والمجلات العربية والأجنبية الأخرى.■

اسم الكتاب:	الأرشيف الصحفي لافتتاح مكتبة الإسكندرية
التقديم:	إسماعيل سراج الدين
دار النشر وسنة الطبع:	إدارة الإعلام، مكتبة الإسكندرية، مصر٢٠٠٥م
عدد الصفحات:	٣٥٧ صفحة من الحجم الكبير
العنوان:	مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

التعلّم الذاتيّ

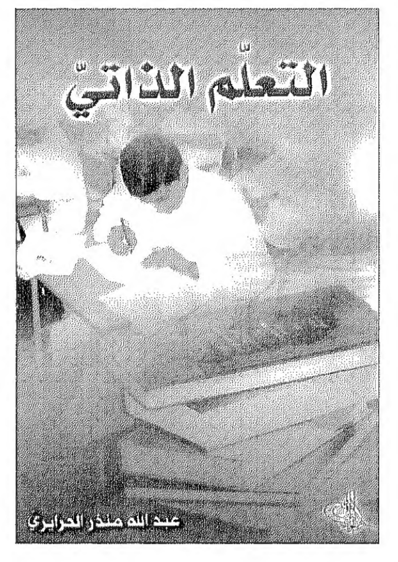

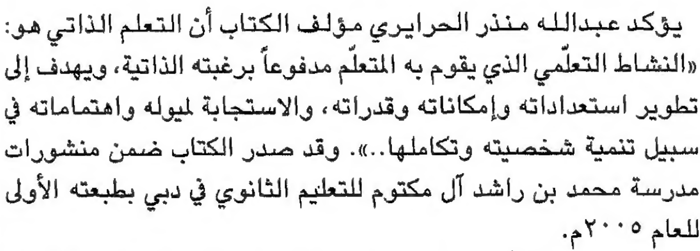

يؤكد عبدالله منذر الحرايري مؤلف الكتاب أن التعلم الذاتي هو: «النشاط التعلّمي الذي يقوم به المتعلّم مدفوعاً برغبته الذاتية، ويهدف إلى تطوير استعداداته وإمكاناته وقدراته، والاستجابة لميوله واهتماماته في سبيل تنمية شخصيته وتكاملها..». وقد صدر الكتاب ضمن منشورات مدرسة محمد بن راشد آل مكتوم للتعليم الثانوي في دبي بطبعته الأولى للعام ٢٠٠٥م.

وجاء الكتاب (التعلّم الذاتيّ: دراسة تطبيقية على طلاب الصف العاشر في مادة التربية الإسلامية) في أربعة فصول وبمباحث متفرعة عن كل فصل، وهي: الأول: الجانب النظري، والثاني: الدراسات السابقة، والفصل الثالث: الطريقة والإجراءات، والفصل الأخير للكتاب: النتائج والتوصيات.■

اسم الكتاب:	التعلّم الذاتيّ
المؤلف:	عبدالله منذر الحرايري
الناشر:	مدرسة محمد بن راشد آل مكتوم للتعليم الثانوي في دبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
الصفحات:	٦٢ من القطع الاعتيادي
العنوان:	ص.ب: ٥٦٤٠، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

سوالف بوراشد

أم راشد

حكايات واقعية من الحياة يرويها:

خميس بن زعل الرميثي

في عام ١٩٩٩م، سافرت أم راشد للعلاج في الخارج ولم أتمكن من السفر معها لظروف خاصة.. وعندما طارت بها الطائرة انتزعت قلبي معها انتزاعاً.. وودعتها بدموع صامته لكنها باحت بمكنون القلب.. فنظمت قصيدة قلت فيها:

يا زين ما اطيج المشاكاه ... إصبر شراتي والصبر زين

يا زين قَوّ الصبر بالله ... غير الإلهي ما لنا مْعين

حدِيلي من سار تنساه ... وحدٍ فراقه صعب ومْحين

سافر عَنِي والعين تربّاه ... وابطيت ألوّح له بالايدين

من سار شَلْ القلب هوياه ... وادعانيه شروى الميسنين

أحيد له معروفٍ ما انْساه ... ما دام عَ الدنيا وحيّين

قزّرت نص العمر هوياه ... بيني وبينه ما بدا شين

إمطيع طايع أمر مولاه ... واهديه من عندي سلامين

واتصوّخ الاخبار جدواه ... عسى انْ يلفِيني خبر زين

غالي معي ما حد يسواه ... لو كان عَ الدنيا ملايين

إن مات أنا باموت شرواه ... باحسانكم لي قولوا آمين

چان إن حصل يالي تمنّاه ... في قبر واحد نازم اثنين

يوم الحشر باكون هوياه ... نمشي ونتقابض بالايدين

وبَحْضَر حسابه عند مولاه ... باخد سَهَمْ واعطيه سهمين

تزوجت أم راشد يوم الاثنين.. وفارقتها يوم الاثنين ٢٣ مايو الماضي.. بعد أن عاشت معي ٥٤ عاماً لم تكدر خاطري بنظرة.. ولم أكدر خاطرها بكلمة.. ورغم يقيني بأنه في يوم القيامة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.. إلا أنني أتمنى أن آخذ من حسناتي سهماً واحداً.. وأعطيها سهمين.. جزاءً لما قدمت لي.. رحمة الله عليها.

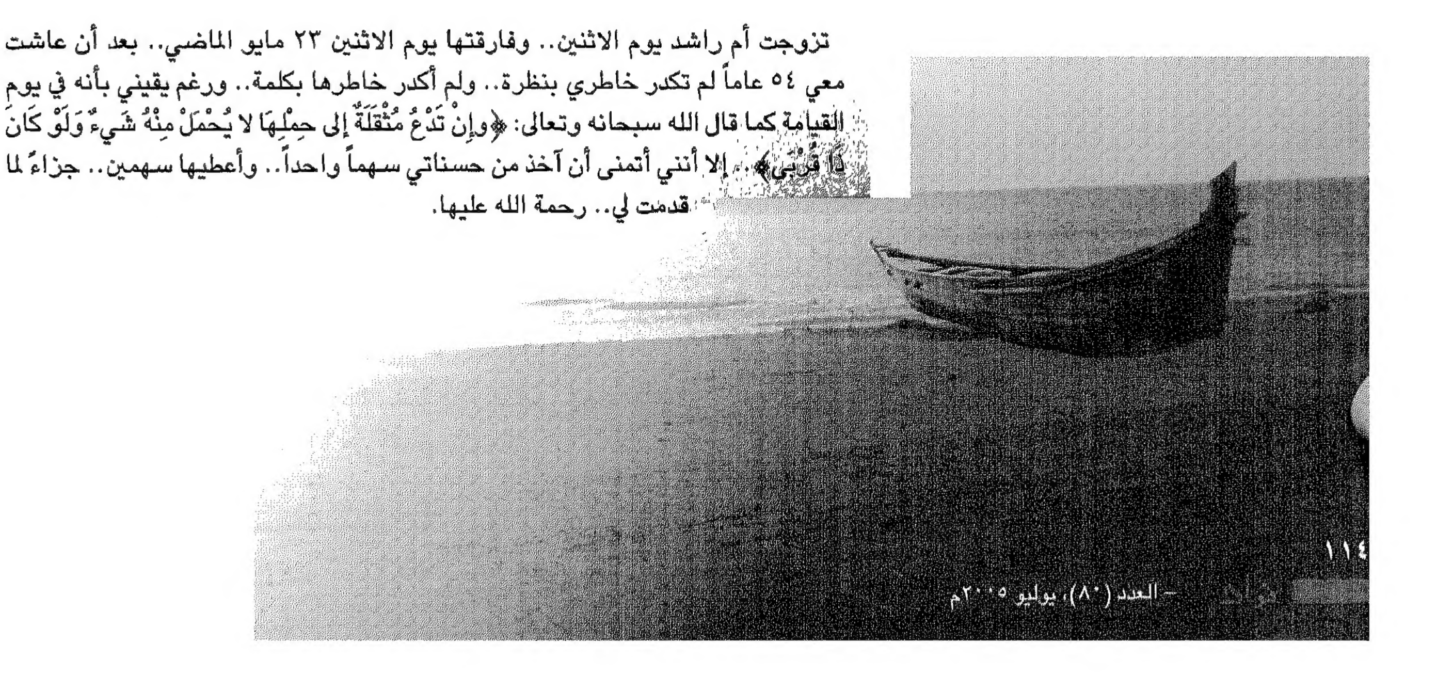

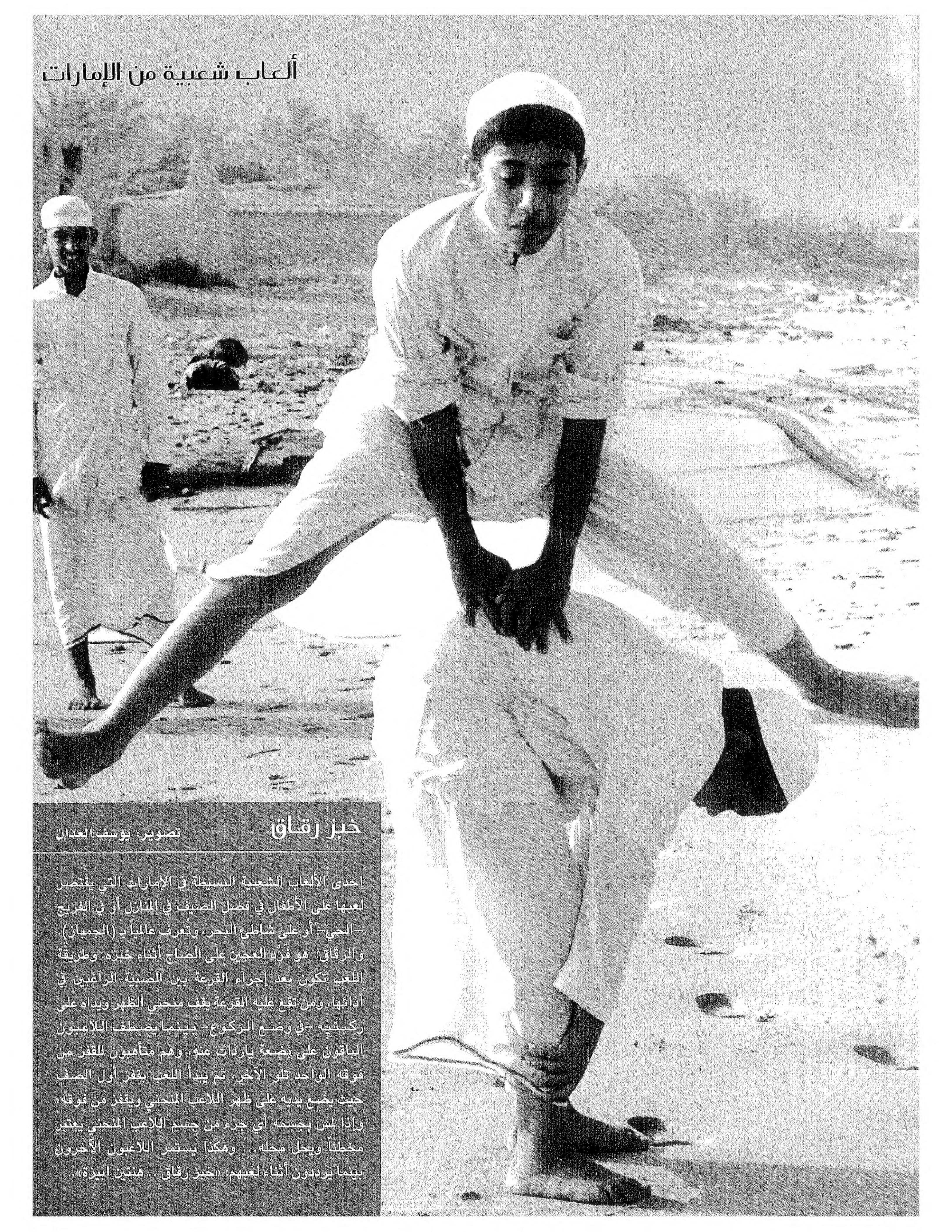

خبز رقـاق

تصوير: يوسف العدان

إحدى الألعاب الشعبية البسيطة في الإمارات التي يقتصر لعبها على الأطفال في فصل الصيف في المنازل أو في الفريج -الحي- أو على شاطئ البحر، وتُعرف عالمياً بـ (الجمبان).
والرقاق: هو فَرْد العجين على الصاج أثناء خبزه، وطريقة اللعب تكون بعد إجراء القرعة بين الصبية الراغبين في أدائها، ومن تقع عليه القرعة يقف منحني الظهر ويداه على ركبتيه -في وضع الركوع- بينما يصطف اللاعبون الباقون على بضعة ياردات عنه، وهم متأهبون للقفز من فوقه الواحد تلو الآخر، ثم يبدأ اللعب بقفز أول الصف حيث يضع يديه على ظهر اللاعب المنحني ويقفز من فوقه، وإذا لمس بجسمه أي جزء من جسم اللاعب المنحني يعتبر مخطئاً ويحل محله... وهكذا يستمر اللاعبون الآخرون بينما يرددون أثناء لعبهم: «خبز رقاق.. هنتين ابيزة».

مكيفات زمان

«يوسف العدان»